من أعلام الخليج العربي
"١"

نابغة البحرين

عبدالله الزايد

حياته وأعماله
١٨٩٤ - ١٩٤٥



الطبعة الثانية
مزيدة

مبارك الخاطر

الطبعة الثانية
١٩٨٨م

رقم الإيداع بالمكتبة العامة

٦٧٥ ـ د ٠ ع/١٩٨٨

من أعلام الخليج العربي

«١»

نابغة البحرين

عبدالله الزايد

١٨٩٤ ـ ١٩٤٥

حياتُه وأعمالُه

مبارك الخاطر

الطبعة الثانية

مزيدة

الطبعة الثانية ١٩٨٨

نابغة البحرين



عبدالله الزائــد

لقد عفت كل أماني الشباب
ولما أعش مثل عيش الزهر
ومل فؤادي عراك الحياة...
كأني شيخ رذيــل العمر...

الإهداء

الى المجاهد الصادق ..

والمصلح الأمين .. الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزيائي .. الى روحه في الملأ الأعلى أهدي ترجمة تلميذه ومريده .. عبد الله الزائد ..

قالوا في الزائد

أما الصراحة ، كل الصراحة فهاكها . أن بين أدباء الجزيرة العربية الجميلة شاباً ورد أدبه بواسطة المجلات العربية ، الغرب والشرق ، فاستقى من الموردين ، فصفت روحه ، واشتدت لهجته ، وما كان في الاثنتين غير صراحة رائدها الصدق ، ودليلها الحصافة .

هو عبد الله بن علي آل زايد ، سلك الكهرباء بين الأدباء .

أمين الريحاني

لبنان ـــ ١٩٢٢

صاحبنا الفاضل نابغة البحرين ونبراسها عبد الله بن علي الزائد .

عبد العزيز الرشيد

الكويت ـــ ١٩٢٥

أديب البـــلاد ومنطقيها اذا ما كبير لديها حضر
بهرت أمينـــاً بذاك النبوغ وأصدقته عن أمال الخبر

كذا التونسي غدا معجباً برب القوافي اذا ما شعر

قاسم الشيراوي
البحرين — ١٩٤٥

كان عبد الله فيما بيننا علماً في الشعر والنثر الرصين
ساد في شرخ الصبا في أمة همها ثلب الرجال النابغين
أخلص الود لهـــا يا ليتها قدرت ود الكرام المخلصين
كم له من غضبة لله لا يثنه عنها كلام المرجفين
كم له من وقفة ميمونة في سبيل الوطن الغالي الثمين

عبد الرحمن المعاوده
البحرين — ١٩٤٥

وهيهات أن أجد لدي سبيلاً حتى استطيع أن أوفيك حقك من الشكر الخالص لقيامك بواجب الوفاء نحو بلادك وجهادك المتواصل في ترقيتها ، ونشر ثقافتها ، فلا حيلة لي على ذلك . بل أراني عاجزاً ، وفي عجزي هذا ما يكفيك عن الشرح والتطويل لا زال جهادك متصلاً وركن اخلاصك قائماً .

محمد علي النحاس
مدير مدرسة الاحساء
١٩٣٩

هذا فيض من غيض مما قيل في عبد الله الزائد .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

كنت طالباً بالسنة السادسة الابتدائية حين فاجأني أحد زملائي[1] في الصف بورقة بها أبيات شعر تربو عـــلى العشرين بيتاً .

تناولت الورقة من يد زميلي ، فلم أدر كيف بدأت أقرؤها .. حين وجدتني أنهيها .. تلوتها ثانية وثالثة .. فاذا هي قصيدة تقدم بها عبد الله الزائد إلى احدى مسابقات لندن الشعرية آنذاك ، ففازت بالجائزة الثالثة .

كان عنوان القصيدة (الحنين الى الوطن) فأصبح (الحنين إلى القبر) حيث رثى بها الزائد نفسه قبيل وفاته بأشهر .

---

(١) كان ذلك الزميل هو الطالب علي محمد فخرو ، رفيقي في الدرج ، وهو الآن الدكتور علي فخرو وزير الصحة العامة .

من هنا كانت معرفتي بالزائد.. سألت زميلي عن القصيدة من أين وصلت اليه ؟ قال حصلت عليها من أحد أقاربي . ويصل همس حديثنا — أنا والزميل — إلى سمع مدرسنا ويتفق ساعتها أن يكون هذا المدرس هو شيخنا الأستاذ محمد صالح يوسف خنجي[1] .. ويلمح ورقة القصيدة بيدي فيقول لي أعطني هـــذه الورقة . وبيد مرتعشة دفعتها اليه :

قرأ الشيخ القصيدة صامتاً ، وأبقاها عنده . وبعد انتهاء الحصة تبعت الشيخ الى حجرة المدرسين ، فأعادها إلي ، فانتهزت الفرصة وسألته عن الزائد متلهفاً إلى معرفته ، فأعطاني رحمه الله لمحة موجزة عنه ، وقبل أن يتمها قرع الجرس وعدنا إلى الصف ، فأعدت لزميلي القصيدة . فقال لي سيقام حفل لتأبين الزائد بنادي البحرين[2] ، وحدد لي موعد ذلك الحفل .

وبكل شوقي الى معرفة المزيد عن الزائد ذهبت إلى نادي البحرين ، فلم استطع الدخول إلى الحفل ، فقد وُكل فراش النادي بمنع الصبية الصغار من الدخول اليه . ولكنا أنا والصبية الآخرين سمعنا المؤبنين ، ونحن خارج الحفل .. وان لم نرهم ، وإني أذكر أن من بينهم الأستاذ الشاعر عبد الرحمن المعاود .

---

(١) راجع ترجمته في (فصل الزائد في حداثته، مع الشيخ محمد صالح يوسف).

(٢) هذا النادي أنشئ عام ١٩٣٨ كامتداد للنادي الأدبي الذي أنشئ عام ١٩٢١.

لم يسعدني الحظ برؤية الزائد .. أو التعرف اليه ، ولو أمد الله في عمره ، لسعيت إلى كسب صداقة رجل أنا معجب به في ذكائه .. في شجاعته .. في عصاميته . فلقد قعد بي صغر سني عن الاتصال به أو التعرف إلى أدبه في حياته .

بعد ذلك استظهرت مرثية الزائد لنفسه . كما استظهرها آنذاك كثير من الشباب المعجبين به . ولكني لم أقف عند هذا الحد ، فقد جمعت ما استطعت الحصول عليه من أعداد جريدة البحرين ، بما ينيف على مائة وخمسين عدداً .

جمعت أيضاً ما استطعت الحصول عليه من شعر الزائد ، من بعض الكتب والمجلات ، ومن مخطوطات لبعض قصائده .. وجدتها لدى بعض أصدقائه المقربين اليه . ومن أفواههم سجلت بعض جوانب مهمة من حياته .

ويحل عام ١٩٥١ فاذا بمجموعتي الصغيرة عن الزائد لا تروي الغليل .. هناك أخذت أبحث وأتحرى في هـــذا الموضوع ، فقيل لي اتصل بالشيخ سلمان بن محمد بن عيسى الخليفة[1] فاتصلت به ، وكان يومئذٍ قاضياً مدنياً يحاكم

---

(١) الشيخ سلمان تعلم في البحرين ، ثم انتقل الى الجامعة الامريكية في بيروت حيث درس هناك اللغة الإنكليزية . ثم عاد الى البحرين وعين قاضياً بمحاكم البحرين. ثم عين نائباً لرئيس بلدية المنامه .كان ضليعاً في اللغة العربية. وكان من المهتمين بالأدب العربي . توفي عام ١٩٧٠ عن عمر يناهز الخامسة والخمسين .

البحرين ، فسهل لي – رحمه الله – مهمتي وأجابني على أسئلة طرحتها عليه مما يتعلق بحياة الزائد وأدبه .

وفي عام ١٩٥٢ رأيت أن بإمكاني إعطاء قراء العربية في الخليج فكرة عامة عن أحد نوابغ الخليج العربي .. فكان أن نشرت حلقتين متتاليتين بإحدى صحف البحرين – آنذاك – بعنوان (شذرات من حياة الزائد الأدبية)(١) .

* * *

وتمر الأعوام وأنا جاد في تنمية معلوماتي عن حياة الزائد وأدبه . واثناء ذلك برزت لي ظاهرة جلية واضحة ، وهي أن من يتصدى للكتابة عن الزائد .. حياته وأدبه ، لا يسعه – ان كان متوخياً إظهار الحقيقة – أن يفصل حياة هذه الشخصية العملاقة عن شخصيات أساتذتها من الرعيل الأول رواد النهضة الثقافية في البحرين . كما أنه لا يسعه أيضاً أن يفصلها عن حياة زميلاتها من شخصيات عصرها .

فاذا رأيت يا قارئي كثرة التراجم لبعض اساتذة الزايد ، وزملائه في هذا الكتاب ، فما هو الا نتيجة تشابك جذور حياته بحياتهم .

واليوم .. وبعد مضي ما ينيف على ربع قرن على وفاة رجل وضع نفسه في خدمة مواطنيه بكل أمانة واخلاص في ظروف مختلفة الحدود والأبعاد .. متفقة في القيود والأضداد

---

(١) العدد ١١ و ١٢ من جريدة الخميلة الصادرة في البحرين ابتداء من عام ١٩٥١ .

أراني على بينة من أمري في تأدية واجب كنت أعلل النفس بتأديته .. واجب هو أقل ما يكون في حق هذه الشخصية العظيمة .

لقد صادفت في وضع هذا الكتاب مصاعب جمة .. لا يعرفها الا من أراد وضع كتاب ليس له من المراجع الا النزر اليسير . لذلك فقد يصبح هذا الكتاب المرجع الأول لما وضع من أجله .. خصوصاً وان أغلب مصادره معلومات مأخوذة قبل عشرين عاماً من بعض اساتذة الزائد أمثال الشيخ محمد بن عيسى الخليفة والشيخ محمد صالح يوسف خنجي والمصنف الأستاذ محمد علي التاجر[1] ، وبعض هذه المعلومات من مخطوطات كانت لديهم رحمهم الله .

وكان من المقرر أن يصدر هذا الكتاب عام ١٩٦٤ ، فقد انهيت مسودته في أوائل ذلك العام ، لكن وقفت الظروف المادية في طريق ذلك . الا أنه بعد ذلك جاءت إلى البحرين بعثة اعلامية كويتية[2] ، فسجات لي نبذة مختصرة عن الكتاب ، في شريط أذيع من اذاعة الكويت بعد ذلك .

وكم وجدت من أصدقاء الزائد ــ أمد الله في أعمار من بقي منهم ــ كل عون وتشجيع ، فحمداً لهم على ما أمدوني به من المعلومات القيمة والمخطوطات ذات القيمة التاريخية .

---

(١) تجد كثيراً من تراجم هؤلاء الأدباء بين ثنايا الكتاب .

(٢) كانت البعثة برآسة الأستاذ احمد البشر .

كما أنه لم يختلف أحد منهم عن الآخر في رواية أخبار الزائد وهي كثيرة . وهم كثيرون وأخص بالذكر والشكر والدعاء من الأعماق بالمغفرة والرضوان للراحلين منهم وهم : —

الشيخ محمد بن عيسى الخليفة .

والشيخ سلمان بن محمد الخليفة .

وابراهيم الزائد رئيس عمال الزائد في مطبعة البحرين .

والسيد ابراهيم بن حسن الزياني .

والأستاذ محمد علي التاجر .

والأستاذ الشيخ محمد صالح يوسف خنجي .

ومن الأحياء أمد الله في أعمارهم .

الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة صديق الزائد منذ الطفولة ،

والأديب الأستاذ الشيخ عيسى بن راشد الخليفة من المهتمين بأدب الزائد(١) .

والاستاذ راشد بن صباح الجلاهمة صديق الزائد الحميم ومدير مكتبه في مطبعة البحرين .

والأستاذ المحامي احمد الشبراوي صديق الزائد منذ عهد تأسيس النادي الأدبي .

---

(١) نائب القائد العام الآن بقوة دفاع البحرين . تخرج من كلية الحقوق بالقاهرة ثم عمل قاضياً حديثاً بمحاكم البحرين ، ثم انتقل إلى قوة دفاع البحرين ، من القصصيين المعروفين في البحرين .

والأستاذ سالم العريض زميل الزائد اثناء اقامته في الهند .

وشلة كريمة من عمال مطبعة البحرين .

وكذلك لا بد من التنويه بمساعدة القسم العربي بهيئة الاذاعة البريطانية في هذا الباب .

أما مسك الختام فهو ازجاء الشكر لسمو أمير البلاد المعظم لتشجيعه في نشر هذا الكتاب .

مقدمة الطبعة الثانية

والآن ، وبعد مضى اكثر من ستة عشر عاماً على اول اصدار لكتاب لنابغة البحرين /عبدالله الزائد) يجىء اصدار الطبعة الثانية منه •

لقد كان من الممكن ان تظهر هذه الطبعة الجديدة بعد عام او عامين من اصدارها الاول الذى نفدت نسخه من المكتبات فى مدة وجيزة جدا اذا قورنت بالكتب التى تبحث فى تاريخ الثقافة والادب فى الخليج العربى •• غير ان اصداراتى الاخرى فى هذا المجال وقفت ـ على مدى الخمسة عشر عاما الماضية دون اعادة طبع الكتاب ثانية •

ولكن رب ضارة نافعة فعلى مدى تلك الفترة كان تنقيبى مستمراً فى محاولة الحصول على اوراق جديدة خاصة لعبدالله الزائد ، واعماله • وفعلا فقد تمخض هذا التنقيب حتى الآن عن نجاح قد يشفى غليل المهتمين بالتاريخ الثقافى والادبى لمنطقة الخليج ، وخاصة اولئك الذين يلحون فى اعادة تدوين اصداراتى فى سلسلتى اعلام الخليج العربى ، ودراسات خليجية •

اما كتاب نابغة البحرين ٠٠ فقد حظى باهتمام كبير في الاوساط الثقافية العربية ، مع انه لم يكن في اصداره الاول الا محاولة لاعطاء فكرة عن احد اعلام الفكر والثقافة والاجتماع في الخليج خلال النصف الأول من القرن العشرين من اولئك الذين كانت حياتهم حافلة بجلائل الاعمال التي قدموها خدمة لوطنهم ومواطنيهم ٠

اما في هذا الاصدار فسيلاحظ القارىء الفرق بين هذا الاصدار والاصدار الاول ، وخاصة في الاضافات الشعرية ٠

بعض ما قالوه
عن الطبعة الأولى

عبدالله الزائد رمز العطاء

اما الصراحة ، كل الصراحة فهاكها . ان بين ادباء الجزيرة العربية الجميلة شابا ورد ادبه بواسطة المجلات العربية ، الغربية والشرقية ، فاستقى من الموردين ، فصفت روحه ، واشتدت لهجته ، وما كان فى الاثنتين غير صراحة رائدها الصدق ، ودليلها الحصافة ..

هو عبدالله بن علي آل زائد ، سلك الكهرباء بين الادباء هذا ما قاله امين الريحانى فى كتابه ملوك العرب الصادر بلبنان سنة ١٩٢٢ .

فمن هو عبدالله الزائد ..؟

يجيب على ذا السؤال السيد مبارك الخاطر فى الكتاب الذى اصدره بعنوان : نابغة البحرين عبدالله الزائد ..

ومما يؤسف له ان العديد من الناس لا يعلمون عن الزائد الانسان الذى اعطى فى حياته الشيء الكثير .

ان الزائد واحد من رجالات الخليج العربى الذين امسكوا بزمام الريادة فى عدة مجالات .

فالزائد كان اديبا قبل ان يكون صحفيا ومن واجب كل حملة الاقلام من شبابنا الخليجى ان يعرفوا عن الزائد يوم ان اصدر سنة ١٩٣٩ اول صحيفة اسبوعية فى البحرين الشقيق .

ولم يكن الزائد يطمع فى ربح مادى من وراء صحيفته تلك •• فهو تاجر لؤلؤ •• ومن شأنه اذا اراد الكسب المادى ان يستمر فى التجارة التى تفتحت عيناه عليها •

والغريب حقا ان الزائد عمد ، بموهبته الفذة فى العمل الصحفى ، الى تحرير جميع صفحات جريدته طوال فترة الستة اعوام الى أن احتجبت •

وحين اتصفح كتاب السيد مبارك الخاطر عن الزائد فان الاعتزاز يملأنى حين يقول : «ما ان صدر العدد الاول من جريدة البحرين حتى تلقفه القراء فى البحرين وامارات الخليج والبلاد العربية الاخرى التى استطاعت الجريدة الوصول اليها • بالاضافة الى مدينة بومباى فى الهند» •

ان كفاح الزائد لخلق صحافة حديثه فى البحرين دفعه اولا الى انشاء مطبعة البحرين •

•ظهر فيما بعد ان جملة ما تجمع لدى الزائد من بقية وما اعانه به الاخرون من امراء المنطقة لا يعدو ان يصل به الى تنفيذ نصف المشروع •

ولكن الزائد لم يتريث •• فقسم المشروع الى شقين •• وبدأ فى تنفيذ الشق الاول منه ، فكان ان بعث يستقدم من اوروبا مطبعة تحتوى على آلتين •• الأولى كبيرة لطبع الصحف ، والاخرى متوسطة لطبع المطبوعات التجارية •• وبعض الآلات الصغيرة للقص والتخريم

والتوضيب وبعض قطع الغيار ·

وفى سنة ١٩٣٩ صدر اول عدد من جريدة البحرين «جريدة يومية تصدر مؤقتا مرة كل اسبوع» ·

وليس بين يدى الآن اى من اعداد هذه الجريدة ولكن من الملاحظ حسب ما اورد السيد الخاطر ان الصحيفة المذكورة كان قريبة من الصحافة الحديثة ·· ويبدو ذلك من خلال الموضوعات التى فيها ·· وهذا مرده الى ان صاحبها الزائد كان ينتقل بحكم كونه تاجر لؤلؤ بين كثير من الدول مما جعله يطلع على آخر ما وصل اليه الفن الصحفى فى العالم آنذاك ··

لكن ـ وهذا ينسحب على معظم الصحافيين الخليجيين ـ هم اميل الى الكتابة الصحفية الادبية والفاصل بين الكتاب عندهم لايكاد يبين ·

وقد يكون مرد ذلك الى ان معظمهم ادباء او يملكون الحاسة الادبية · فنجد الزائد مثلا بجانب عمله فى الحقل الصحفى شاعرا فازت معظم قصائده فى المسابقات التى تقدم لها ويكفى ان نجد الزائد يرحب فى سنة ١٩٢٢ بأمين الريحانى فى الحفل الذى اقامه النادى الادبى فى المحرق ، فيقول :

اتخفيها وقد برح الخفاء
وتسترها وقد عم الضياء
وتحنث بالعهود مؤكدات
اليس الحر شيمته الوفاء

الى ان يقول :

يعـوز رقينـا تعـميـم علـم
تـعـم بـه السـعـادة والهنـاء
وتشييـد المـدارس حـافـلات
لها فى القلب لا الارض البناء
تشيـد من بنـاء العـز صرحـا
قـواعـده التضـامـن والاخـاء
شبـاب الشرق جـدا واتحـادا
فـان الامـر جـد واعـتـنـاء
انـرضى بـالهـوان ونـرتـضيـه
كـان النـور والـظلما سـواء
فيـا شرق انتصر بـالعلم سعيـا
لـك الارواح قـاطبـة فـداء

وقد وفق المؤلف السيد الخاطر فى كتابه هذا لولا بعض الخصوصيات التى اوردها عن الزائد من خلال نشره الرسائل الاربع التى ارسلها الزائد لصهره • ويبدو المؤلف حذرا هنا ، حين يقول بالحرف الواحد : «ضاربين صفحا عن ذكر ما فيها من الشئون الخاصة» •

ولم يكن الزائد صحفيا واديبا فقط ، بل كان مصلحا اجتماعيا •• ويتضح ذلك كما اسلفنا عند انشائه اول مطبعة حديثة فى البحرين • وفى الحقل الاجتماعى كان له قصب السبق •• فهو صاحب مشروع اغاثة ايتام فلسطين

، ثم مشروع اعانة الفقير ٠

ويتكلم المؤلف عن الزائد كسياسى فيقسم تاريخه الى ثلاث مراحل ٠٠

لكن ما يؤلم حقا هو الملف السياسى للزائد بعد ان امر هو بحرقه قبل وفاته وكان من شأن هذا الملف ـ الذى كان حرقه خسارة كبيرة دون شك ـ ان يلقى اضواء مهمة ليس على الجوانب الخافية من حياته ، بل من حياة المنطقة ٠٠

وعندما اقرأ قصيدة «حنين الى الوطن» اذكر لقاء جمعنى مع الاستاذ ابراهيم كانو مدير اذاعة البحرين حين حدثنى عن هذه القصيدة وما لها من تأثير فى نفسه ٠٠ وكيف لا يتأثر الانسان ـ وهو يماسك المشاعر الفياضة ـ عند استماعه الى قصيدة كتبها صاحبها وهو على فراش المرض ٠٠ يصف فيها وصفا معبرا ما ستؤول اليه جثته بعد موته ٠٠

«فازت هذه القصيدة بالجائزة الثالثة فى مسابقة لندن الشعرية لشعراء الخليج» يقول الزائد فى قصيدته هذه :

مللت الحياة وكثر السهر
ورمت المات وسكنى الحفر
ففى الموت بعد عن النائيات
اذا ما الزمان جفا او غدر

وعـودا سريعـا الى حفـرق
فـانى اخشى حلول الضجـر
ولا تـرويـا لى عن العـالمين
ولكن عن الشعـرا والسمـر
اود لـو انى قبيـل الشروق
انـاجى المـلائـك دون البشر
واجـعـل حـدا لهـذا البـلا
وان تك يا صاح احدى الكبر
ولكن صغـارا بـذاك الحمـى
خشيت ايتـمهم فى الصـغـر

وبعد ‥ هذا هو الزائد الذى اعطى حياته كلها لخدمة بلاده ومجتمعه ‥

ما احوجنا الى عشرات مثل عبدالله الزائد يؤمنون بالعطاء ‥ كل العطاء ‥

انها دعوة للعطاء ٠

خالد نعمه
العروبة القطرية
العدد ١٣٣/١٩٧٢

فى ذكرى الزائد

وداعا .. وداعا نجـوم السماء
وداعـا .. وداعا ضيـاء القمر
وداعـا .. وداعا خـرير الميـاه
وداعا .. وداعا حفيف الشجر

بمثل هذه الابيات التى تقطر اسى وعبرة ودع عبدالله الزائد الحياة والاحياء والوجود المحسوس بأسره وانتقل الى عالم الارواح الخالدة فى الخامس من مايو سنة ١٩٤٥ . وبذلك يكون قد مر على وفاته ثمانية وعشرون عاما وخمسة ايام كاملة .

لقد ادى الفقيد الراحل خدمات جليلة لبنى وطنه وقومه لا يجحدها الا مكابر او من ران العنت على قلبه وعقله . ففى ميدان السياسة ساهم كما ساهم ابناء جيله بقسط واوضح فى الدعوة الى حرية البحرين واستقلالها وسيادتها الوطنية والقومية .. ودعا الى مشروع من سبع نقاط يشبه مشروع اتحاد الامارات العربية الذى طرح منذ ثلاث سنوات .. ونادى كذلك من خلال مقالاته السياسية فى «جريدة البحرين» الى حل منصف لعرب فلسطين وحقهم فى العيش فى وطنهم بسلام وحرية وامان

•• وساهم الزائد كذلك بنشاطات طيبة فى حقل الخدمة الاجتماعية الوطنية والقومية •• ونترك للاستاذ مبارك الخاطر الذى اول من انصف الزائد بتأليف كتاب جيد عنه اسمه «نابغة البحرين» •• يقول الخاطر :

«فى اوائل عام ١٩٣٩ ونتيجة للكوارث التى المت بعرب فلسطين على يد اليهود وحاضنتهم بريطانيا ، وخاصة بعد ثورة ١٩٣٦ ، وكنتيجة ايضا لتلك المذابح البشعة التى تلتها ، والتى منى بها العرب ، مما تتواجد اطفال العرب ايتاما فى الساحة الفلسطينية • هب الشعب العربى البحرينى بقيادة الثلة المثقفة فيها - ومن بينهم الزائد الصحفى الى الاكتتاب لاغاثة هؤلاء الايتام الابرياء • فكان ان تألفت لجنة الغرض ، اصبح رئيسها المرحوم الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة وأمين صندوقها العين المحسن عبدالعزيز العلي البسام • اما أمانة سرها فقد انيطت بعبدالله الزائد • لقد تمكنت هذه اللجنة من جمع حوالى ثلاثين الف روبية حولت الى جنيهات مصرية »

ويحدثنا الخاطر عن الزائد فى الحقل الاجتماعى الوطنى وذلك حين دعا دون كلل إلى مشروع اعانة الفقير ، يقول :

«كان على الزائد ان يكتب فى جريدته - فى هذا الموضوع ماشاء الله ان يكتب لاثارة اريحية الناس وتأييدهم لهذا المشروع •• بعد نشر المقال فى اسعاف الفقير ، قابل

الزائد امراء البلاد واعيانها مقترحا وداعيا الى تأليف هيئة اهلية لاسعاف الفقراء فى البلاد ، فاستجابت له ثلة صالحة من امراء البلاد واعيانها ، ثم تألفت الهيئة المقترحة واتخذت بلدية المنامة مقرا لها •• وتبدأ اعمالها فتختار الزائد امين سر لها» ••

والزائد فضلا عن كونه سياسيا ومصلحا اجتماعيا شاعر وطنى وقومى وله قصائد جيدة يمكن ان نسلكها ضمن الادب التحررى •• فها هو يستثير همة اخوانه فى العروبة ليستيقظوا قبل فوات الاوان بقوله :

بنى العرب ان السيل قد بلغ الزبى
ولما تفيقوا غفلة وسكونا
بنى العرب ان القوم يستعبدونكم
فكم ادركوا منكم رضا ومعينا
فقوموا بما يقضى به الدين والحجى
وهبوا كفاحا يسرة ويمينا

ولا ينسى الزائد ان يشيد بالكفاح البطولى لاخوانه من ابناء الشام والمغرب العربى ضد الاستعمار الفرنسى فيقول :

فى الشام من اخواننا اسد الشرى
فى الريف من فتياتنا اقيال
فى نهضة عبدالكريم زعيمها
لبنى المشارق عبرة ومثال

وما اروع ندائه للعرب حين يقول :

يا ايها العرب انهضوا واستبسلوا
ان الحـيـاة تـزاحـم وجـدال

نعم - يازائد - ان ا لحياة كانت ومازالت تزاحم وجدال ..

وقبل ان يفارق الزائد الحياة رثى نفسه بأبيات تعد من عيون المراثى فى الشعر العربى الحديث .. وتذكرنا توا بمرثية ابراهيم المازنى لنفسه فى العصر الحديث ، وبمرثية مالك بن الريب التميمى لنفسه قديما .. وهاهى بعض ابيات الزائد فى رثاء نفسه :

مـللت الحيـاة وكـثر السهـر
ورمت المـهات وسكـنى الحفـر
ففى المـوت بعد عن النـائبات
اذا مـا الزمـان جفا او غـدر
وداعـا .. وداعا نجـوم السما
وداعـا .. وداعا ضيـاء القمر
وداعـا .. ودعا خـريـر الميـاه
وداعا .. وداعا حفيف الشجر
سـلام عليـك هبـوب الـريـاح
سـلام عـليـك رنـين المـطر
سـلام عـليـك رحيـق اللمـى
سـلام عليـك انـين الـوتـر

خليلى صبا على الثرى
وصفا الحصى واقيا الحجر
وطوفا بقبرى قبيل القفول
ففيه عظات وفيه عبر
وطوفا ببيتى قبيل الرجوع
اذا ما الصراخ علا واستعر
ولا تبكيا انه موقف
يذيب القلوب ويعمى النظر

هذه الابيات الرائعة والمختارة سواء من شعره التحررى ام من شعره الذاتى ما احوج تلامذتنا وطلبة العلم فى المدارس الى استكناه معانيها وتذوق مافيها من الوان الجمال الفنى والنفسى وهذا لا يكون الا بأن تعمد وزارة التربية والتعليم الى بث تلك الروائع الشعرية ذات الاتجاهات الوطنية او القومية او النفسية فى كتب اللغة العربية فى المرحلتين الاعدادية والثانوية • كلمة اخيرة نقولها ونحن نلم المامة سريعة بالزائد وآثاره السياسية والاجتماعية والادبية •• بأننا نشعر بعميق الاسف لذلك الاهمال المقصود او غير المقصود من قبل المهتمين بشئون الادب والفكر حيال المرحوم الاستاذ عبدالله الزائد •• اذ كان من المفروض ان يكون هذا الاسبوع اسبوع الاحتفال بذكرى الزائد فى شكل ندوات او محاضرات •• وعزاؤنا الوحيد هو هذه الكلمة القصيرة فى ذكرى الزائد •

عبدالرحمن الصوير
الأضواء البحرينية

بئر البترول وشاعر الخليج ٠٠ عبدالله الزائد

ومثل البترول ٠٠ يكون الذهب ٠٠ وباقى المعادن النفيسة وغير النفيسة ٠٠ لا تتكون بالصدفة البحتة ٠٠ ولكن تتكون نتيجة لعوامل معقدة ٠٠ وصراع طويل ٠٠ وضغوط هائلة ٠٠ وترسبات عمرها الوف الملايين من السنين ٠

هذا هو الوجه المجهول من التكوين والتشكيل

اما الوجه الآخر ٠٠ فهو وجه مثير ٠٠

والشاهد على الاثارة البالغة ٠٠ تلك الاثارة العملاقة من الحديد التى تدق اصابعها فى باطن الارض ٠٠ فتغوص على مدى الشهور والسنوات ٠٠ تبحث بكل ما وصل اليه العقل البشرى بمعونة العناية الالهية عن وجود تلك القطرة الثمينة من البترول ٠٠ التى لو وقف تدفقها من باطن الارض لعادت البشرية عشرة قرون إلى الوراء دفعة واحدة ٠٠

هوية الشهادات !

لا اعرف كيف شطحت بى تلك الافكار الغريبة وانا اتأمل ذلك الوجه المائل الى السمرة المحببة الى النفس ٠٠ والشاب يتكلم ٠٠ وانا احملق فى وجه المتحفز ٠٠ والدهشة تعقد لسانى ٠٠!

التاريخ للاخرين !

والوجه الآخر هو الذى شدنى اليه ٠٠ بعد ان وقع اول كتاب من تأليفه فى يدى ٠

والكتاب محاولة ناجحة لتجميع التراث الخليجى وخاصة البحرينى ٠٠ ذلك الكتاب الذى يحمل عنوان «نابغة البحرين» ٠٠ عبدالله الزائد ٠٠

والكتاب الذى وصل الى ٢١١ صفحة لم يكن مجرد حوادث ٠٠ بل الف على امتن المناهج العلمية فى التأليف والاستقصاء ٠٠ فقد افنى سنوات من عمره وهو يبحث وينقب عن رسائل وقصائد عبدالله الزائد وهى مخطوطة بيده ومذكراته التى كتبها بخطه وجريدة «البحرين» التى اصدرها الزائد قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بستة شهور !٠٠

ولم يكتف مبارك راشد الخاطر الاديب الخليجى المشهور بذلك ٠٠ وكان يمكن ان يكتفى ٠٠

لكنه بذل الليالى وراء النهار وهو يبحث عن جريدة «الخميلة» ومجلة «سركيس» اللبنانية وملوك العرب وخاصة الجزء الثانى ومخطوط قديم تحت عنوان : «منتظم الدين فى ادب البحرين» والجزء الاول من تاريخ الكويت وقصيدة «الحرب البحرية» ٠

واكثر من هذا ٠٠ سعى كل السعى ٠٠ واجهد نفسه ليحصل على احدى قصائد عبدالله الزائد من مجموعة القسم العربى لدى هيئة الاذاعة البريطانية فى لندن

الزائد بقلم مبارك

* وهل يستحق عبدالله الزائد ذلك الجهد الاسطورى منك يا اخ مبارك ؟!··

وكان السؤال لسعة نار على جسد صديقى ·· وجهه يتحفز وملامحه تشفق على جرأة سؤالى ·· ولكنه يوضح الامر فى لفظ دافىء ·· ومعنى دسم ·· واسلوب جزل ··

ـ ان اعمال المرحوم عبدالله الزائد مجال الاصلاح الوطنى على ضخامتها واثرها فى مجتمعنا لا تقاس بالكم ، بالكيف ·· ذلك الكيف الذى جعله اولويات ثقافية واولويات اجتماعية حققها الزائد فى بلاده ·

ـ ان الزائد وهو يقوم بتنفيذ هذه الاولويات صادر عن نبوغ ملحوظ قد لاقى فى سبيل ذلك العنت والتثبيط من اولئك الذين كلما حاولوا ان يركنوه فى الظل ويحرموه من تسليط الضوء على اعماله عاد وبرز بامكانياته الادبية القوية والاقتصادية الضعيفة ·

ويصمت الاخ مبارك راشد الخاطر او ابو راشد ليقول :

ـ كان الزائد كالعمود الفسفورى الهائل ·· يشع فى عتمة التخلف !··

ـ ان نثر الزائد وشعره صور منقولة عن حياة مجتمعه ·· فهى تمثل آمال ذلك المجتمع ·

ـ هذا الكتاب ·· وهذا المجهود بذلته وتلك الليالى التى سهرتها بعض الوفاء لابى علي ·· عبدالله الزائد رحمه الله رحمة واسعة !!

ولكن ماذا قال مبارك الخاطر فى كلامه عن عبدالله الزائد ؟!

الزائد والصحافة !

تناول الكتاب عبدالله الزائد فى وطفولته وملازمته لصديق أبيه الشيخ ابراهيم محمد الخليفة شيخ الادباء فى البحرين فى زمنه ومع الشيخ محمد صالح يوسف ثم حياته فى بدء عصر النهضة بالبحرين ·

ـ ازدادت قراءاتى وتكثفت وكلما قرأت احسست بالجوع الى القراءة يدفعنى دفعا الى التهام كل ما يقع تحتِ عينى فى مكتبات الاندية ·· قرأت تاريخ الغرب لجرجى زيدان وروايات التمدن الاسلامى لنفس المؤلف ·· وحديث الاربعاء لطه حسين ·· وتحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعى ·· والكامل للمبرد ·· والعقد الفريد لابن عبد ربه ·· والاغانى للاصفانى ·

ـ حتى المجلات ·· الرسالة · الاديب ·· آخر ساعة ·· المصور ·· المستمع العربى ·· كل مجلات الحرب ··

ـ حتى الترجمات لم اتركها ·· قرأت كل مترجمات مصطفى المنفلوطى ماعدا البؤساء ·· قرأت حضارة العرب لجوستاف لابون ·· والتاريخ العام لسيديو ··

ـ لدى عدد من المشروعات بعد كتابي عن عبدالله الزائد ·· فمن خلال متابعتى لانتاجه وحياته والتى نذرت لها ٨ سنوات من عمرى ·· وضعت يدى على كثير من الفطاحل الذين لا يعرف عنهم الشباب العربى شيئا ··

* ··· ··· ··· ····؟!

ـ الآن اجهز كتاباً بعنوان «اياسن العصر ·· فى خليج العرب» ·· ويتناول هذا الكتاب حياة واعمال القاضى الشيخ قاسم المهزع ·· لقد عدت انقب فى ٣٥ مرجعا ضخما بالاضافة الى لقاءات طويلة مع الاحياء الذين عاصروه ·· فهذا القاضى الذى اثر فى شرايين الحياة فى البحرين ·· وكان المتقاضون يشدون اليه الرحال فى جميع مناطق الخليج ·· لذكائه الخارق وحكمته ·· وكان ذا فطنة تضرب بها الامثال !··

* ··· ··· ··· ····؟!

ثم اعد دراسة خاصة عن المؤرخ الاديب ناصر الخيرى ·· فقمت باعداد الدراسات الاولية وخطة العمل ·· وشخصية بدأت تفرض نفسها على قلمي عندما تشعبت فى دراستى حول عبدالله الزائد ·· فكانت حياة الزائد بمثابة المفتاح الذهبى لدخول مدينة كاملة من الادباء وللشخصيات المؤثرة ··

* ••• ••• ••• •••؟!

ـ واعد دراسات خاصة عن اهم المسرحيات الشعرية التى الفها الاستاذ عبدالرحمن المعاودة واهمها المسرحية الشعرية التى جاءت تحت عنوان «دخول البحرين فى الاسلام» ••

* ولماذا هذه المسرحية الشعرية بالذات ؟

ـ لانها تمثل المنعطف القوى حول دخول البحرين فى تاريخها المؤمن •• فهل تصدق ان البحرين دخلت برسالة وليس بقتال •• رسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم للملك المنذر بن ساوى •• الذى اسلم ومات بعد اسلامه بشهر واحد •

وحدثت الردة فى البحرين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم •• وتزعمها الحطم بن ضبيعة العبدى •• فجاء حامل الرسالة الاولى •• هذه المرة حاملا سيفه •• جاء العلاء بن الحضرمى •• جاء بسيف الاسلام ليذل اعناق المرتدين ••

* ••• ••• ••• •••؟!

ـ واخيرا اقدم انتاجى الادبى الى القراء فى عمل مطبوع ••

* متى ؟!

ـ بعد ان افرغ مما نذرت نفسى له !

* وانت ؟!

ـ آخر من يكتب عن نفسه

* لماذا ؟!

- لان هذا هو الصدق الذى اعرفه !!

* كيف تفسر صدقك هذا ؟!

- ان اكتب عن الآخرين !

* مرة اخرى .. وانت ؟!

- حتما .. سيخرج فى الحقل الادبى مثلى .. ليكتب عن مبارك الخاطر بعد مماته !!

* اطال الله فى عمرك !

- لاكتب كل مافى جعبتى عن الآخرين

... ...

... ...

* الم اقل لكل اديب شاب ..! امامه كنز .. اغنى من بئر البترول !!

عبدالمنعم سليم

جريدة العروبة القطرية

عام ١٩٧٢

حوار على هامش كتاب
«نابغة البحرين»

عبدالله الزائد شخصية ادبية وصحفية بارزة تدين اليه الصحافة البحرينية الحديثة بالشيء الكثير ٠٠ كان من مؤسسى اول مؤسسة ثقافية حديثة فى البحرين (النادى الادبى) ٠ واول من اصدر جريدة ليس فى تاريخ البحرين فحسب بل فى تاريخ منطقة الخليج عموما والتى عرفت باسم جريدة (البحرين) ٠٠ واول من جلب مطبعة عصرية الى البلاد ٠٠ فى شعره نزعة تدعو الى الاصلاح والتغيير والتمرد على معوقات التقدم ٠٠ له ديوان شعر لم يطبع بعد ٠٠ ولا توجد اى بادرة تشير الى ان المسئولين فى وزارة الاعلام يفكرون فى طبعه ٠٠ وله ايضا مجموعة ضخمة من الخطب والرسائل الادبية ٠٠ عاش قرابة الخمسين عاما وتوفى فى عام ١٩٤٥ ٠

وقد تصدى السيد مبارك الخاطر لحياة الزائد وادبه ، فكتب دراسة تناولت الزائد من هاتين الناحيتين ٠ والدراسة تحت اسم (نابغة البحرين) ، وهى قيد الطبع الآن وسوف تطرح فى المكاتب قريبا ٠٠

ومبارك الخاطر واحد من المهتمين بالادب والنقد ، قد يجهله الكثيرون من ادبائنا الشباب ٠٠ ومحاولة منا

لتقديم الكتاب والتعريف بصاحبه كان هذا اللقاء السريع مع السيد مبارك الذى قدم نفسه قائلا :

انني احب الشعر والادب ، ويستهوينى الجيد منه ، ولقد تابعت ادب الزائد من كنت فى ريعان شبابى •• واستفدت كثيرا من توجيهات استاذى الشيخ محمد صالح يوسف خنجى ، والاستاذ عبدالرحيم روزبه • مما دفعنى الى الاهتمام بنتاج الزائد واستعنت بأصدقائه فى الحصول على قصائده • كما سافرت الى عدة مناطق فى الخليج العربى بحثا عن بعض هذه القصائد ••

وكانت دراستى «شذرات من حياة الزائد وادبه» والتى نشرت فى مجلة الخميلة فى اول يناير عام ١٩٥٢ اول دراسة تنشر وتتناول شعر الزائد •

كما انى نشرت بعض المقالات فى صحف عربية خارج البحرين ، واقمت امسية شعرية منذ فترة فى النادى العربى •

ويضيف السيد مبارك :

وقد تعرفت على ادب الزائد منذ عام ١٩٤٥ ، وبعد مضى اربعون يوما على وفاته عندما اقيم حفل تأبين له فى نادى البحرين ، القيت فيه مرثية الزائد التى كتبها قبل وفاته •

● هل يمكنك اعطاء فكرة عامة عن دراستك للزائد وادبه ؟

■ تنقسم هذه الدراسة الى قسمين •• الاول يتناول حياة

الزائد واعماله ، والثانى يتناول بالشرح والتحليل ادبه ٠٠ فقد كان للزائد عدة اولويات ، كما كان مصلحا اجتماعيا ذى نزعات تجديدية ساعد على نجاحها استعداد البحرينيين وتهيؤهم لتقبل الآراء الجديدة ، وقد تناولت هذا الموضوع بدقة فى الكتاب ، وارجعت هذا الاستعداد الى القرن التاسع عشر حيث ظهرت الإرهاصات القابلة للتغيير فى ثنايا المجتمع نفسه ٠٠ حيث كان هناك استقرارا اجتماعيا واقتصاديا ساعد على نجاح الدعوات التجديدية التى اطلقها الزائد ٠٠ وهذا الاستقرار لم يكن متوفرا فى مجتمعات الشرق عموما ٠٠ حيث كانت تشهد الحروب والمجاعات الرهيبة ، الامر الذى يؤدى الى الهجرات والتنقل ٠٠ والبحرين لم تشهد شيئا من هذا ٠٠ وان وجدت بعض القبائل التى هاجرت من البحرين فذلك كان يرجع الى ظروف واسباب سياسية وليس اقتصادية ٠٠

● هل افهم من هذا ان نجاح دعوات التجديد والتطور يرجع للظروف الاجتماعية السائدة لا لشخصية الزائد نفسه ؟

■ لا ٠٠ لم اقصد ذلك ٠٠ الظروف كانت مهيأة لتقبل دعوات التجديد ، هذا صحيح ، لكن هذا لا يعنى ان الطريق كان معبدا ومفروشا بالورود ٠٠ بل كانت هناك الكثير من الصعاب التى تمثلت خصوصا فى معارضة رجال الدين لهذه الدعوات ، ولولا حزم الزائد واصراره وجرأته

وايمانه بمبادئه وضرورة انتصارها لما كتب لهذه الدعوات النجاح ·

● قلت ان الكتاب ينقسم الى قسمين : قسم يتناول حياة الزائد والآخر يتناول ادبه ·· هل حاولت ان تربط بين ظروف حياة الزائد وبين ادبه ·· اى هل حاولت ان تبحث عن مدى انعكاس حياة الزائد على شعره وادبه ؟

■ طبعا ·· ادب الزائد ما هو الا خلجات نفسه التى يبلورها الى عمل ايجابى لصالح مجتمعه · لقد كان ادب الزائد يعكس كفاحه وعمله وظروف حياته ·· كان المرآة الصادقة الامينة فى نقل اتجاهاته وعكس نشاطاته المختلفة ·· وهذا ما حاولت تبيانه فى الكتاب ·

● الذى اعرفه ان الزائد عايش فترة الحرب العالمية الثانية ·· مامدى تأثير هذه المعايشة على ادبه ونشاطه الاجتماعى والثقافى ؟

■ لقد كانت جريدة البحرين التى كان عبدالله الزائد صاحبها ورئيس تحريرها خير تعبير عن نشاطه الاجتماعى المتأثر بظروف الحرب ·· وهذه الجريدة كانت نموذجا للصحف العربية الاخرى فى مصر والعراق وبلاد الشام وشرقي الاردن فى تلك الفترة ··

والحقيقة ان الحرب لم تستمر الا خمس او ست سنوات وهذه المدة قد لا تكون كافية للتأثير على شعره ·· الا انها على الرغم من ذلك تركت بصماتها واضحة عليه

•• وقصيدته (الحرب البحرية) الفائزة فى مسابقة القسم العربى لهيئة الاذاعة البريطانية صورة لشعره المتأثر بالحرب •• كما تلاحظ ان بعض قصائده كانت تزخر بالحماسة الوطنية والدعوة الى القومية العربية ٠

ولو اتيح لك الاطلاع على الشعر العربى فى تلك الفترة لوجدت ان هناك غرضا معينا هو المفاضلة بين الشرق والغرب •• وقد تأثر الزائد بهذا الاتجاه •• فكان يفضل الشرق على الغرب فى كثير من قصائده ٠

● كيف قيمت الناحية الجمالية فى شعر الزائد ، وما هى مميزات شعره كما لاحظتها من خلال دراستك عنه ؟

■ الحقيقة ان الزائد كان ناظما ولم يكن شاعرا •• انه قرض الشعر كهواية وصناعة فقط •• ومع ذلك فأسلوبه جزل وعبارته قوية •• وقد أجاد فى فن الرثاء واروع ماكتب كانت ملاحمه ومرثياته •• كما انه كان مرتبطا بالحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية آنذاك وقد اثر ذلك فى شعره •• لذلك يفترض ، بل ويجب ، فى الناقد الذى يتناول ادب الزائد ان يكون ملما بالظروف والاوضاع السياسية التى عاشها الزائد ٠ وكان طابع التقرير هو الذى يغلب على شعره ، وتلك احدى اهم مميزات هذا الشعر ٠

● قلت ان طابع التقرير يغلب على شعر الزائد كيف ذلك ؟

■ أقصد ان الاطار الذى يتحرك فيه خيال الشاعر كان

محدودا ‥ فهو يعطى المعنى مباشرة ، دون التحليق فى عوالم الخيال ودون الاكثار من الصور البلاغية والمحسنات ‥

● أفهم من ذلك انك تنفى الرومانسية فى شعر الزائد ‥

■ لا ‥ ليس تماما ‥ الرومانسية موجودة فى شعر الزائد بشكل محدود ‥ لم تكن قوية او واضحة ‥ لم يكن الزائد رومانسيا على اى حال ٠

● ألا تعتقد ان التقرير ترك تأثيرا سلبيا على القيمة الفنية لشعر الزائد ؟

■ هذا الاتجاه أثر طبعا فى شعره ‥ مثلا قصيدته (الشرق والغرب يلتقيان) ‥ أنا أضم صوتى للنقاد بفشلها فنيا ‥ وهى ليست سوى صورة دعائية حربية ‥ وعموما هى ليست من القصائد الناجحة فى شعر الزائد ‥ الا اننى لم اتطرق الى هذه النقطة فى الكتاب ٠

حسن مدن
صدى الأسبوع البحرينية
العدد ١٩٧٢/١٣٧



الزائد ... العطاء

عرض :
خالد عبدالله نعمة

... ان بين ادباء الجزيرة ... شابا ورد ادبه ... العربية ، الغرب ... من الموردين ، ... واشتدت لهجته ، ... غير صراحة ... ودليلها

... علي آل زائد ، ... الادباء هذا ما ... في كتابه ملوك ... سنة ١٩٢٢ . ... الزائد ..

في البحرين دفعه اولا الى انشاء مطبعة البحرين ..

وظهر فيما بعد ان جملة ما تجمع لدى الزائد من بقية ثروته ، وما اعانه به الاخرون من امراء المنطقة لا يعدو ان يصل به الى تنفيذ نصف المشروع .

ولكن الزائد لم يتسرع .. فقسم المشروع الى شقين .. وبدا في تنفيذ الشق الاول منه ، فكان ان بعث يستقدم من اوروبا مطبعة تحتوي على آلتين .. الاولى كبيرة لطبع الصحف ، والاخرى متوسطة لطبع المطبوعات التجارية .. وبعض الالات الصغيرة للقص والتخريم والتوضيب وبعض قطع الغيار .

وفي سنة ١٩٣٩ صدر اول عدد من جريدة البحرين « جريدة يومية تصدر مؤقتا مرة بكل اسبوع »

وليس بين يدي الان اي من اعداد هذه الجريدة ولكن من الملاحظ حسب ما اورد السيد الخاطر ان الصحيفة المذكورة كانت قريبة من الصحافة الحديثة .. ويبدو ذلك من خلال الموضوعات التي فيها .. وهذا مرده الى ان صاحبها الزائد كان يتنقل بحكم كونه تاجر لؤلؤ بين كثير من الدول ... يطلع على آخر ما وصل اليه ... في العالم آنذاك ..

... هذا ينسحب على معظم ... هم اميل الى الكتابة ... بين الكتابة

وتشييد المدارس حافلات
لها في القلب لا الارض البناء
تشيد من بناء العز صرحا
قواعده التضامن والاخاء
شباب الشرق جدا واتحادا
فان الامر جد واعتناء
انرضى بالهوان ونرتضيه
كأن النور والظلما سواء
فيا شرق انتصر بالعلم سعيا
لك الارواح قاطبة فداء

وقد وفق المؤلف السيد الخاطر في كتابة هذا لولا بعض الخصوصيات التي اوردها عن الزائد من خلال نشره الرسائل الاربع التي ارسلها الزائد لصهره . ويبدو المؤلف حذرا هنا ، حين يقول بالحرف الواحد : « ضاربين صفحا عن ذكر ما فيها من الشئون الخاصة » .

ولم يكن الزائد صحفيا واديبا فقط . بل كان مصلحا اجتماعيا .. ويتضح ذلك كما اسلفنا عند انشائه اول مطبعة حديثة في البحرين . وفي الحقل الاجتماعي كان له نصيب السبق .. فهو صاحب مشروع اعانة ايتام فلسطين ، ثم مشروع اعانة الفقير .

ويتكلم المؤلف عن الزائد كسياسي فيقسم تاريخه الى ثلاث مراحل ..

لكن ما يؤ... هنا هو الملف السياسي للزائد بعد ان ... هو بحرقه قبل وفاته .. وكان من شان هذا الملف ... حرقه خسارة كبيرة دون ...

حوار على هامش كتاب

"نابغة البحرين"

حسن مدن

عبد الله الزائد شخصية ادبية وصحفية بارزة تدين اليه الصحافة البحرينية الحديثة بالشيء الكثير .. كان من مؤسسى اول مؤسسة ثقافية حديثة فى البحرين (النادى ...) ، واول من اصدر جريدة ليس فى تاريخ البحرين ... بل فى تاريخ منطقة الخليج عموما والتى عرفت باسم (... البحرين) .. واول من جلب مطبعة عصرية ... شعره نزعة تدعو الى الاصلاح والتغيير ... التـ... .. له ديوان شعر لم يطبع ... الى ان المسئولين فى ...

نشر ...
يناير ...
تنشر ...
كمـ...
المقالات فى ...
البحرين ، ...
منذ فترة فى ...
ويضيف ...
وقد تعرف ...
منذ عام ٥ ...
اربعون يو...
أقيم حفـ...
البحـرين ...
الزائد الى ...
● هل ...
عامة ...

مجلة صدى الاسبوع البحرينية

القسم الأول

حياة الزائد

نابغة البحرين

أجمع أقارب الزائد وأصدقاؤه على انه كان قد تخطى الخمسين من عمره بسنة أو باثنتين يوم توفي عام ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م ، فيكون مولده حوالي عام ١٨٩٤ .

طفولته :

ولد عبد الله بن علي بن جبر الزائد بمدينة المحرق قصبة جزر البحرين – آنذاك – من أبوين عريقي النسب كريمي المحتد ، ينتميان إلى أسرة عربية من أكبر الأسر وأعرقها في البحرين والخليج العربي الا وهي أسرة آل زائد .

كان أبوه علي بن جبر من تجار اللؤلؤ في البحرين . وكان لا يقطع صلته بالكويت ، لوجود فريق من عشيرته هناك . حيث كانوا يعملون في تجارة عامة ، من ضمنها تجارة اللؤلؤ المربحة في ذلك الوقت . تلك التجارة التي كانت أقوى وأعظم عمل تجاري في الخليج العربي ان لم يكن في العالم أجمع حتى حوالي عام ١٩٣٠ .

اما المؤرخون فقد أجمعوا على أن البحرين كانت في القمة من حيث جودة مغاصاتها وحنكة تجارها في مضمار

تجارة اللؤلؤ ، فخرج الزائد الى الدنيا وهو ابن تاجر لؤلؤ .. فتربى في بحبوحة من العيش .

* * *

وكما هي العادة المتبعة مع أطفال البحرين — في ذلك الوقت — فقد أدخل الزائد الصغير الى أحد الكتاتيب . وهناك — وفي أربعة أشهر فقط — أتم حفظ القرآن الكريم[1] وتعلم شيئاً ليس بالكثير من القراءة والكتابة . ثم بدأ بحضور دروس للشيخ عيسى بن راشد[2] في اللغة العربية والفقه الاسلامي ، حتى تزود منهما بما يقوّم من لغته ويصلح من عبادته .

ملازمته لأبيه :

كان من العادات الحسنة المتبعة في البحرين — آنذاك — وخاصة بين الأسر العريقة أن يلازم الابن أباه منذ حداثته . فتارة يأخذ الأب ابنه معه إلى الأسواق .. يريه كيف يتعامل التجار وكيف يتصرفون مع بعضهم البعض ، بلباقة وحسن تصرف . وأخرى يأخذه معه الى مجالس الأمراء ، والعلماء ، وسراة القوم ، ليأخذ عنهم حسن السلوك ، وأدب المجالسة.

---

(١) قراءة وترتيلا لا استظهارا .

(٢) كان هذا الشيخ قاضياً بمدينة المحرق حتى الثلث الأول من القرن العشرين .

أما في هذه المجالس فكثيراً ما تُنشد الأشعار ، وتسرد القصص والأخبار . وكان الأب علي غالباً ما يزور هذه المجالس فيلتقي فيها بأصدقائه ورفاق صباه ، وابنه عبد الله بصحبته ، حيث لم يشتهر بابن سواه ، وان كان قد أنجب غير واحدة من الإناث .

مع شيخ الأدباء :

كان مجلس شيخ الأدباء الشاعر ابراهيم بن محمد آل خليفة [1] في مدينة المحرق من أفضل المجالس التي كان يغشاها الأب علي مع ابنه عبد الله من حين لآخر . كان هذا

---

(١) هو الأمير الشاعر الشيخ ابراهيم بن محمد بن خليفة الخليفة ، ولد حوالي عام ١٨٥٠ ودرس الفقه واللغة العربية وشيئاً من الحساب على بعض المشايخ في المدارس الدينية التي كانت منتشرة في البحرين آنذاك ، ومن مشايخه فيها الشيخ عيسى بن راشد .

وفي عام ١٨٨٥ كان الشيخ بمكة المكرمة وهناك جلس إلى بعض علمائها وأخذ عنهم بعض علوم الفقه واللغة ، وفي عام ١٨٨٦ زار عدن لمرافقة والده من منفاه هناك إلى مكة المكرمة حيث اختارها مقراً له . وفي الطريق إلى مكة نزلا بثغر جدة وهناك التقى الشيخ ابراهيم بصفوة من علمائها وجلس اليهم واستفاد منهم ومن جده الى مكة المكرمة مرة أخرى ، حيث نهل الشيخ من معين علمائها ما شاء له الله أن ينهل ، ثم عاد منها ال البحرين عام ١٨٨٨ . وفي عام ١٩١٩ عين نائباً لرئيس مجلس المعارف في البحرين ، وفي عام ١٩٢٢ التقى بالريحاني في البحرين وتوطدت بينهما الصداقة التي استمرت بعد ذلك عن طريق الرسائل المتبادلة بينهما ، وقد توفي الشيخ عام ١٩٣٣ ؛ وله ديوان مطبوع في البحرين .

المجلس ملتقى العلماء والأدباء والشعراء وعلية القوم باستمرار فيه يتطارحون الشعر بنوعيه العربي والشعبي[1] ، ويطالعون باستمرار ما استجد من الصحف أمثال اللواء لمصطفى كامل والمؤيد للشيخ علي يوسف ، والمنار للشيخ رشيد رضا . والأهرام والمقتطف .. وغيرها من الصحف العربية ، التي كانت تصدر في ذلك الوقت ، وترد الى البحرين عن طريق بمبي بالهند .

كانوا يقرأون ما ورد من الكتب الحديثة ، ويتناقشون .. وخاصة في ظواهر الحضارة الحديثة ، والشيخ ابراهيم بينهم مغتبطاً لما يراه من اقبال جلسائه على المطالعة والتزود بالمعرفة .

* * *

أما الزائد الصغير فوجد في ذلك المجلس بغيته ومراحه . فأخذ يواظب على زيارة مجلس الشيخ ابراهيم يقرأ .. ويقرأ ، ولا يكاد يشفي غليله من القراءة . استرعى ذلك الصبي نظر الشيخ حين رآه لا ينفك قراءة ومطالعة ، فأولاه اهتمامه ، ومضى يوجهه الى مناهل الثقافة والمعرفة . والزائد الصغير يقابل ذلك بكل تقدير واعجاب .. تقديراً للعلم وأهله ، واعجاباً بشيخ الأدباء ومجلسه ، الذي كان بمثابة المنتدى الثقافي الأول في البحرين .

---

(١) هو المسمى بالشعر النبطي .

مع الشيخ محمد صالح يوسف :

وفي ذات يوم – وبينما الزائد ووالده بمجلس الشيخ ابراهيم – قال الشيخ للزائد : – « اسمع يا عبد الله من رأيي – وأنت لا تزال بعدُ يافعاً – أن تدخل مدرسة يكون فيها معلم قوي في اللغة العربية ، تأخذ عنه أصولها وقواعدها . فإنه ليظهر لي أن سيكون لك شأن في الأدب والقريض » فأجابه الزائد مرحباً وموافقاً .

عمل الزائد بنصيحة موجهه الشيخ ، وانتظم في سلك مدرسة الشيخ محمد صالح يوسف[1] الأهلية . فأخذ عنه في خلال سنتين دروساً في اللغة العربية والعروض والحساب . ولقد أعجب الشيخ بذكاء الزائد ، وحسن أدبه فأخلص له متصادقاً ، وبقي حبل الصداقة بينهما موصولاً حتى النهاية .

---

(١) هو الأديب الشيخ محمد صالح يوسف خنجي درس في الأزهر الشريف وعاد منه في العقد الثاني من القرن العشرين ، حيث أسس مدرسة أهلية بمدينة المحرق ، لتدريس اللغة العربية والفقه والحساب . ثم عين معاوناً لرئيس بلدية المحرق ، وبقي فيها حتى نقل منها في أوائل الاربعينات من هذا القرن إلى مدرسة الهداية الخليفة بالمحرق ، حيث عين هناك مدرساً للغة العربية والدين . ثم نقل منها الى المدرسة الثانوية بالمنامة مدرساً لنفس المادة . وبقي فيها حتى أدركته الوفاة عام ١٩٦٦ . كان رحمه الله عضواً بالنادي الأدبي بالمحرق ويعتبر بحق من الحفاظ المشهورين في البحرين . وكان ضليعاً في اللغة العربية وآدابها .

الزائد في عصر النهضة في البحرين :

جاء الزائد الى الدنيا وعصر النهضة الحديثة لم يطرق البحرين بعد ، اللهم الا في مضمار التجارة .. طرقهـــا ووسائلها المنظمة . فإما أن تكون تجارة عامة ، أو تكون تجارة لؤلؤ .. هذه التجارة الأخيرة التي يعني ازدهارها ارتفاع مستوى المعيشة للمجتمع كله . ويعني انحطاطها انخفاض ذلك المستوى ، وكان حظ الزائد أن خرج الى الدنيا والبحرين في المستوى المزدهر فتربى ــ كما أسلفنا ــ في بحبوحة من العيش .

هذا في مضمار التجارة ، أما في مضمار التعليم فقد جاء الزائد الى الدنيا والتعليم في البحرين يتبع وسائل تقليدية في تحصيل العلم والثقافة ، اللذين غالباً ما يكونان دينيين . فلا أحد من المسنين ــ في البحرين ــ يذكر أنه توجد مدرسة نظامية ولو واحدة في البلاد يجري التعليم فيها على الطرق الحديثة ، ولها هيئة مدرسين قبل عام ١٩١٨ اللهم الا وجود مدارس أهلية شبه نظامية .

* * *

وليس معنى ذلك أنه لا يوجد في البحرين مثقفون متعمقون في مضمار النهضة الحديثة التي عمت البلاد العربية ، فشيخ الأدباء ــ كما أسلفنا ــ والمصلح الكبير الشيخ عبد الوهاب

ابن حجي الزياني[1] واضرابهما كانوا ممن تشبعوا بروح النهضة الحضارية الحديثة التي عمت العالم ، واقتنعوا بأخذ الصالح من أسبابها وحثوا المسئولين في البلاد على تعميمه فيها.

أما الزائد فقد تتلمذ على أيدي هؤلاء المصلحين وتشبع بآرائهم السديدة ، فقد أثبتت الأيام صدق نظرياتهم فيما بعد . كان مع الزائد في هذا المضمار شلة من الشباب الراشد المؤمن بقوة النهضة الحديثة في بعث حيوية هذه الأمة لتسلم مراقي العز والسؤدد ضمن الاطار العربي الاسلامي المنشود ، ولكن الزائد اختلف عن اترابه في أنه أخرج أفكاره التقدمية من طور التخطيط الى طور التنفيذ .

---

(١) هو فضيلة الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني .. ابن البحرين البار ومصلحها . كان رحمه الله في مقدمة من أرسوا دعائم النهضة الحديثة في البحرين في مطلع القرن العشرين . وهو يعد من كبار تجار اللؤلؤ في الخليج ، وكان دائم الترحال .

ولما تقرر انشاء مدرسة نظامية حديثة بالمحرمة أواخر عام ١٩١٨ تبرع هو بالذهاب الى العراق للتعاقد مع مدرسين لها ، فكان أن تعاقد مع مدرسين عراقيين هما السيد احمد العاني وعبد العزيز الدوري واستقدمهما معه الى البحرين ليعملا مع المدرسين من أهل البلاد في مدرسة أهلية اتخذت من بيت المحسن علي بن ابراهيم الزياني بالمحرق مقراً مؤقتاً لها . ولقد فتحت المدرسة أبوابها للتدريس قبل عامين اثنين من انتقالها الى المبنى الحالي عام ١٩٢١ باسم مدرسة الهداية الخليفية ، وهي الهداية الثانوية الآن .

توفي رحمه الله منفياً بمدينة بمبي بالهند في ٢٤ جون عام ١٩٢٥

الزائد التاجر

الزائد تاجر لوٌلوٌ :

عمل الزائد الشاب .. أول ما عمل مع أبيه في تجارة اللؤلؤ حيث أخذ عنه الحذق والمهارة فيها . أما درجة الأب ، من حيث قوة هذه التجارة وضعفها — بين أساطينها الماهرين— فمتوسطة لدرجة أن حالته المـــادية لاتسمح له بالمجازفة . فلما نزل عبدالله الى هذه السوق أخذ يعمل — بادىء ذي بدء — في حدود امكانيات أبيه المادية . الا أنه لما رسخت قدماه فيها ، وبرز اسمه بين تجارها اخذ يعمل بجد واتقان .. مستغلاً ذكاءه وفطنته في عقد صداقات متينة مع أساطين هذه السوق . وشيئاً فشيئاً كبر مركزه المادي ، وأخذ عن أبيه عبء العمل في تجارة اللؤلؤ الا في اليسير منها .

* * *

استمر الحال كذلك ، فكان يجتمع لدى الزائد في نهاية كل موسم من مواسم الغوص الشيء الكثير من اللؤلؤ ..

وكما يفعل كبار تجار اللؤلؤ في ذلك الحين .. يأخذ الزائد ما تجمع لديه من لؤلوئه إلى مدينة بمبي لبيعه هناك ، حيث يعود بربح أعظم من أن لو باعه محلياً .

ولقد سلك الزائد في حصوله على اللؤلؤ طريقين أولهما أنه كان يخرج بسفينته نحو سفن الغوص العاملة في مغاصات اللؤلؤ في الخليج فيشتري من ربابنة هذه السفن ماشاء أن يشتري ، ثم يعود الى البر بعد عدة أيام يقضيها في عرض البحر . وثانيهما بأن جعل له مكتباً خاصاً بهذه التجارة كان مقره بمدينة المنامه ، ثم حوله الى مدينة المحرق بعد ذلك .

في مدينة بمبي :

كانت مدينة بمبي ملتقى العرب من أبناء الخليج .. تجاراً وسواحاً . وكان يغشاها أيضاً — بين الآونة والأخرى — تجاراً وسواحاً من البلاد العربية الأخرى . لذلك فقد تعرف الزائد في رحلته الأولى الى بمبي عام ١٩١٨ [١] على كثير من العرب الوافدين اليها . فعن طريق أصدقائه من أهل البحرين هناك عقد الزائد عدة صداقات قوية اثناء رحلاته عام ١٩٢٢ و ١٩٢٤ مع تجار من عرب الكويت والجبيل [١] وعمان ، ومع الهنود أنفسهم .

---

(١) مدينة بالمملكة العربية السعودية على الساحل الغربي للخليج العربي كانت الثغر الرئيسي للمنطقة الشرقية قبل ان يكتشف الزيت وتصبح الدمام العاصمة .

ومن مدينة بمبي كان عبد الله ينطلق – في كل مرة يزور فيها هذه المدينة – إلى ربوع الهند الأخرى . كان الرجل يختلف عن كثير من تجار اللؤلؤ العرب في أنه لم يضع وقته سدى ، فاما تراه مشغولاً بتجارة اللؤلؤ ، أو مطالعاً لروائع الهند الفكرية . كان يقرأ في الصحف الهندية روائع طاغور واقبال الشعرية .. وفلسفة غاندي وتعاليمه في ثورته السلمية على الانجليز ، ومرافعات المحامي المسلم الثائر محمد علي جناح . يقرأ ذلك اما مترجماً الى العربية ، أو عن طريق صديق يترجم له ذلك .

هناك نشأت حاجة الزائد الى تعلم اللغة الانجليزية ، فلما عاد من احدى رحلاته هذه الى البحرين ، بدأ في أخذ دروس في هذه اللغة على يد مدرس أرمني خاص . ثم أخذ مقرراً دراسياً فيها على يد مدرس آخر .

* * *

وقد أتسم الزائد منذ نعومة أظفاره – كما اسلفنا – بقوة ملاحظته واستعداده الفطري للتطلع والبحث فيما حوله ، فلم يترك ظاهرة من ظواهر التقدم الحضاري في الهند الا درسها ووعاها . وفي كل مرة يؤوب فيها الى الوطن يكون قد أضاف الى معلوماته السابقة معلومات أخرى جديدة ، مما أعانته على بلورة أفكاره التقدمية في الخدمات الاجتماعية التي قدمها لوطنه فيما بعد .

اللؤلؤة المزيفة :

كانت بمبي — كما أسلفنا — سوقاً عظيماً لتجارة اللؤلؤ المزدهرة — آنذاك — وقد كان تجار اللؤلؤ من عرب الخليج على رأس هذه التجارة . كانوا كالجسد الواحد .. فالثقة ، والتواد ، وانكار الذات .. صفات تحلوا بتطبيقها فيما بينهم ، وبين الآخرين . صفات كانت تسترعي انظار غيرهم من الناس ، فيدهشون ويكبرون روح الاخلاص في هؤلاء التجار . وهم يولون تجار الخليج بالذات كل تقدير واعزاز ، لهذا لما عرض ملا ابراهيم[1] على زميله الزائد لؤلؤة حسنة التكوين بهية المنظر ابتاعها هذا منه ، وقفل راجعاً الى البحرين . ولؤلؤة ملا ابراهيم ضمن لآلئه .. في البحرين باع الزائد اللؤلؤة أياها على أحد التجار الذي اكتشف انها لؤلؤة مزيفة .. أو كما قالوا بأنها يابانية بعد أن تأكد هذا عند خبراء اللؤلؤ في البحرين .

* * *

قضيتان :

لم يستطع الزائد ولا التاجر أن يتفاهما في حل هذا الاشكال ، حتى تطور الامر الى أن رفع التاجر القضية الى الى العدالة . ولقد زاد من حساسية هذه القضية .. انها تمس

(١) أحد تجار اللؤلؤ في بمبي وينتمي الى طائفة البهره بالهند .

مباشرة سمعة تجارة هي عصب اقتصاد البحرين الوطني لهذا اعتبرت دعوى جنائية ، وصدر أمر بتوقيف عبد الله ومحاكمته ، فألقى القبض عليه في أمسية أحد أيام الصيف بعين عذاري[1] وجيء به الى بيته في المحرق وفتش فلم يُعثر فيه على شيء مما يجانس تلك اللؤلؤ موضوع الدعوى . لكنه اتُهم وقُدم الى المحاكمة فصدر القرار بنفيه خارج البلاد لمدة عامين . فاختار الزائد أن يقضي مدة النفي في بمبي .

هناك أقام الزائد دعوى أمام احدى محاكم مدينة بمبي على التاجر ملا ابراهيم .. تلك الدعوى التي عاونه في متابعتها الأستاذ سالم العريض الذي كان مقيماً في بمبي آنذاك[2].

في هذه الدعوى عرض الزائد حجته .. في أنه اشترى من الرجل ملا ابراهيم لؤلوة مزيفة .. لكن المدعي عليه دفع ذلك بقوله أنه باع الزائد لؤلؤة أصيلة وليست مزيفة .

وفي النهاية خسر الزائد قضيته .. وبقي في بمبي ليقضي

---

(١) كان الزائد وقتها يصلي المغرب ، فلما فرغ من صلاته رافق الشرطة الى بيته .

(٢) الأستاذ سالم عبد علي العريض من أبناء البحرين درس في الهند ثم عاد إلى بلاده حوالي عام ١٩٣٠ حيث عين موظفاً في جمارك البحرين ، ثم عين مدرساً بسلك التعليم ، ثم عين فوق عمله هذا مذيعاً بإذاعة البحرين عام ١٩٤٠ وفي عام ١٩٤٣ عين مباشراً لادارة محاكم البحرين ولا يزال يشغل هذه الوظيفة .

عدة النفي ما بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ ومنها انطلق في زيارة لأوروبا عام ١٩٣٠ .

* * *

على أنه لا الزائد ولا تجار اللؤلؤ من عرب الخليج كانوا يطمعون في حدوث مثل هذا الزيف ، والتحايل في تجارة هي عصب اقتصاد بلادهم ، ومحور معيشتهم . وأن من عانى ظروف تلك الحادثة وعاش ملابساتها ، وقال : عن اللؤلؤة المزيفة ، أنها قد دُست على الزائد دساً وهو في بمبي لا يكون قد جانب الحقيقة ، فكل ظروف الحادثة واحتمالاتها كانت تشير بذلك (١).

زياراته للبلاد العربية وأوروبا :

قام الزائد بزيارات للبلاد العربية عدة مرات ، وخاصة العراق ومصر والشام ، حيث اتصل بقادة الفكر هناك واستفاد منهم . اما في مصر فقد مكث مدة من الزمن مكنته من الاتصال بأعلامها ومفكريها أمثال السيد رشيد رضا وطه حسين ومحمود العقاد ومحمد علي الطاهر واستفاد منهم أيضاً .

---

(١) كان من عادة الزائد اذا قصد مدينة بمبي أن يبيع ما لديه من لئالئ ، ولا يشتري من هناك شيئاً الا القليل الممتاز ، على عادة جميع تجار اللؤلؤ من ابناء الخليج . ولكن لما عرض عليه ملا ابراهيم تلك اللؤلؤة ، وكانا على انفراد .. لحسنها واعتدال سعرها اشتراها عبد الله منه آملا من ورائها ربحاً كبيراً .

كان لزيارة الزائد لأوروبا سببها الرئيسي وهو انه قد تجمع لديه ــ بعد حادثة اللؤلؤة المزيفة ــ لآلئ كثيرة .. فقصد بها الى أوروبا لتصريفها هناك . فكان أن زار ايطاليا وفرنسا حيث باع بعض تلك اللآلئ وجاء الى لندن واستقر بها . هناك قضى قرابة عام واحد عاد بعده الى بلاده عن طريق البلاد العربية . كان ذلك عام ١٩٣١ بعد أن قضى قرابة ثلاثة أعوام خارج البلاد، نتيجة حادثة اللؤلؤة المؤسفة.

في الحقل الوطني

مخططه الاصلاحي :

توطئة : — بعد أوبة الزائد إلى الوطن بعد زيارته لأوروبا استمر في تجارة اللؤلؤ التي بدأت تسير في طريق مسدود ، بعد مزاحمة اللؤلؤ الصناعي لها ، فكان يسعه ما يسع اخوانه من تجارها أجمعين .. وخاصة أن الكارثة عامة شاملة لجميع اللؤلؤ الطبيعي في العالم .

هذا عن الزائد التاجر ، وأما عن الزائد المصلح فقد أجمع معاصروه على أنه كان يعيش قولاً وعملاً في خدمة بلاده بشتى مجالات الحياة . كان من أمنياته أن يرى امارات الخليج وقد انتظمت في دولة واحدة .. تضاف بعد ذلك إلى دولة العرب الكبرى المنشودة .

ولما كانت وسيلة النشر بالكلمة المطبوعة هي من الدعائم الأولى في نشر الوعي الحضاري بين الأمم، فقد سيطرت

هذه الفكرة على الزائد سنين عديدة ، فكان من أهم أمانيه المبكرة أن ينشئ في بلاده مؤسسة للطباعة والنشر .. بل انه كثيراً ما أفصح لأصدقائه المثقفين عن رغبته في انشاء مؤسسة للصحافة في البحرين تكون مناراً يشع على جميع امارات الخليج بالخير والمحبة .

في حقل الطباعة :

في عام ١٩٣٤ بدأ الزائد يستعد لاستقدام أول مطبعة آلية حديثة الى البحرين ، اذا استثنينا المطبعة الحجرية التي كانت تعمل في المنامة إذ ذاك .

نظر عبد الله فرأى حالته المادية ــ بعد تضعضع أسواق اللؤلؤ ــ لا تسمح له بتغطية ثمن مطبعة كاملة العدة والعدد ، ما لم يجازف بمكانته كتاجر لؤلؤ عريق .. وهكذا قرر ، فأخذ ينسحب من تلك التجارة تدريجياً .

بدأ الزائد أولاً في الامتناع عن شراء لآلئ جديدة ، توفيراً لرصيده النقدي . ثم فكر بأنه لو عرض جميع ما لديه من لآلئه في السوق لبيعها لما أعطى فيها الأثمان التي كان يأملها . لذا هداه تفكيره بأن ينظم تلك اللآلئ عقوداً ويهديها إلى أمراء الخليج ، عسى أن يجني من وراء ذلك ما يعينه على تنفيذ مشروعه .

وهكذا استقر رأيه بتعزيز من صديقه راشد الجلاهمة[1] فنظم بيديه أفضل لآلئه عقوداً ، واعطاها لراشد فغادر هذا البحرين وفرقها على أمراء البلاد المجاورة ، وعلى رأس هؤلاء الملك غازي ملك العراق . والأمير احمد الجابر الصباح أمير الكويت ، والأمير عبد الله بن جلوي أمير المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية . ولقد قدم هذان الأخيران اكبر اعانة — في حينها — للزائد .. حيث دفع كل واحد منهما مبلغ الفي روبية .

مطبعة البحرين :

ظهر فيما بعد أن جملة ما تجمع لدى الزائد من بقية ثروته ، وما أعانه به الآخرون من أمراء المنطقة لا يعدو أن يصل به إلى تنفيذ نصف المشروع . ولكن الزائد لم يتريث فقسم المشروع إلى شقين فبدأ في تنفيذ الشق الأول منه فكان أن بعث يستقدم من أوروبا مطبعة تحتوي على آلتين الأولى كبيرة لطبع الصحف والأخرى متوسطة لطبع المطبوعات التجارية وبعض الآلات الصغيرة للقص والتخريم والتوضيب وبعض قطع للغيار .

---

(١) صديقه ورفيق طريقه النضالي راشد بن صباح الجلاهمة الذي كان له اليد اليمنى في ادارة المطبعة ومن بعدها الصحيفة . وفي هذا المجال يبرز اسم الرجل محاس القحطاني كمبعوث آخر بعثه الزائد ليهدي بعض عقود لتآليه الى بعض الشخصيات البارزة في منطقة الخليج .

وقبل أن تصل آلات الطباعة الى البلاد ، نفذ الزائد الشق الثاني من مشروعه ، وهو ما يتعلق بالامور الإدارية والفنية . فبعث بصديقه راشد الجلاهمة الى بغداد للتدريب على فن الطباعة والادارة ، وأوصاه أن يستقدم معه — حين عودته — خبيراً في هذا الفن .

* * *

بقي راشد في بغداد لهذا الغرض قرابة سبعة اشهر ، عاد بعدها الى البحرين منتدباً معه خبيراً فلسطينياً في فن الطباعة[1] . عاد صديق الزائد الى البلاد فوجد أن آلات الطباعة قد وصلت إلى المنامة وركبت في دار استؤجرت لهذا الغرض[2] .

دارت الآلات وبدأ العمل .. وتحقق أول مشروع في مخطط الزائد ، حيث افتتحت أول دار للطباعة والنشر . لا في البحرين فحسب بل في الخليج كله وأصبح الجلاهمة مديراً لمكتبها .

---

(١) هذا الخبير فلسطيني الأصل يدعى نوح ابراهيم ، وبعد ستة اشهر من عمله بالمطبعة تركها مختاراً لينظم إلى مقاتلي الثورة الفلسطينية التي اشتعلت ضد الانتداب البريطاني في فلسطين عام ١٩٣٦ . وقد جاء نبأ استشهاده بعد ذلك في احدى المعارك هناك .

(٢) دار تقع بمنتصف شارع الخليفة بالعاصمة مكان بنك الرافدين الآن ؟ .

المطبعة تعمل :

بدأت المطبعة أعمالها في انجاز المطبوعات الحكومية والتجارية للبحرين والامارات العربية والمملكة العربية السعودية أيضاً . وفي تلك الأثناء تبرع الملك عبد العزيز بن سعود بمبلغ ألفي روبية اعانة للمطبعة وقد تسلمها الزائد عن طريق وكيل ابن سعود في البحرين .

وبأيدي وطنية مخلصة استمرت المطبعة تعمل .. وتعمل ، فقد جعل الزائد كل موظفيها من شباب البحرين المتلهف للعمل . شجعهم وجاء لهم بخبير فني — كما أسلفنا — أشرف على تدريبهم بإخلاص خلال ستة اشهر ثم غادرهم مختاراً فاجتهدوا وأثبتوا وجودهم . ولا تزال بقية منهم تعمل في مطابع البحرين .

بعد هذه الفترة بعام واحد استقدم الزائد من الهند معدات أخرى للطباعة نتيجة لتوسع أعماله المطبعية .

مطبعة الزائد ليست الاولى

حين ندخل فى تفاصيل ادق عن الطباعة فى البحرين نجد ان مطبعة الزائد تعد المطبعة الثانية فى النشأة لافى البحرين فحسب •• بل فى الخليج ، فاذا كان الأمر كذلك فما هى المطبعة الاولى فى النشأة فى البحرين والخليج .؟

ان الجواب على ذلك ليس بالامر الصعب ، فقد كان من المعروف ان بلاد الخليج والجزيرة العربية كانت تبعث بمطبوعاتها الرسمية وغير الرسمية الى مطابع الهند الحجرية منها وغير الحجرية بالدرجة الاولى ، والى مطابع البصرة ، والقاهرة بالدرجة الثانية •

وباستثناء البحرين فقد استمر الحال كذلك حتى حلول الاربعينات فى كل من الخليج والجزيرة العربية[1] • اذ لم تبدأ تجربة هذه البلاد مع الطباعة الحديثة الا فى هذه الآونة ، وقبلها بقليل ، اما البحرين فقد بدأت تجربتها فى هذا المجال اوائل العقد الثانى من القرن العشرين او بالتحديد ابتداء من عام ١٩١٣ حين استقدم الرجلان الحاج احمد بن عبدالواحد فرامرزى ، والحاج ميرزا علي جواهرى مطبعة حجرية الى المنامة • كان الاول رجلا ثريا وكان الثانى صانع اختام •

---

(١) باستثناء الطباعة فى الحجاز •

لقد تعاون الاثنان فجاءا بالمطبعة ووضعاها بدكاكين كانت تقع بشارع ولى العهد بالمنامة كانت المطبعة تنجز طبع القرطاسيات التجارية والكراسات الدينية والعلمية •

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى مباشرة قام صاحبا المطبعة بادخال تحسينات عليها ، فأضافا اليها تطويرا جديدا حيث جلبا من مدينة «ليبزج» بألمانيا آلة طباعة صغيرة مع حروفها ، لكنهما لعدم امكانياتهما المادية لاستجلاب كميات كافية من حروف الطباعة تلك لعمليات الطبع المختلفة ، اقتصرا على استعمالها لطبع القرطاسيات الرسمية والتجارية •

لقد بقيت مطبعة البحرين الاولى بقسمها الآلى الصغير فى مقرها الاول حتى اوائل العشرينات ثم انتقل بها صاحباها الى مبنى يقع غربى جامع الشيخ قاسم بن مهزع ، هذا المبنى كان يدعى بيت الكازرونى ، فى هذا المبنى استمرت المطبعة فى تأدية رسالتها فسدت فراغا كبيرا فى مجال الطباعة بالدرجة الاولى والنشر بالدرجة الثانية ابتداء من تأسيسها حتى الثلاثينات من هذا القرن •

وعلى ذكر الطباعة والنشر فى البحرين اوائل القرن العشرين نقول ان مطبعة البحرين الاولى لم تكن لتؤدى مهمة الطباعة فحسب بل كانت ايضا اداة لنشر الثقافة والمعرفة لا فى البحرين وحدها بل فى الخليج ايضا •

لقد اجمع على هذا القول واكده كل من اتصلنا بهم

من شهود هذا الحدث ، ممن سجلنا اقوالهم عنه اواخر خمسينات هذا القرن من بقايا الرعيل المثقف اوائل القرن العشرين ، امثال الشيخ الشاعر محمد بن عيسى الخليفة ، والاستاذ الشيخ محمد صالح يوسف اما تفاصيل هذا الحدث فقد اخذناها من الاستاذ سلمان احمد كمال واحمد حسن ابراهيم فكان فى هذه التفاصيل اضافات مهمة تتعلق بكيفية البدء والانتهاء فى حياة مطبعة البحرين الاولى ·

كان ذلك قبل نصف قرن من تأسيس المطبعة الثانية فى البحرين ، الا ان مردود ذلك على العطاء الثقافى لرواد الثقافة الحديثة فى البلاد كان ضعيفا وبالتالى لم يكن هناك كتاب يدفعون بمؤلفاتهم الى مطبعة البحرين الاولى ، التى وان كانت قد قامت بطبع ونشر بعض الكتب العلمية كمجارى الهداية والدينية كختم القرآن فى محاولة من صاحبيها لجعلها مؤسسة للطباعة والنشر فى البحرين ، الا ان ذلك قد لا يعتبر دليلا على ان هناك نشاطا كبيرا للمطبعة الاولى فى هذا المجال ·

كذلك فان من بين الاسباب لندرة مطبوعاتها قصر عمرها فى هذا المجال ، ثم افلاس صاحبيها ، وتخلصهما منها وبيع بقية حروفها الى الاستاذ سلمان احمد كمال صاحب المكتبة ، الذى سندعه يحدثنا عن ذلك فى شهادة معاصرة عن الايام الاخيرة لمطبعة البحرين الاولى ، حيث

يقول ما نصه : (ان مطبعة البحرين الحجرية كانت موجودة فى المنامة اثناء الحرب العالمية الاولى ، وبعدها مباشرة جاءوا لها بآلة طباعة صغيرة مع حروفها من مدينة «ليبزج» بالمانيا ٠٠ وان صاحبى المطبعة فى النهاية افلسا فى الاستمرار فى عمل الطباعة ولحقتهما ديون ، مما دعاهما للتخلص منها ومن حروفها ، وقد كنت عازما آنذاك على تأسيس مطبعة آلية بالبحرين وفعلا اشتريت حروف مطبعة البحرين الاولى من صاحبيها لهذا الغرض ، لكنى بعد ان استخرجت تصريحا رسميا من حكومة البحرين لتأسيس مطبعة جديدة اوائل الثلاثينات علمت بأن الاستاذ عبدالله الزائد استطاع ان يحصل على تصريح مماثل بتأسيس مطبعة ، فرأيت ان البلاد لا تستوعب مشروعين متماثلين آنذاك لغرض تجارى واحد ٠٠ فالغيت مشروعى ، وبعت حروف مطبعة البحرين الاولى على الاستاذ عبدالله الزائد ، فاستعمل تلك الحروف ، فى الايام الاولى للمطبعة التى اسماها ايضا مطبعة البحرين) ٠

هذه شهادة صاحب المكتبة الكمالية عن مطبعة البحرين الاولى ، ومنها تتضح الكيفية التى انتهت بها حياة المطبعة الاولى ذات الشقين الحجرى والآلى ، وان ذلك الانتهاء كان فى مفتتح الثلاثينات من هذا القرن ٠

مطبعة الزائد
التجربة الثانية فى البحرين

الحديث عن التجربة الطباعية الثانية فى البحرين ، حديث شيق بسبب ان نكهة البدايات الاولى للعمل الطباعى فى الخليج تشمله بطراوتها وطرافتها • فعبدالله الزائد ، كما تحدثنا عنه فى ختام حديثنا عن التجربة الطباعية الاولى لا فى البحرين فحسب ، بل فى الخليج كله ، كان يقتسم التفكير هو والاستاذ سلمان احمد كمال (صاحب المكتبة الكمالية بالمنامة) المؤسسة عام ١٩١٩ فى محاولة استجلاب مطابع حديثة الى البحرين ، تختلف جدة وتقنية عن مطبعة البحرين الاولى •

واذا كان الامر كذلك •• فهل كان ذلك التفكير لتحديث الطباعة فى البحرين وقفا على هذين المفكرين الطليعيين ؟ كلا فان التفكير فى هذا المجال الحضارى من اجل تقدم الخليج كان مسيطرا على اذهان مثقفى البحرين والخليج كغيره من المجالات الحضارية الاخرى •• منذ مفتتح القرن العشرين ، وان فى التجربة الطباعية الاولى فى البحرين عام ١٩١٣ كما اسلفنا تنفيذا عمليا لجزء من ذلك التفكير •

من هذا المنطلق وآخر غيره بالدرجة الثانية ، قام

الزائد بتنفيذ تجربة البحرين الثانية فى مجال الطباعة الآلية الحديثة ، فأخرج مطبعة البحرين الثانية إلى الوجود بعد ان تخلى زميله الاستاذ سلمان كمال عن القيام بها ببيعه مخلفات المطبعة الاولى •

لقد افادتنا شهادة الاستاذ سلمان كمال التى اثبتناها فى الجزء الاول من هذا البحث ـ افادة طيبة ، وما ينبئك مثل خبير كالاستاذ سلمان الذى عانى محاولة اخراج مشروع للطباعة الحديثة فى البحرين اواخر العشرينات من هذا القرن • وهذا يسلمنا الى القول الى ان الزائد الذى كان يعانى نفس المحاولة فى ذلك الوقت كان قد استطاع اخراج المحاولة الى الوجود فى مفتتح الثلاثينات من هذا القرن ، وليس عام ١٩٣٤ كما قلنا فى الاصدار الاول من كتابنا (نابغة البحرين) ، لعثورنا على وثيقة فى هذا المجال تخالف ذلك ، وتعيننا فى الحديث عن البدايات الاولى لتجربة البحرين الطباعية الثانية بشىء من التفصيل •

وشهادة اخرى

اذن فتجربة البحرين الطباعية الثانية نفذت تنفيذا حديثا قبل عام ١٩٣٤ بدليل ان هناك رسالة من الاستاذ عبدالرحمن بن حسن الحسن احد عمال المطبعة مؤرخة فى ٢/١٠/١٣٥٢هـ اى ١٧/١/١٩٣٤م وموجهة الى الاستاذ عبدالله الزائد تشير الى ان «مطبعة البحرين الثانية

كانت فى خضم عملها عام ١٩٣٤ ، وان موجه الرسالة كان قد تدرب فيها ، حتى اصبح صفافا للحروف ، ثم ترك المطبعة لقلة الراتب الذى كان يتقاضاه ٠٠ ومن المعروف ان الاستاذ الحسن ليس من اوائل المنضوين تحت مظلة مطبعة البحرين الثانية حسبما افادنا المرحومان راشد بن صباح الجلاهمة ، وابراهيم الزائد ، اللذان كانا على رأس العاملين الاوائل بالمطبعة ٠ فلكى يصبح الاستاذ الحسن صفافاً مجيدا ، فلابد ان يقضى فترة للتدرب على ذلك لمدة لا تقل عن نصف عام ٠ وقد اكد هو ممارسته لذلك التدرب فى رسالته التى ننشر نصها للاستنارة بها فى الحديث عن البدايات الاولى لعمل مطبعة البحرين الثانية ، تقول الرسالة :

(٥٢/١٠/٢ بسم الله)

حضرة الاخ عبدالله بن علي الزائد المحترم ٠

بعد السلام عليكم ، اخبركم انه اخبرنى رسولكم عبداللطيف بن جوهر انكم تريدون رجوعى الى المطبعة بشرط اجتهادى فى العمل وتقدمى فيه فأقول اننى احسن تنضيد الحروف معا قبل خروجى من المطبعة لانى رضت بها نفسى ولا سيما العربية فانى اتقنها صفا فنيا ووضعا اعرابيا غير انى اصف الانجليزية فقط لعدم تطلعى على اصطلاحاتها وانى ان شاء الله سأدرس اصطلاحاتها اذا يحصل منك زيادة فى الراتب فعلا لا قولا وانى كما تعلم

اقوم بوظيفة اخرى وهى تحسين الخط بجميع انواعه ، والمطبعة وان كانت ابتدائية لم تنقش فيها اكليشهات وغيرها ، فلا تستغنى عن خطاط لانه اذا اردا احد من صاحب المطبعة كتابة عنوان ما كتبه خطاطها والمحصول لصاحب المطبعة لان الخطاط ماله الا راتبه المقرر له فقط بشرط ان يزيد راتبه على راتب الصفاف بربع الراتب على الاقل الا اذا كان الصفاف ضابطا للغتين العربية والانجليزية صفا وخطا ومعنى فيتساويان فى الراتب . وانا صفاف وخطاط فاذا اردتمونى فانا مستعد بالشرط المذكور فتأمل ولا يخفى لدى ذوى الخبرة ان اعلى راتب لعمال المطابع بعد الصفاف الناظر .

عبدالرحمن بن حسن

تلك رسالة عبدالرحمن الى الزائد ، وقد بعث بها اليه كرد لرسالة شفوية كان قد حملها الزائد احد موظفيه(١٠) الى عبدالرحمن يطلب منه فيها العودة الى العمل بالمطبعة ، بشرط الاجتهاد فى العمل والتقدم فيه ، فكان الرد هذه الرسالة المكتوبة بخط الرقعة الجميل الذى اشتهر به الاستاذ عبدالرحمن كأحد خطاطى الربع الثانى من القرن العشرين فى الخليج ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان هو المدرس الاول للخط فى الهداية الثانوية منذ الاربعينات حتى اواخر الخمسينات .

اما موضوع الرسالة فيشير بالتالى :

اولا : ان الاستاذ عبدالرحمن ترك المطبعة لضعف راتبه بها ، مع انه كان من المبرزين بين موظفيها • وكأن قد ساءه ان يطلب منه الزائد الاجتهاد فى العمل والتقدم فيه ان كان يود ان يعود للعمل بالمطبعة ، فرد عليه بالدفاع عن نفسه كعامل مفن متقن لعمله • فهو يقول عن نفسه انه خطاط المطبعة الرسمى ، وصفاف للحروف العربية واللاتينية بها • وكما اشترط عليه الزائد بالاجتهاد فى العمل والتقدم فيه ، اشترط هو زيادة راتبه فى مقابل ذلك ، بسبب ميزاته الفنية التى ذكر منها انه يتقن اللغة العربية صفا فنيا ووضعا اعرابيا • لكنه يعترف انه يصف الحروف اللاتينية دون ان يعرف مصطلحاتها ووعد بأنه سيدرس تلك المصطلحات ، وعلق ذلك بزيادة راتبه من قبل الزائد •

ثانيا : ان الرسالة تتعرض الى شىء من نظام العمل فى مطبعة البحرين الثانية يعطينا صورة مصغرة عن ضعف امكانياتها فى مبتدأ امرها • فعن نظامها يقول الاستاذ عبدالرحمن ان بها ناظرا ، وليس بها نظام نقش الكليشيهات ، وان نظام الرواتب بها ليس مرتبا حسب الخبرة والكفاءة • ثم يعطى بعض التصور لوصف وظيفى يجب ان تأخذ به ادارة مطبعة البحرين الثانية ، فيشير الى ان المطبعة ـ اى مطبعة ـ مهما تكن فى بداية امرها تحتاج الى خطاط ، وان راتبه يجب ان يزيد بقدر ربع راتب فوق

راتب الصفاف ، الا اذا كان ذلك الصفاف يتقن صف الحروف العربية ، واللاتينية فيتساويان فى الراتب ٠

هذه بعض مآخذ الاستاذ عبدالرحمن على المطبعة ونظامها ، وهى مآخذ تنطلق من اهتام الاستاذ بمشكلته هو مع صاحب المطبعة ، مما تعرض له كخطاط مفن وصفاف متقن ، ولقد كان صادقا فى ابراز صورة لحالة مرحلة كان قد عايشها فى المطبعة ٠

الا ان المطبعة تجاوزت تلك المرحلة بسرعة وتقدمت تقدما مذهلا فلم يحل النصف الثانى من الثلاثينات الا وقد استكملت نواقصها ، وخاصة فى نقش الكليشيهات ، واستعدت لاصدار جريدة البحرين ٠ ذلك ما امكننا التقاطه من ملاحظات على رسالة الاستاذ عبدالرحمن الحسن الى الاستاذ الزائد ، مما اعطتنا اياه تلك الرسالة من صورة مصغرة عن نظام العمل ـ بادىء ذى بدء فى مطبعة البحرين الثانية ٠

اما ما يتعلق بمصير الاستاذ الحسن نفسه بعد ارساله الرسالة الى الزائد ٠ فنترك لرسول الزائد السيد عبداللطيف بن جوهر الحديث عن ذلك حيث ادلى لنا بالشهادة التالية :

قال : (قبل كل شيء لابد ان نعرف ان الاستاذ عبدالرحمن الحسن كان من امهر الفنيين بالمطبعة خاصة فى الخط وصف الحروف ٠ ولكنه كان حاد المزاج وهى صفة

يشاركه فيها الاستاذ الزائد • فكانا كثيرا ما يتناقشان ويتلاحان اثناء العمل •• حتى تصل الحال فى بعض الاحيان ـ الى ان يترك الحسن العمل فى المطبعة • ويذهب الى البيت ثم يترضاه الزائد فيعود اليها مرة اخرى ••

اما بشأن مبعوثيتى اليه ، فقد عاد بعدها الى العمل بالمطبعة ، وظل يعمل بها حتى تركها اثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث عمل مدرسا فى مدرسة الهداية •

التجربة والتنفيذ

ذلك شيء من حيثيات البدايات الاولى لتجربة البحرين الثانية فى مجال الطباعة فكيف تنفذت ، وماهو عمرها ، وكيف انتهت لتخلفها التجربة الثالثة ، التى اثبتت وجودها ونجحت فى الاستمرار مستفيدة من التجربتين السابقتين ، ومن ثم استطاعت ـ منذ اواخر الاربعينات ـ وضع نفسها فى فلك الطباعة الحديثة المستجدة •

الاجابة على هذا السؤال ذى الثلاث شعب تقتضى الاستنارة بما سجلناه قبل سبعة عشر عاماً فى كتابنا (نابغة البحرين) عن هذه التجربة التى بدأت بتأسيس مطبعة البحرين الثانية ، وانتهت بانتهاء حياتها • فى البدء كانت الاستعدادات الاولى لتنفيذ التجربة قد انتهت بشراء الزائد بقايا مطبعة البحرين الاولى بين عامى ١٩٣٠ و١٩٣١ ،

كما ذكر ذلك الاستاذ سلمان كمال فى شهادته • اما استعدادات الزائد الاهم من ذلك فهى التى نتجت عن ابتياعه مطبعة آلية حديثة بعد ذلك بعام واحد ، ومعنى ذلك ان الزائد ربما بدأ العمل فى مطبعة البحرين الثانية بين عامى ١٩٣١ و١٩٣٢ ، فالمعروف عنه انه حتى تلك الفترة كان تاجر لؤلؤ عريقا ، لكن حالته المادية كانت قد تضعضعت بعد ان تدهورت اسواق اللؤلؤ الطبيعى كغيره من تجار هذا الحجر الكريم فى الخليج ، فكأن ذلك كان سببا فى اخراج الزائد المفكر من قوقعة الجمود المادى الى الحيز الطباعى المستنير ، ومن ثم الى مدار الفكر الصحفى ، الذى كان يلمسه ويحس به كل مستقرىء لرسائله التى كان يبعث بها من الخارج الى اصدقائه الخلص ، ومنهم الشيخ الشاعر ابراهيم بن محمد الخليفة منذ العشرينات من هذا القرن ، مما يجعل ذلك المستقرىء يعثر على وجود خلفية صحفية بارزة لدى الزائد •

ا كانت الطباعة هى ام الصحافة فلم لا يبدأ بها الزائد ؟ وكان ان بدأ ، حيث اوقف تعامله مع اللؤلؤ ، وحين رأى ان اللآلىء الباقية لديه قد بخس ثمنها ، شأنها شأن جميع اللآلىء الطبيعية •• قرر بيعها والتخلص منها مقابل مردود مادى مجز فى نفس الوقت ، ليتمكن بذلك المردود من شراء المطبعة ، فماذا فعل لتحقيق ذلك ؟ قام بتحويل بقية لآلئه الى عقود بعث بها الى ملوك وامراء منطقة

الخليج ، فحملها رفيق كفاحه المرحوم راشد بن صباح الجلاهمة الى خارج البلاد وفرقها هدايا على ملوك وامراء المنطقة كالملك غازى ، والملك عبدالعزيز بن سعود ، والامير احمد الجابر الصباح ، والامير عبدالله بن جلوى ، وجاء الى الزائد بمردود غير مجز لشراء مطبعة حديثة ، فلم يثن الزائد قلة المردود ·· فقام بتجزئة مشروعه الى جزئين ، بحيث نفذ الجزء الاول باستجلاب مطبعة من المانيا ذات آلتين متوسطتين لطبع الاوراق التجارية ، وما يتبعها من بعض آلات القص والتخريم والتوضيب ·

ولبعد نظر عبدالله الزائد حيال مشروعه هذا فقد اعطى الاولوية فيه للادارة ، فبدأ قبل كل شيء ·· وقبل ان تصل آلات المطبعة الى البحرين بابتعاث رفيقه الشاب راشد بن صباح الجلاهمة الى بغداد للتدرب على الاعمال الادارية للمطبعة واوصاه باستقدام خبير عربي فى فن الطباعة الى البحرين ، للعمل فى المطبعة ·· فغادر راشد البلاد الى بغداد ، وبعد سبعة اشهر عاد الى البحرين وبرفقته الاستاذ ابراهيم نوح الخبير الفلسطينى الاصل وعن طريق راشد والخبير ابراهيم استطاعت مطبعة البحرين الثانية ان تحتضن مجموعة من شباب البحرين ، وتدربهم على العمل الطباعى · فلم يمر عام واحد على بدء عمل المطبعة حتى اصبح كل عمالها وموظفيها من شباب البلاد ·

منهم من اصبح بعد ذلك مدرسا كالاستاذ عبدالرحمن

حسن الحسن • او شاعرا كعبداللطيف جوهر ، او صحفيا كعبدالرحمن عاشير • وآخرون كثيرون تكونت من اسمائهم قائمة طويلة خلال عملهم بالمطبعة منذ اوائل الثلاثينات حتى اواخر الاربعينات ومنهم من استفادت من خبرته مطابع البحرين ابان الخمسينات والستينات ، هى ظاهرة طليعية كريمة تفردت بها مطبعة البحرين الثانية ، الامر الذى لم تستطعه اية مؤسسة صناعية وطنية ليس قبل نصف قرن فحسب ، بل حتى زماننا هذا ، وما ذلك الا بسبب ان صاحبها كان يتميز حبا وغيرة على الوطن واهله •

يبقى السؤال عن تحديد يوم الاحتفال بافتتاح مطبعة البحرين الثانية ، فقد قصرت وسائلنا منذ عقد من السنين حتى الآن عن تحديد ذلك اليوم •• اذ لم يكن عند اى واحد من اولئك الذين كانت لهم صلة قريبة او بعيدة بالزائد او بمطبعته اى معلومة عن ذلك سوى انهم اجمعوا على ان افتتاح المطبعة كان عام ١٣٥١هـ (اى عام ١٩٣٢) وان موقعه كان بشارع الخليفة بالمنامة قرب مكتب شركة البرق واللاسلكى الآن •

وان موقع المطبعة هو موقع بنك الرافدين القديم بالشارع نفسه •

وهنا لابد من الاستشهاد بأقوال بعض من حضروا حفل افتتاح المطبعة او شاركوا فيه بأية فعالية •• مثل السيد خليفة ابراهيم مطر والسيد عبداللطيف جوهر جوعان ، والاستاذ ابراهيم العريض •

فالاول افادنا بقوله (انه كان يوم جرى الاحتفال صبيا صغيرا • وانه كان هو ووالده فى مقدمة من حضروا الاحتفال بافتتاح مطبعة الزائد فى خريف عام ١٣٥١ هو ان والده كان صديقا حميما لعبدالله الزائد ، وبما انه كان معروفا بتلاوة القرآن تلاوة جيدة ، فقد وقع عليه الخيار ليتلو قرآن الافتتاح وانه قام بتلك المهمة ، لكنه اخطأ فى التلاوة خطأ جسيما مما جعل الشيخ سلمان بن حمد الخليفة ولى عهد البحرين آنذاك وكان الاحتفال تحت رعايته ـ ان يتأفف من ذلك كثيرا •• وقد شمل هذا التأفف كثيرا من الحضور ، وهم جمع غفير من عليه القوم ، وانه قد حدث هرج ومرج من بينهم بسبب ذلك ، وانه لايزال يذكر ان من بين الحضور الشاعر محمد بن عيسى الخليفة والشاعر ابراهيم العريض ، والشاعر عبدالرحمن المعاودة ، وان حفل الافتتاح كان مكان مكاتب شركة البرق واللاسلكى بشارع الخليفة فى المنامة •

السيد عبداللطيف جوهر فيقول : انه كان يعرف عبدالله الزائد قبل ان يؤسس مطبعته ، وانه حضر حفل افتتاحها بعد صيف عام ١٣٥١هـ مباشرة • وانه يتذكر جيدا كثيرا من الحضور وعلى رأسهم الشيخ سلمان بن حمد الخليفة والشيخ محمد بن عيسى الخليفة • وان خليفة بن ابراهيم بن مطر هو الذى تلا فاتحة الكتاب ، ومن بعده القى الاستاذ عبدالله الزائد كلمة الاحتفال ثم قام الاستاذ

ابراهيم العريض والقى كلمة بالانجليزية ، اما الاستاذ العريض فأجاب ـ حين سألناه عن هذا الحدث ـ بقوله انى حضرت افتتاح مطبعة البحرين ·· ولكنى لا اتذكر الآن انى القيت كلمة ، وربما فعلت ذلك ونسيته الآن · وانا اميل الى من اكدوا ذلك ، اذ انه من عاداتى ان احضر كثيرا من الاحتفالات الثقافية فى البحرين منذ الثلاثينات ، وفى بعض الحالات ارتجل كلمة بالانجليزية ـ اذا طلب منى ذلك ـ بقصد توعية حاضرى ذلك الاحتفال او المناسبة من الناطقين باللغة الانجليزية ، واظننى قد فعلت ذلك فى حفل افتتاح مطبعة البحرين ·

وهنا لابد من وقفة قصيرة مع ذلك الخبير النجيب الذى استقدمه الاستاذ الزائد لتدريب ابناء وطنه على العمل الطباعى فلم يكن اختياره لا اعتباطا ولا ارتجالا ·· لقد وقع الخيار عليه عن علم ودراية ، وفهم وادراك ·

فالشاب نوح ابراهيم لم يكن شابا عاديا من بين الشباب الفلسطينى المقيم فى بغداد يوم التقى به مبعوث الزائد ـ الاستاذ راشد الجلاهمة ـ واختاره من بين مجموعة من العاملين فى مطابع بغداد ·· انه الشاعر المجاهد الذى وظف شعره الشعبى فى خدمة وطنه فلسطين والبلاد العربية ·· جعل من شعره الفصيح والدارج اناشيد واغنيات جهادية لتحريض مجاهدى الثورة الفلسطينية ، التى فجرها فى عام ١٩٣٥ العالم المجاهد عز الدين القسام

• لقد ظل منذ ذلك العام وحتى استشهاده عام ١٩٣٨ بطلا مجاهدا •

وفى البحرين ، ورغم قصر مدة اقامته فيها ـ لعام وبعض العام ـ فقد خلف فى قلوب من عرفهم وعرفوه ذكرى اخلاصه وتفانيه ليس فى خدمة مطبعة البحرين الثانية وعمالها فحسب ، بل فى افئدة كثير من شباب البحرين الذين التقوا به آنذاك والذين لا يزال بعضهم يكن له المودة والاعجاب ولا يزال بعضهم يلهج بشعره الغنائى فى تحيته للبحرين حالما وطئت قدماه ارضها • حيث قال فى مطلع تلك التحية •

بحـــرين احـنـــا جيينـــاك
نـحـب انـفــرفش بهــواك
تــكــرمــين الــضــيــف
فى الــشــتـــا والــصـــيـــف

ولقد حاولنا التماس شيء من اعماله الادبية والفنية فى البحرين ، تلك التى لابد وانه قام بها كتابة وتلحينا واداء ـ كما كان يعرف عنه واشتهر به وكما كانت تذكره وتشيد به بعض الصحف المهمه فى بعض المدن العربية آنذاك • اذ لا يمكن لشاعر شعبى كنوح ابراهيم ان يعيش فى البحرين تلك المدة التى ذكرناها آنفا ولا تثيره بجمال شطانها وبواسق نخيلها ووفرة مياهها العذبة ، ولا تثيره ايضا بحركتها الثقافية والادبية والفنية • وبأساطين تلك الحركة كمحمد

بن عيسى الخليفة والزائد وابراهيم العريض والمعاودة ، ومحمد بن فارس ، وضاحى بن وليد ، لقد التمسنا شيئا من تلك الاعمال الادبية والفنية التى من المفروض انه قام بها فما وجدنا ولو قليلا منها اللهم الا ذكريات عبقة يرويها زملاؤه من عمال المطبعة •• والتى منها انه كان يتمتع بسلوك اخلاقى رفيع ، وكان يصر على ارتداء الزى العربى الاصيل ويفاخر به •

هذه عجالة قد لا يعذرنا القارىء ان اغفلناها او اهملناها ، ولتوثيقها وخاصة من الجانب التعريفى بشخصية نوح ابراهيم كشاعر مفن مجاهد نترك لصحيفة الشباب القاهرية الحديث عنه[١] فتحت عنوان (استشهاد الشاعر الشاب المجاهد الاستاذ نوح افندى ابراهيم) نشرت الخبر التالى :

(القدس فى ٢٨/١٠/١٩٣٨[١١] قتل الشاعر العربى نوح ابراهيم احد زعماء الثورة فى اثناء عملية الهجوم التى قامت بها القوات البريطانية فى ضواحى مدينة حيفا يوم الثلاثاء الماضى وقد اكتشفت جثته امس على مقربة من (طمرة) ووجد رجال البوليس بجانبها عددا من البنادق والمسدسات ولغما وعلما عربيا وطائفة من الصور ووثائق من الخطورة بمكان عن نشاط الثوار) •

ثم اردفت الصحيفة هذا الخبر بكلمة تأبين للشاعر قالت فيها :

(هذا هو الخبر الاليم الذى فوجئنا به فى الاسبوع الماضى ، فكان له فى النفوس اشد وقع ، لان استشهاد هذا الشاب النابغ خسارة على الحركة الوطنية العربية • وعلى الجهاد القومى الشعبى ، وكانت شركات الفونغراف تتسابق الى تسجيل اناشيده الوطنية التى كان يلحنها بنفسه ، وكانت تطبع منها مئات الالوف • فكان الناس فى المجتمعات والبيوت يستمعون لها فتفعل فى نفوسهم وتتغلغل فى اعماق قلوبهم) •

هذا جزء يسير مما ابنته به صحيفة الشباب القاهرية حيث افردت له صفحة كاملة • لقد كانت هذه الصحيفة بالذات تتابع وترصد كل حركات المقاومة الفلسطينية للانجليز واليهود فى فلسطين بسبب انها كانت صحيفة فلسطينية تصدر فى القاهرة ، وصاحبها هو المجاهد الفلسطينى الاستاذ محمد علي الطاهر لذلك فهى تهتم بنشر انباء ابطال تلك المقاومة آنذاك ، ومنهم الشاعر نوح ابراهيم •

هذا عن نوح شاعرا ومفنا ومجاهدا • فماذا عنه خبيرا ومعلما مجدا اثناء عمله فى مطبعة البحرين الثانية • لقد حضر نوح حفلة افتتاح المطبعة • وقام بوضع نظام العمل بها • وتابعه وظل يدرب شباب البحرين على تنظيم الحروف وصفها وتقسيماتها وعمل الطباعة واستعمال آلتها • فهذا طباع وهذا معاون له • وهذا قسم التجليد • وذاك

قسم لتصديف الورق • وهذا قسم للتسطير • يقول عنه الاستاذ راشد بن صباح الجلاهمة رحمه الله : (لقد تعلمنا الكثير من نوح وكان كأنه ممثل فلسطين الثائرة على الانجليز واليهود وكان يقول : اذا لم تجاهدوا فى فلسطين بالنفس فجاهدوا بالمال • وكان كثيرا ما يردد الكلمات التالية :

(ان الكلام ماعاد ينفع مع هؤلاء الجلادين) يعنى الانجليز فى فلسطين •

مشاهداتى فى المطبعة

كان مما تميزت به مطبعة البحرين الثانية فى مجال العمل ايضا هو اعانتها للطلبة الفقراء بمحاولة توظيف اكبر عدد منهم اثناء العطل الصيفية • لقد كنت من بين اربعة من هؤلاء صيف عام ١٩٤٥ ممن جاءوا مع ذويهم العاملين بالمطبعة •• وبهذه الطريقة جاء بى ابن خالى الذى كان يعمل صفافا بها ، كانت سنى فوق الحادية عشرة بقليل ، وخلال عملى الصيفى بالمطبعة لم اشاهد صاحبها • فقد رحل عن الدنيا قبل مجيئى باكثر من شهر ، لقد عانيت العمل الطباعى مع اولئك الشباب العامل بالمطبعة التى كانت تشغل مكان بنك الرافدين قديماً[1] •

كان المكان يزخر بآلات الطباعة المختلفة الاشكال لكنها كانت مصفوفة بنظام ، ولم تكن المساحة بين كل منها

---

١ ـ متجر يوسف العوضى الآن بشارع الخليفة

متسعة ، سوى لمرور رجل او رجلين • كان المكان منارا بالكهرباء ، وكان اللون الاسود هو اللون الغالب عليه ، وخاصة أرضيته الشديدة اللزوجة بسبب انتشار رذاذ الحبر الاسود المختلط بزيوت تشحيم الآلات •

كانت احذية العاملين بالمطبعة سوداء لزجه وكذلك ستراتهم • وكانوا يمشون الهويني خشية الانزلاق فوق ارضية المكان ، لكنهم فى المساء لا يحتاجون الى ذلك لتثاقل ارجلهم فى الخطو من شدة التعب • ومن جانبنا كصبية لا يعهد الينا المسئولون باعمال متعبة ، كانوا يكلفوننا بالاعمال الخفيفة كنقل الاوراق المطبوعة ، وتصديفها ، وتوزيعها على اقسام المطبعة •

وبالنسبة لمثلى ذى الاحد عشر عاما • فان قامتى كانت لا تسمح لى باشباع رغبتى فى التطلع الى اسطح تلك الآلات ، فكنت اضع صندوقا فأقف عليه لاتمكن من رؤيتها • كان لا يسمح لاحد ـ من الطلبة العاملين بالمطبعة ـ بمثل هذا العمل الا اذا كانت تلك الآلات متوقفة عن العمل بسبب ان ذلك كان قد ادى الى حوادث مؤسفة لكنها غير مميتة •

ان شريط الذكريات لشهرين كاملين قضيتهما صيفا بالمطبعة لايزال يمر امامى واضحا • فقد طبعته فى ذهنى ذاكرة الطفولة الامينة • والحديث عن ذلك يطول ، ولولا انى اتحرى الفصول المهمة فيه لاضعت وقت القارىء

باستعراض دقائقه ، لكنه من المهم ان اذكر ان جل عمال المطبعة كانوا من مدينة المحرق ، وكان وقت العمل بها يوما كاملا من السابعة صباحا حتى الخامسة مساء ، تتخلله فترة غداء وراحة ، لا اتذكر بالضبط مساحة وقتها ، لكنها لاتزيد على الساعة ، يخرج فيها العمال من المطبعة منهكين قد لصقت قمصانهم باجسادهم من شدة العرق ·

كان الوقت صيفا كما قلت والمراوح الكهربائية المعلقة بالسقف تدور لكنها لا تغنى عن شيء من شدة الحر · كان عمال المطبعة وقتها لايزيدون على العشرين ، اما رواتبهم فهى من خمسين الى مائة وخمسين روبية هندية · اما انا فقد اعطيت عن الشهرين اللذين قضيتهما بالمطبعة مبلغا قدره اثنتان وثلاثون روبية ·

لقد كان مما استرعى انتباهى خلال بقائى فى المطبعة هو تلك الآلة الكبيرة الصامتة التى لا اجد من يعمل عليها ·· ولما سألت ابن خالى عن توقفها ، قال انها توقفت بتوقف جريدة البحرين عن الصدور ، ومع انى كنت قد الفت باعة الجريدة بالمحرق ينادون عليها ، هى وملحقها الحربى عن احداث اواخر مراحل الحرب العالمية الثانية ، وعمرى لم يتجاوز التاسعة ، الا انى لم اكتشف سر توقف جريدة البحرين الا اوائل الستينات حينما كنت اتحرى المعلومات الدقيقة عن مبتدى ومنتهى جريدة البحرين ·

هذا ماكان من نشأة مطبعة البحرين الثانية ، وما

كان من حياتها العملية التى امتدت زهاء ثمانية عشر عاما ٠ اما كيف انتهت حياتها فتتلخص فى ان صاحبها قد بدأ لديه عد تنازلى فى الافلاس منذ اشتداد الحرب العالمية الثانية ، فكانت ازمات المطبعة تترى الواحدة بعد الاخرى ، وعلى رأسها ازمة الورق الذى يجب توفيره لاستهلاكات المطبعة واهمها جريدة البحرين ، وملحقاتها عن الحرب ٠٠ ومع ذلك فقد ظل الزائد مرابطا فى ثغره ، ولم يتركه الا محمولا على الاعناق الى مثواه الاخير ٠

بعدها آلت المطبعة الى ادارة اموال القاصرين ، فضمنها منها الحاج قاسم المعاودة والد الاستاذ الشاعر عبدالرحمن المعاودة لفترة تقدر بخمسة اعوام ثم تركها بعد ان اصبحت شبه مستهلكة ، حيث بيعت مخلفاتها الى الاستاذ مؤيد احمد المؤيد صاحب تجربة البحرين الثالثة فى مجال الطباعة الحديثة والتى قام بتأسيسها باسم (مطبعة المؤيد ومكتبتها) حيث انتهى زمن تجارب البحرين فى مجال الطباعة ، وبدأ فيها عصر طباعة منتصف القرن العشرين.

قائمة بأسماء ومهن
العاملين بمطبعة البحرين
الثانية
من ١٩٣٢ - ١٩٤٨

١ - الاستاذ عبدالله علي الزائد صاحب المطبعة ومديرها
٢ - الاستاذ راشد صباح الجلاهمة امين سر المطبعة
٣ - الاستاذ ابراهيم محمد الزائد رئيس عمال المطبعة
٤ - ابراهيم افندى نوح (فلسطينى)خبير فنى بالمطبعة
٥ - السيد عبدالله نور مسئول الحسابات بالمطبعة
٦ - السيد عبدالرحمن حسن الحسن فنى خطوط وصف حروف عربية
٧ - السيد عبدالرحمن ابراهيم عاشير صفاف حروف انجليزية
٨ - السيد محمد سلطان الجودر طباع
٩ - السيد احمد علي فليفل طباع
١٠ - مصطفى محمد صالح بوعلاى طباع

١١ - السيد جاسم عبدالعزيز المناعى	طباع وصفاف عربى
١٢ - السيد عبداللطيف جوهر جوعان	صفاف عربى
١٣ - محمد بن نجم المناعى	مشرف المجلدين
١٤ - السيد علي كمال	صفاف عربى
١٥ - السيد علي نجم المناعى	مجلد

١٦ ـ السيد عبدالرحمن علي الجودر	مجلد
١٧ ـ السيد احمد علي فليفل	مجلد
١٨ ـ السيد احمد عبدالله شمس	صفاف عربى
١٩ ـ السيد عبدالله جاسم المناعى	طباع
٢٠ ـ السيد عبدالله يوسف احمد الشيخ حسن	صفاف عربى
٢١ ـ السيد احمد يوسف احمد الشيخ حسن	طباع
٢٢ ـ السيد يعقوب بن يوسف العامر	مجلد
٢٣ ـ السيد خليفة يوسف هجرس	مجلد
٢٤ ـ السيد علي بن صباح البنعلي	صفاف عربى
٢٥ ـ السيد عبدالله بن صباح البنعلي	صفاف وطباع
٢٦ ـ السيد احمد بن سعيد البنعلي	مجلد
٢٧ ـ السيد يوسف احمد سعد البوعينين	صفاف عربى
٢٨ ـ السيد عبدالله بن شاهين المناعى	صفاف عربى
٢٩ ـ علي راشد العسمى	طباع
٣٠ ـ احمد راشد سبت	صفاف ومراسل
٣١ ـ حسن بن محمد الجودر	صفاف وطباع
٣٢ ـ عبدالله عبدالعزيز النجدى	مراسل
٣٣ ـ يوسف بن خليفة الفايز	مجلد
٣٤ ـ عبدالرحمن بن حمد الجودر	صفاف
٣٥ ـ يوسف الجودر	مراسل
٣٦ ـ ابراهيم بوخليل الجودر	طباع
٣٧ ـ علوان علي	طباع
٣٨ ـ عبدالرحمن بن خليفة	مجلد
٣٩ ـ ابراهيم الحبشى	طباع
٤٠ ـ عبدالرحمن الكلدارى	مجلد
٤١ ـ نوروز نور الدين (باكستانى)	مجلد
٤٢ ـ عبدالله عبدالرحمن قطبة	مجلد
٤٣ ـ جاسم راشد الهاشل	طباع
٤٤ ـ حمد الشايجى	طباع

في حقل الصحافة

جريدة البحرين :

لما آنس الزائد من موظفيه وعماله الكفاءة والاخلاص في العمل قام بتنفيذ مشروعه الثاني ، فأصدر في شهر مارس من عام ١٩٣٩ أول عدد من جريدة البحرين . لقد سماها الزائد « جريدة يومية تصدر مؤقتاً مرة كل اسبوع ، وجعل ثمن النسخة الواحدة منها آنة واحدة[١] . أما اشتراكها السنوي فحدده بأربع روبيات داخلياً وعشر روبيات خارجياً ثم عاد فخفض ذلك الى ثلاث روبيات للداخل وست روبيات للخارج .

هكذا كان منشأ أول صحيفة أسبوعية لا في البحرين فحسب بل في الخليج كله .

* * *

لم يكن هدف الزائد من اصدار جريدته ربحاً مادياً ..

---

(١) الآنة الواحدة تساوي حوالي ست فلوس الآن .

فمع أنها صدرت والناس في عام ١٩٣٩ وفي البحرين كغيرهم في انحاء العالم يعيشون في مناخ حرب : لا يعلمون متى تبدأ هذه الحرب ، ومتى تنتهي ، فهم يتسقطون أخبارها بأي وسيلة كانت .. فكيف اذا كانت هذه الوسيلة صحيفة إخبارية .. تصدر في بلادهم ومع ذلك كله لم يكن اصدارها اسبوعياً ليتجاوز الثلاثة آلاف نسخة الا قليلاً ، وخاصة في المناسبات الهامة .

هذا في وقت لم تتأسس بعد فيه وكالات لاستيرادالصحف الأجنبية الى البحرين . واذا كان ورود هذه الصحف إلى البلاد لم ينقطع منذ مطلع القرن العشرين .. فان ذلك لم يكن منتظماً . وليصبح بالتالي اكثر ما تتناقله من انباء تلك الفترة الحرجة غير ذي اهمية كبيرة .

كان عبد الله يمارس تنفيذ هوايته الصحفية ، في تحريره لوحده جميع صفحات جريدته . ولخفاء هذا الأمر عن كثير من المثقفين ـ آنذاك ـ فإن بعض هؤلاء كثيراً ما صارحوه بدهشتهم لقيامه وحده بتحرير الجريدة وتبويبها . وتستمر الجريدة في الصدور ستة اعوام ، وحتى احتجابها ، ولم يكن لها في يوم من أيامها قلم تحرير البتة .

وكأني بجريدة البحرين .. وقد جاءت على موعد مع أحداث العالم الكبرى التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، واستمرت في الصدور اثناء هذه الحرب ، ولم تحتجب الا

قرب نهايتها ، لتؤكد أنها أتت لتسد فراغاً هائلاً في مضمار الصحافة الاخبارية لمنطقة الخليج والبلاد العربية المجاورة .

أما الزائد فحسبه — كما كان يقول لخلصائه — أنه حقق أمنية اختمرت في ذهنه عدة سنوات قبل أن تبرز إلى حيز الوجود حقيقة واقعة . أمنية كان يهدف من ورائها خدمة بلاده عن طريق جديد عليها .. طريق الصحافة .

هوية الجريدة :

أفصح الزائد عن هوية جريدته فقال في افتتاحية العدد الأول منها ما نصه : —

« لقد صممتُ على جعل هذه الجريدة حرة لا تُستعبد لأحدٍ كائناً من كان ، صريحة لا تعرف الرياء ولا النفاق . ستقولُ عن الأبيض أنه أبيض ، وعن الأسود أنه أسود . واذا اضطرتها الظروف إلى السكوت فهي على كل حال لن تسمي الأبيض بالأسود . ولن تكون لها عين للتطلع الى عورات الناس الشخصية ، ولا أذن لسماع الوشايات المغرضة . ولايد لاستجداء المال ، أو ابتزازه . ولا رجل للسعي لغير الصالح العام . وأخيراً لن يكون لها قلب ينبض بغير حب العروبة والوطن . فان عاشت فلهما ، وإن ماتت ففي سبيلهما . وهي تؤمل بعطف الأهالي ، وتشجيع الشباب أن تؤدي رسالتها على أكمل الوجوه . وترجو من

الهيئات والأفراد أن لا ينظروا إلى النقد البريء في سبيل الصالح العام بعين ضيقة ، فلن يكون الاصلاح في المستقبل الا بمعرفة عيوب الحاضر ، ولولا الخطأ ما عرف الصواب ، هذه الجريدة ستكون منبراً عاماً ليس لأبناء البحرين فقط ، ولكن لجميع أبناء الخليج والجزيرة العربية . »

هذه هي الهوية التي أراد الزائد لجريدته أن تحملها ، ولا غرو فهي بالتالي هويته المميزة .. تلك الهوية التي جعلته يسلك طريق الحرية المزروع بالشوك .

أراد أن تكون جريدته حرة في وقت أوشكت فيه نار الحرب العالمية الثانية أن تندلع فتكاد أن تعم العالم بأسره وجل أجهزة الإعلام به واقعة تحت رحمة الأحكام العرفية !

تقاريظ :

ما إن صدر العدد الأول من جريدة البحرين حتى تلقفه القراء في البحرين وامارات الخليج والبلاد العربية الأخرى المجاورة التي استطاعت الجريدة الوصول اليها ، بالإضافة إلى مدينة بمبي بالهند .

ولقد انهالت على مكتب الجريدة في المنامة عشرات الرسائل من القراء من داخل البلاد وخارجها ، وكلها تحمل آيات الثناء والتأييد والإعجاب بمنشأة الزائد الجديدة ، وسنكتفي هنا بتسجيل أمثلة ثلاثة من تلك التقاريظ الصادرة

من مثقفين متمكنين قبل ثلث قرن من الزمان : ـــ

قال الأستاذ محمد علي النحاس مدير مدرسة الأحساء (١)

« حضرة الأستاذ عبد الله علي الزائد المحترم .

السلام عليكم وبعد :

فقد علمت بمزيد السرور خبر ظهور صحيفتكم الغراء (البحرين) في عالم الوجود ، وبلغني ورودها الأحساء عند بعض الأصدقاء ، فأسرعت في طلبها على وجه الاستعارة ، وما صدقت بإجابة الصديق الى ما طلبت ، وارساله ما التمست حتى تصفحتها بلهفة . ولا أقدر أيها السيد أن أبين ما يدور بخلدي من حسن ما رأيته فيها من ترتيب وتنسيق ، مما يبرهن على سعة اطلاعك وعظيم مقدرتك . اكثر الله من أمثالك العاملين الناهضين .

وهيهات أن أجد لدي سبيلاً حتى أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر الخالص لقيامك بواجب الوفاء نحو بلادك ، وجهادك المتواصل في ترقيتها ، ونشر ثقافتها ، فلا حيلة لي على ذلك . بل أراني عاجزاً ، وفي عجزي هذا ما يكفيك عن الشرح والتطويل . لا زال جهادك متصلاً وركن اخلاصك قائماً » .

(١) جريدة البحرين العدد السادس ١٩٣٩ .

وتحية الشعر من الشبراوي :

أما الشاعر المرحوم قاسم محمد الشيراوي[1] ، فقد حيا جريدة البحرين وصاحبها بشعر يسيل عذوبة ورقة ، وقد قال عنه الزائد – في حينه ما يلي : –

« نشكر أخانا العزيز قاسم الشيراوي على جميل ظنه ، وجليل تقريظه ، ونسأل الله أن يوفقنا لنكون في المنزلة التي وصفنا بها »[2] .

قال الشيراوي يصف جريدة البحرين وصاحبها : –

إن تكُ البحرين أضحت درة	تتلالا في خليج العرب
فلتك (البحرين)[3] فيها شعلة	ينجلي منها ظلام الغيهب
كم تمنينا على الله المنى	يحرم المرأ اذا لم يدأب
فبكاء الطفل يبغي ثديه	حكمة ، لو لم يصح لم يشرب
لا تلمْ من نام من بعد ضنىً	يستريح المرأ بعد التعب
يارعاك الله بحرانيةً	ووقاها عاديات النوب
طالما اشتقنا إلى طلعتها	فأتتنا نخبة المنتخب
أنا من يعرف من أنشأها	عبقرياً جاحظي الأدب
كاتباً ان شئته أو شاعراً	حاز في الامرين أعلى الرتب
عجباً ينبغ في النثر وفي	روعة الشعر أتى بالعجب

(١) هو الأديب الشاعر قاسم محمد الشيراوي توفي بالمحرق عام ١٩٥٠ .
(٢) جريدة البحرين العدد السادس ١٩٣٩ .
(٣) يعني جريدة البحرين .

هاك تقريظي عـــلى علاته		ما على المطرب إن لم يعرب

وتقريظ من عبد الله الزيرة :

أما الأستاذ عبد الله الزيرة فقد كتب الى صاحب الجريدة رسالة مطولة قال في نهايتها ما يلي : —

« وإننا لنتمنى لجريدة بلادنا العزيزة أن يمر عليها يوم ما تشتهر به أسمى شهرة ، وتحوز الدرجة العليا من الكمال ، كما تشاهد عياناً أن كل عدد نشر كان خير من الذي قبله ، راجين شباب البحرين الناهض أن يمد يد المعونة لجريدة بلاده لأنه من اليقين ان عماد رقيها ، وسبيل نجاحها متوقفان على الشباب وهو ذخرها في الغد .

داعين الله أن يوفق مدير الجريدة ويرشده لنبل الخير جميعاً ، كما أنه سيوقظ عزم البلاد وهمم أهلها ، فله الشكر من صميم الفؤاد .

جريدة البحرين مرآة الخليج :

كان لجريدة البحرين تأثير كبير على الرأي العام في الخليج والبلاد العربية المجاورة ، بحيث أنها كانت تنقل لقرائها كلما يستجد في المنطقة من حوادث أولاً بأول ، وما حوادث المناوشات التي وقعت بين امارتي الشارقة ودبي فيما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٠ ومثلها الحرب الأهلية في دبي التي غطتها جريدة البحرين في بعض اعدادها ، الا

مثالين هامين لثبوت قدم الجريدة في المجالين الرسمي والشعبي لمنطقة الخليج ..[1]

وقبل ثلث قرن كانت جريدة البحرين المتنفس الرئيسي — ان لم يكن الوحيد — لنتاج الأدباء والشعراء في الخليج والبلاد العربية المجاورة. كان الشيخ محمد بن عيسى الخليفة، وابراهيم العريض، وعبد الرحمن المعاوده من شعراء البحرين المجيدين الذين كانت الجريدة توالي نشر قريضهم من آن لآخر. أما الأديب الكويتي عبد الرزاق البصير، فكان يوالي نشر حلقات في الجريدة بعنوان «سبيل السعادة» ويبرز في بعض اعداد من الجريدة اسم الأديب السعودي محمد علي لقمان، حيث نشر له فيها عدة قصائد. أما الأستاذ العقاد فقد نشر له فيها بعض مقالاته عن الحرب العالمية الثانية الدائرة رحاها آنذاك[2].

النسائيات في الجريدة :

أفسحت جريدة البحرين صدرها لأقلام فتيات البحرين اللواتي انتهزن هذه الفرصة فدفعن الى الجريدة بمقالات رصينة في التربية والتدبير المنزلي[3] حيث تناولت بعضهن الكتابة فيها غير أن احداهن كانت على قدر كبير من المعرفة

---

(١) جريدة البحرين العدد ٥٠/١٩٤٠ .

(٢) جريدة البحرين العدد ٤٩ و ٦٧ و ٧٨ و ٨٢ و ٨٩/١٩٤٠ .

(٣) جريدة البحرين العدد ٤٣/١٩٤٠ .

والادراك فيما كتبت من موضوعات نسوية تهذيبية ، مما حدا ببعض المعجبين – من القراء – أن يعدها بجمع موضوعاتها ونشرها في كتب صغيرة[1] .

الجريدة عبر مناخ الحرب :

سبق أن ذكرنا أن جريدة البحرين صدرت .. أول ما صدرت في شهر مارس من عام ١٩٣٩ أي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بنصف عام ، وبقيت مستمرة في الصدور أسبوعياً قرابة ستة أعوام ، في الفترة التي كانت فيها الغالبية العظمى من صحف العالم واجهزة اعلامه موجهة ضد دول المحور ، واليابان .

في تلك الفترة المضنية المقيتة التي مرت بالانسانية أجمع أوقفت جميع الأحزاب ، والهيئات السياسية ، والحركات التحررية ، في معظم انحاء العالم نشاطها أو كادت . وتحول نشاط أغلبها الى جانب الحلفاء . كان معظم قادة الفكر في الدنيا – يومئذ – مجندين لصالح الحلفاء . كان رؤساء الأديان في دول الحلفاء ومحمياتهم يصدرون البيانات والفتاوى بتكفير والحاد دول المحور ، وتعميد ايمان الحلفاء في الشرق والغرب[2] .

---

(١) كانت أقدرهم على الكتابة ترمز الى اسمها بحرفي – ن.م .

(٢) نداء مسلمي سنغافورا الى مسلمي العراق العدد ١٩٤٠/٨٢ من جريدة البحرين .

في تلك الفترة كانت جريدة البحرين الاسبوعية .. في الامارة الصغيرة المحمية ، تخرج الى الناس وجل صفحاتها تكاد تكون محشوة بأخبار الحرب ودعايته لصالح الحلفاء .. تماماً كما كانت تفعل صحف البلاد العربية الأخرى[1] .

وكما يفعل بتلك الصحف — في تلك الفترة — من وضعها تحت المراقبة[2] الشديدة ، كانت جريدة البحرين تراقب أيضاً من السلطة المسؤولة في البلاد .

---

(١) انجلترا والاسلام في التوازن الدولي جريدة البحرين العدد ٥٥/١٩٤٠ نقلا عن جريدة الاهرام ، والصحف العربية في بيروت تواصل اعلان ولائها للحلفاء جريدة البحرين العدد ٥٠/١٩٤٠ والصحافة الفلسطينية تثني على سياسة بريطانيا . جريدة البحرين العدد ٥١/١٩٤٠ نقلا عن مجلتي الدفاع والصراط المستقيم الفلسطينيتين .

(٢) أمثال المصور ، وآخر ساعة ، والأهرام وغيرها فلقد كان ولا يزال عالقاً بذهني منظر تلك الصحف بـ(روبرتاجاتها) المصورة التي تطفح بالدعاية للحلفاء والتحقير لدول المحور آنذاك . ولقد شاهدت أيضاًوأنا الطفل الذي لم يبلغ السادسة بعد صورة للرئيس السوفياتي ستالينفتش ستالين وأخرى للفوهرر أدولف هتلر ، في ملصوقة واحد لصقت على جدار جمرك المحرق القديم ، وضع كل منهما قدمه مع قدم الآخر في فردة حذاء طويلة الساق ، في كاريكاتير يرمز الى تحالف السوفيـــات مع الألمان . كان ذلك فيما علمت بعد ذلك— عام ١٩٤٠ . وبعد منتصف عام١٩٤١ لصقت الصورة نفسها مرة أخرى على جدار الجمرك ذاته ، واذا بالقدم التي تشارك ستالين فردة الحذاء ليست بقدم الفوهرر ، ولكنها في هذه المرة قدم ونستون تشرشل .. وحتى وضعت الحرب أوزارها .

بين اذاعة برلين وجريدة البحرين :

ومع كل ذلك ، ورغم سيطرة الاعلام الحلفاء الغربيين سيطرة تامة على الصحافة العربية .. فقد انتقدت اذاعة برلين جريدة البحرين انتقاداً مراً .

ونحن لا نملك نص ذلك الانتقاد الذي أذيع من اذاعة برلين يوم السبت ٢٦ أغسطس ١٩٣٩ ، ولم تورد جريدة البحرين نصه كاملاً لظروف اعلامية حربية ، ولكنها ردت عليه بموضوع صغير تحت عنوان (مناقشة هادئة)[١] فجاءت منه بنبذ قصيرة جداً وردت عليها فقالت : —

(طالعتنا اذاعة برلين مساء السبت الماضي بإذاعة طويلة عن « جريدة البحرين » قالت فيها انها ما كانت تحب أن ترد على جريدة عربية . وان جريدة عربية تصدر في البحرين يجب أن تكون رمزاً للاخلاص والوطنية وأن لا تجعل نفسها آلة صماء في أيدي المستعمرين .

وقالت ان على جريدة البحرين أن لا تصمنا بالتطفل ... وكان عليها أن تقف من المستر بلكريف موقفاً محايداً لا أن تدافع عنه — والى هنا كان كلامها رد على ما قلناه حقيقة وهو خاص باعانة فلسطين وملابسها فقط وكنا من المصيبين وهي من المغرضين[٢] .

---

(١) جريدة البحرين العدد ٣١/٢٣ أغسطس ١٩٣٩ .

(٢) يظهر ان في نفس الانتقاد اشارة الى افاعيل بريطانيا بعرب فلسطين=

ولكن بعد ذلك دفعها خصب الخيال إلى أن تقرأ في جريدتنا اشياء لم تكتب فيها وتنبري للرد عليها وتذكرنا بما قلناه ونقوله دائماً من أن مبدأ جريدتنا (الصراحة وقول الحق) . وأخيراً قالت (أننا نقول لأصدقائنا أصحاب جريدة البحرين قولوا خيراً أو اسكتوا) .

وجريدة البحرين لا ترد على هذه الإذاعة بالتفصيل ، ولكنها ترد على النقطة الاساسية في الموضوع فتقول : ان على المانيا أن تفتش لها عن أصدقاء في غير بلاد العرب فتدافع عنهم لتكسب صداقتهم . أما العرب فانهم حلفاء طبيعيون للانجليز ، واذا جرى اي شيء كما هو جار في فلسطين فذلك كما يجري بين الصديق وصديقه اذا بغى عليه وهضم حقوقه يتعاركان ويتشاتمان ويتصافعان واخيراً يصفيان ما بينهما من خلاف وهما في اثناء كل ذلك صديقان متوادان اذا اعتدى عليهما ثالث لأوقفا ما بينهما من خلاف

= منذ احتلالها لفلسطين في الحرب العالمية الأولى، وما يلقاه هؤلاء العرب على يديها من تنكيل ، وممالئتها للصهيونية العالمية . وفيه أيضاً إشارة الى مستر تشارلس بلكريف مستشار حكومة البحرين من عام ١٩٢٨ الى ١٩٥٧ . وفيه تعريض بمساعدة البحرين لعرب فلسطين بالمال والالبسة ، فكأن الاذاعة تقول : ان جريدة البحرين تؤيد المسبب الاول لنكبة فلسطين . وهذا الانتقاد ردت عليه اذاعة لندن في حينه فقالت : « ان سكان البحرين والكويت وغيرهما من الامارات العربية لا يمكن أن يكونوا خاضعين كالآلات الصماء لموظف بريطاني واحد .. » وعلقت جريدة البحرين بالعدد نفسه على هذا الرد بالتأييد .

وصمدا له حتى يرتد بالخيبة[١] . والخسران ولا ننكر أنه أحياناً تصل الحالة الى اليأس ولكن العرب والانكليز لم يصلوا إلى هذا الحد[٢] .

أجل ان اذاعة برلين قد وجدت لها مجالاً واسعاً في

---

(١) ليس هذا القول بقول فصل .. ! فان العرب قد رضعوا لبان مقتهم لكل استعمار منذ القدم ، اذن فهو كلام يخالف الحقيقة . وقبل أن نبحث عما يؤكد ذلك في البلاد العربية الأخرى ، الأجدر بنا أن نعطي صورة مصغرة لما يؤكده في بلادنا البحرين . لقد كان مقتنا للاستعمار على أشده ، ولكن هل للمملوك الضعيف أن يقاوم واذا قاوم هل يتحرر ... ومناخ الحرب العالمية الثانية وبيء كريه . وصيحات الامم الكبيرة المهزومة تذهب ادراج الرياح . ولكن ماذا يمنع أن تتشيع غالبية الشعوب العربية لالمانيا عدوة الصهيونية اللدودة وصيفتها الماركسية المريدة، وعدوة الحلفاء المستعمرين .. أنا الغريق فما خوفي من البلل !! . كنت صغيراً أشاهد الرجال في مجلس والدي أو في (قهوة بن حمدان) القديمة .. وقد أخفى بعضهم كتاب كفاحي لهتلر بينه وبين (دفته أو بشته) . كان محرماً عليهم الاستماع الى اذاعة برلين ، ومع ذلك فهم يستمعون اليها كل ليلة في ترويقة يعمرها لهم يونس بحري كل مساء .

أما في البلاد العربية ، فالسوريون يحتفلون في صمت بسقوط فرنسا ، ويستقبلون طائرات المحور في بلادهم . والفلسطينيون يقاومون الانكليز قبل الحرب واثنائها. والعراقيون يثورون فيقاتلون الانكليز بقيادة رشيد عالي الكيلاني . والمصريون يهتفون في ضواحي الاسكندرية الى الامام يا رومل !

(٢) هذا الكلام .. جاء بعد منتصف عام ١٩٣٩ والحرب الكونية الثانية على الأبواب .. وهو يوحي إلى أن هناك بريق من الأمل في انحسار موجة الاستعمار الانكلو الفرنسي بعد انتهاء الحرب نتيجة للوعود التي يلوح بها أساطين هذا الاستعمار . وهذا يفسر ظهور فئة من المثقفين ممتدلين في مقاومة هذا الاستعمار واكثرهم من المشتغلين بالصحافة ..

قضية فلسطين كما يقول الشاعر : —

لقد وجدت مجال القول ذا سعة
فان وجدت لساناً ناطقاً فقــل

ولكن نحن العرب في كل بقعة من بقاع الارض توجد فيها ساعون دائبون على تسوية هذه المسألة ونحن اعرف بسبيل كفاحنا من المانيا التي لا تذكر هذه المسائل حباً في العرب ، وانما بغضاً للإنجليز ، ان العرب تاريخهم ، مزاجهم عوائدهم ، ديانتهم تأبى عليهم صداقة الدكتاتورية .

ولنا كلمة نوجهها الى المذيعين العرب في محطة برلين :— اننا لا نجعل انفسنا مطية للمستعمرين . ان الشرق العربي والدم العربي يأبيان علينا ذلك وينكرانه[١] . ولكن هل انتم في محطة برلين تدافعون عن العرب والعروبة حقيقة ؟ اذن فلماذا تذكرون فظائع الانجليز والفرنسويين ولا تذكرون فظائع ايطاليا وهي كما تعرفون أدهى وأمر .

تذيعون وتدافعون في سبيل العرب أم في سبيل شيء آخر كان أولى بكم الزهد فيه .

وأخيراً هل نظفر برهة في الخيال فنعود إلى ما قبل الحرب العظمى لنرى كيف كانت باريس تحتضن دعاة

(١) جاء الكاتب بهذا الكلام كرد اعتبار أو تراجع عما قاله في الفقرة الرابعة من النص .

القومية العربية (الشهيد الزهراوي) واخوانه فيعقدون فيها المؤتمر العربي ويتغنون بمزايا الام الحنون ونعود فنطل الآن على سورية فننشد مع اهلها قول أحد شعرائها :

حدث عن الام الحنون فانها
كالهر تفتك في البنين وتفرس(١)

واخيراً قد تحمل الشهامة متربعي محطة برلين فيتشجعون لإذاعة شيء عن ايطاليا فنحن نروي لهم الحادثة التالية التي قصها علينا شاهد عيان جاء من الصومال الايطالي حديثاً الى البحرين قال : — انه لن يعود الى محل فيه ايطاليا أو قريب منه فقد قضى في السجن ستة اشهر بغير ذنب والسبب أن قاضي المحكمة الايطالي كان يزمع القنص فقصد المحكمة بسيارته المحملة بمعدات الرحلة بقصد الفصل في بعض القضايا ريثما يحين الوقت ولكنه لما دخلها وجد المجتمعين كثيرين والقضايا جمة فوقف وقال حكمت عليكم كل واحد ستة اشهر سجن فأخذوا جميعاً الى السجون . وفهم القاتل والسارق .. وانا !! وقد جئت بصفة متفرج ونزل بي ما نزل .

احتجاب الجريدة :

بعد صدور الجريدة بعام واحد — على وجه التحديد —

(١) يعني حكومة فرنسا التي شكلها الالمان بعد احتلالهم للبلاد الفرنسية . فأصبحت مصنوعة على أعينهم .

نشر الزائد بها مقالاً يتعلق بالحالة العلاجية بمستشفى الحكومة. مما اعتبرته السلطة المسؤولة مساساً بشؤونها الخاصة ، لذا فقد حوكم صاحب الجريدة وادين بغرامة قدرها خمسمائة روبية .

فلما كان عام ١٩٤٤ أراد الزائد أن ينشر موضوعاً يحث فيه الامارات العربية المتناثرة على ضفاف الخليج بالاتحاد في دولة واحدة [١] . وكالعادة أرسلت النسخة الأولى من الجريدة الى الرقابة ، ثم أعيدت الى المطبعة ، وقد شطب قلم الرقيب على جل الموضوع . فقام الزائد بإدخال تعديل على الموضوع . وأرسله الى الرقابة مرة أخرى ، فعاد الموضوع وقد شطب قلم الرقيب على أهم نقاطه ، ففقد أهميته .

* * *

كان الوقت ضيقاً .. فاليوم هو الخميس ، وفي نهايته تخرج الجريدة الى الأسواق . لذا لم يسع الزائد الا ان يتجاهل تعديل الرقابة الثاني للموضوع ، ويأمر باصدار الجريدة ، وبها الموضوع كاملاً ، مما اعتبرته السلطة المسئولة في البلاد مساساً بسياستها [٢] فصدر الأمر بإيقافها عن

---

(١) راجع مشروع اتحاد امارات الخليج — فصل (في الحقل السياسي).

(٢) العدد ٢٦٤ /١٩٤٤ من جريدة البحرين .

الصدور . الا أن الزائد توصل مع المسؤلين الى اتفاق . وهو أن يصدر عددين أو ثلاثة من الجريدة ، ثم يوقفها تطبيقاً لأمر ايقافها .

ويظهر من هذا الاتفاق أنه جاء لصالح السلطة المسؤولة بالدرجة الأولى . فمن جانبها أتى الاتفاق لها بتوقيف الجريدة عن الصدور بلا تعسف .. وبالتالي بلا ضوضاء . أما من جانب الزائد ، فانه وان كان لا يستطيع إلغاء قرار المنع فقد استفاد من تأخيره ، ليتصل بقرائه ، وليقول لهم ما شاء من تعلة للتخفيف من حزنهم بإيقاف صدور جريدتهم الوحيدة . وليعدهم باستئناف صدورها مرة أخرى .

أزمة ورق :

ويستغل الزائد أزمة الورق الناشبة أظفارها في العـالم ــ آنذاك ــ فيصدر من جريدته عددين يقول في آخرهما ما معناه : ــ أنه نظراً لأزمة الورق الشديدة التي تجتاح العالم في هذه الأيام وقد احتجبت من جراء ذلك صحف مهمة في العالم ، فان جريدة البحرين تعلن لقرائها الكرام : أن هذا العدد هو آخر عدد يصدر منها وستحتجب حتى انفراج أزمة الورق .

* * *

هكذا احتجبت جريدة البحرين في سنتها السادسة عام

١٩٤٤ وبقيت محتجبة حتى عام ١٩٥٦ حين عادت الى الظهور ، فصدر منها بضعة أعداد بإشراف بعض اصدقاء الزائد الا أنها أحتجبت مرة أخرى[١] .

(١) وهم راشد الجلاهمه ، وحمد الفاضل ، وعلي عبد الله الزائد ، وصدر العدد الأول من جريدة البحرين الجديدة في ٦ فبراير ١٩٥٦ ثم احتجبت بعد صدور بضعة أعداد منها .

ذاك سرد تاريخى موجز عن نشأة وحياة جريدة البحرين ، ولكن ٠٠ هل يغنى عن التعرف على تلك الجريدة كأداة اعلامية متقدمة فى الزمن الاعلامى فى الخليج العربى ؟

لقد جاءت جريدة البحرين على فترة مجدبه من الاداء الصحفى المتعلق بالخليج ٠ فاستئناف صحف جنوب العراق ٠٠ فقد جاءت جريدة البحرين بعد ان توقفت مجلة الكويت عن الصدور بثمانية اعوام(١) ، وبعد ان احتجبت جريدة الشورى المصرية وخليفتها الشباب(٢) وجريدة الاخبار المصرية (٣) بعد اعوام قليلة ، ولم يبق فى هذا المجال سوى مجلة الفتح المصرية(٤) التى لم يكن لها سوى اهتمام محدود بشئون الخليج من خلال مقالات كتبها بعض مثقفى الخليج آنذاك ، وخاصة فى الكويت والبحرين والشارقة ٠ وايضا سوى بعض صحف العراق كالاوقات(٥) والسجل البغداديتين ٠

---

(١) مجلة الكويت للمؤرخ الكويتى عبدالعزيز ارشيد ١٩٢٨ - ١٩٣١ ٠

(٢) الشورى والشباب صحيفتان اسسهما تباعا المناضل الفلسطينى الاستاذ محمد علي الطاهر من ١٩٢٤ - ١٩٣٨ ٠

(٣) الاخبار المصرية من ١٩٢٤ - ١٩٢٨ للاستاذ امين الرافقى

(٤) مجلة الفتح المصرية للاستاذ الشيخ ابوقصى محب الدين الخطيب

(٥) الاوقات رسمية صدرت عام ١٩١٥ ٠



اما فى المجال الادبى فقد رعته جريدة البحرين أيما رعاية ، حيث اتاحت لاساطين الشعر والادب فى الخليج آنذاك امثال عبدالرزاق البصير ، وابراهيم العريض ، وفهد العسكر والشيخ محمد بن عيسى الخليفة ، وقاسم محمد الشيراوى ، وعبدالرحمن المعاودة ، وصقر الشبيب ، والشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك وعبدالرحيم بن عبدالملك روزبة ان ينشروا انتاجاتهم الادبية فيها باستمرار

•• مثلما فعل الشاعران ابراهيم العريض ، وعبدالرحمن المعاودة من نشر رباعياتهم الشعرية عن الخيام باعداد الجريدة تباعا •

واذا كان ما ذكرناه مسبقا فى هذا المجال هو من قبيل الادب الخليجى المحلى •• فان الجريدة لم تقف عند هذا الحد فقد نشرت لكثير من شعراء البلاد العربية وكتابها امثال محمد علي الحومانى والعقاد من مصر ، ومحمد صالح بحر العلوم من العراق ، ومحمد الفراتى من سورية •

يبقى بعد ذلك فان جريدة البحرين كانت المرآة العاكسة ايضا للانجازات التنموية فى البحرين والخليج بسبب انها خرجت الى الوجود ومنطقة الخليج تعيش بواكير اكتشاف النفط فيها • مثل ذلك مارصدته من اوليات انشاء الابنية والمرافق الادارية المهمة فى البحرين • مثل افتتاح مبنى مستشفى حكومة البحرين بالنعيم عام ١٩٤٠ وماتلاه من افتتاح اذاعة البحرين الاولى عام ١٩٤٠ ، وكذلك جسر المحرق عام ١٩٤٢ •

لذلك فقد اصبح مجال الاداء الصحفى فى الخليج شاغرا •• فجاءت جريدة البحرين فشغلته بحيث اصبحت الصحيفة الوحيدة فى اقليم البحرين القديم •• اى من الاحساء فى الجنوب الشرقى حتى الكويت فى الشمال بالاضافة الى قطر والامارات العربية وعمان •

لقد غطت جريدة البحرين تلك المساحة ما وسعها

الى ذلك سبيلا •• ولمساحة زمنية تقدر بستة اعوام الا أشهراً قليلة • فاذا كان هذا حظ جريدة البحرين من حياة صحفية حافلة كما تفصح عنه المئات من اعدادها فما هى تلك الحياة الصحفية الحافلة •

للجواب على ذلك سنكتفى بذكر جوانب مهمة كأمثلة من تلك الحياة الصحفية ، وذلك من خلال مئات من اعداد الجريدة فهى لم تترك من شؤون الحياة مجال معروف آنذاك الا ونشرت عنه شيئا • سواء كان اجتماعيا او اقتصاديا او سياسيا او انسانيا كالفنون والآداب • او المجالات الاخرى كالانشطة العمالية والرياضية[1] •

واذا كنا قد ألمحنا الى شىء من ذلك فى الاصدار الاول لهذا الكتاب •• الا اننا فى حاجة الى تفصيل شىء مما اجملناه مسبقا فى حديثنا عن تلك المجالات •• مع الاخذ بعين الاعتبار اننا هنا لا نقدم دراسة عن جريدة البحرين ، وانما نتحدث عنها كانجاز من انجازات الزائد الكبيرة •

---

(١) جريدة البحرين العدد ٢٢٤/١٧/١٩٤٣ ـ انظر عنوان (يوم الامم المتحدة) جرت فيه مباراة لكرة القدم بين المحرق والمنامة ، ولم يفز احد على الآخر • كما جرت فيه مباراة للهوكى وسباق للزوارق •

ان من تلك المجالات التى غطتها جريدة البحرين ولم نستطع الحديث عنها بشىء من التفصيل فى الاصدار الاول لهذا الكتاب فى الثقافة والفنون والادب ، حيث فتحت الجريدة صدرها لقراء وكتاب منطقة الخليج لنشر كتاباتهم فى جميع همومهم آنذاك • مثل تلك الكتابات الثقافية والادبية الرصينة كالمناقشات الثقافية التى دارت بين بعض مثقفى الخليج تحت عنوان ابن الرمي •

وكتابات اخرى مماثلة كالنقاش الادبى الذى دار بين الاستاذ عبدالرحيم روزبة من البحرين والاستاذ عبدالرزاق البصير من الكويت •

اما فى مجال الفنون فالجريدة كانت المرآت العاكسة للمسرح البحرينى وظلت ترصده خلال حقبة تطورة الثلاث من مسرح مدرس حكومى •

الى مسرح اندية شبه محترفة[٢] كذلك فان الجريدة اهتمت بالسينما من خلال رعايتها للمسرح الوطنى •• تلك المؤسسة الفنية التى اقامها الزائد مع مشاركين آخرين باسم (مرسح البحرين)[٣] •

---

(٢) جريدة البحرين العدد ١٩٤١/١٢/١٤٤ والعدد ١٩٤٣/٣/٢١١ •

(٣) كانت هذه التسمية شائعة آنذاك فى البلاد العربية •

في الحقل السياسي

توطئة :

في الكلام على الزائد كسياسي قد يعتريه شيء مـــن الصعوبة والغموض ، وخصوصاً في فترة نشأته الأولى إبان أوائل القرن العشرين لندرة المصادر ، وهي لن تكون غير معلومات يجب أن تأتي من اترابه ، والأحياء منهم اليوم قليلون .

لهذا اذا أردنا عرض حياة الزائد عرضاً واضحاً جلياً ليتسنى لنا تقويم هذه الحياة لا بد من تقسيمها إلى ثلاث مراحل .

المرحلة الأولى ما بين عامي ١٩١٠ و ١٩٢٥ .
المرحلة الثانية ما بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٣٩ .
المرحلة الثالثة ما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٤ .

وهي الأخيرة .

المرحلة الأولى :

في هذه المرحلة كان الزائد الشاب ـ آنذاك ـ تلميذاً في كل أفكاره ومفاهيمه الاجتماعية والسياسية على أولئك الرواد الأول في مضمار الثقافة في البحرين . أمثال الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة ، والشيخ عبد الوهاب ابن حجي الزياني ، والشيخ محمد بن عيسى الخليفة وامثالهم .

ولم يكن الزائد هو الوحيد في هذا المضمار ممن تلقى تلك المفاهيم بل ان معه كثيراً من اترابه المجيدين ، وكان من أبرزهم في هذه المرحلة الشيخ محمد بن عبدالله الخليفة والشيخ محمد صالح يوسف خنجي ، وقاسم محمد الشبراوي وسلمان التاجر[1] وناصر الخيري[2] ، واحمد الشبراوي .. وكثيرون غيرهم .

واثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها لم تنقطع الصلة بين

---

(١) هو الأديب الشاعر سلمان بن احمد بن عباس التاجر المتوفي في المنامة عام ١٩٢٥ وهو في أواخر العقد الرابع من عمره . كان على قدر كبير من الثقافة العربية وشيء من الثقافة الغربية . التي عرفها اثناء دراسته في الهند وقد درس في العراق فأخذ قسطاً وفيراً من اللغة العربية والفقه الاسلامي . كتب عدة رسائل في مواضيع مختلفة ولكنه لم يتم شيئاً منها .

(٢) هو الأديب الناثر ناصر الخيري توفي في المنامة قرابة عام ١٩٤٠ ألف تاريخاً عن البحرين تقدم به الى دائرة المستشارية لحكومة البحرين قبل وفاته بقليل ولم يعلم عن مسوداته شيء بعد ذلك . شغل ناصر وظيفة في بلدية المنامه . وكان طموحاً ذا صلات قوية بأصحاب الصحف العربية في زمانه ، ومن مؤسسي نادي إقبال اوال بالمنامه حوالي عام ١٩١٩ .

الرواد الأول وتلامذتهم .

واذا أخذنا في حسابنا عدم يسر المواصلات السلكية واللاسلكية بالنسبة لمنطقة الخليج — في أوائل القرن العشرين — وبطئ وسائل النقل منها واليها ، أدركنا إلى أي مدى بعيد وصلت سعة المدارك الفكرية لهؤلاء الشباب ، حتى استطاعوا عام ١٩٢١ تأسيس النادي الأدبي بالمحرق[١] .

* * *

بعد تأسيس النادي بزمن قصير تبلور فكر هؤلاء السياسي العام في صبغة فكر سياسي داخلي — في معظم عمومياته — اذ تميز بسمات الدعوة الى الإصلاح الداخلي . ومحاولة تقليص نفوذ الدولة الحامية لامارات الخليج من التدخل في شؤون البحرين الداخلية .

برز كل ذلك عبر الاحتفاءات والترحيبات التي اظهرها شباب هذا النادي بزوار البحرين من الأدباء والمفكرين السياسيين ، أمثال الشنقيطي ، والثعالبي ، والريحاني ، وخالد الفرج . ووضح ذلك وتأكد في الكلمات والقصائد التي قيلت في هذه المناسبات ، وخاصة بعد حادثة عزل الحاكم السابع عام ١٩٢٣ ومضاعفاتها بعد نفي بعض قادة الاصلاح في البلاد الى خارجها [٢] .

---

(١) أول ناد ثقافي تأسس بمدينة المحرق برئاسة الشيخ محمد بن عبد الله بن عيسى الخليفة .

(٢) راجع فصل (الزائد الأديب الشاعر) في قصيدة من للقضية . ص

المرحلة الثانية :

في هذه المرحلة التي تقع بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٣٩ استمر النادي في تأدية رسالته حتى عام ١٩٣٧ . وتميزت هذه الفترة ببادرة اشتراك البحرين في تكريم الشاعر احمد شوقي بإمارة الشعر عام ١٩٢٧ وكان دور الزائد فيها بارزاً جداً [1] . الا ان حياته السياسية في هذه الفترة تميزت بالركود الا ما كان من زياراته للبلاد العربية واتصاله بمفكريها من الأدباء والسياسيين أمثال محمد علي الطاهر والشيخ رشيد رضا ، والعقاد وطه حسين .

المرحلة الثالثة :

تأتي بعد ذلك المرحلة السياسية الثالثة والأخيرة من حياة الزائد ما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٤ وهي ما سنتكلم عنها بيسر لتوفر مصدرين مهمين من مصادرها وهما أعداد من جريدة البحرين ، وقرب هذه الفترة الأخيرة من حياتنا ، الأمر الذي هيأ لنا الاتصال بالأحياء من أصدقاء الزائد [2] والاسترشاد بمعلوماتهم القيمة في هذا الباب .

* * *

---

(١) راجع فصل (زمالات الزائد الفكرية) في موضوع النادي يكرم شوقي . ص .

(٢) أنظر أواخر مقدمة الكتاب .

قضية فلسطين :

في هذه المرحلة الأخيرة من حياة الزائد السياسية ، ومن المصدر الأول ــ في هذه المرحلة ــ وهو جريدة البحرين نقرأ ، للزائد مقالات رصينة كتبها دفاعاً عن قضية العرب في فلسطين . مقالات يبرز فيها الزائد سياسياً متمكناً من فنه ــ في اللعبة السياسية ــ حتّى أنه ليقرن دفاعه بحلول سياسية ، متسمة بالواقعية والشمول .

ولا يسعنا هنا أن نورد أكثر من مثال واحد لهذا الدفاع عن قضية العرب الأولى ، لنترك المجال في هذا الباب لنماذج أخرى من نشاط الزائد السياسي في مختلف المجالات .

كتب الزائد في جريدة البحرين عن هجرة اليهود إلى فلسطين وموقف بريطانيا وفرنسا من هذه الهجرة (١) فقال تحت عنوان : ــ

(بريطانيا وفرنسا ، لماذا لاتسكنان يهود أوروبا الوسطى في بلاديهما)

« يعطف الانجليز والفرنسيون على اليهود الذين يضطرون إلى مغادرة أوطانهم الأصلية في المانيــا ، والنمسا ، وتشكوسلوفاكيا ، وغيرها من بلاد أوروبا الوسطى .

وتعني فرنسا وبريطانيا بتدبير مأوى يأوي اللاجئون

---

(١) جريدة البحرين العدد ٢٣ ١٩٣٩/٨/٣١ .

اليه ، ومهجر ، أو مهاجر يلتمسون فيها أوطاناً جديدة ، وقد حارت الدولتان في تحقيق أغراضهما ، وسيما أن جهودهما لم تجاوز حتى الآن مرحلة العطف الا قليلاً ، اذا استثنينا فلسطين فانها حتى الآن الحل الوحيد الذي ابتكرته الدولتان .

أما ما يقال عن غويانا البريطانية[١] والبرازيل ، وسواهما فلا يزال في ثنايا الزمان ، ووراء سجف المستقبل ، ولكن هناك حل نستغرب كيف لم يفطن له من ذكرنا في فرنسا وبريطانيا .

فالمعروف والمعترف به أن عدد المواليد في فرنسا آخذ في نقص مستمر ، ومطرد ، وأن عدد الأيدي العاملة فيها أقل مما تحتاج اليه زراعة البلاد . وكانت فرنسا تعتمد على الايطاليين حتى جاوز عددهم في الأعوام الأخيرة مليون عامل . واذا استمرت الحالة في فرنسا على ما هي عليه . وهو ما ينتظر ، فان حاجتها الى السكان تزيد زيادة مطردة .

فلماذا لا تنتهز الأمة الفرنسوية هذه الفرصة السانحة وتستقبل هؤلاء اللاجئين المساكين[٢] وتضمهم الى

---

(١) مستعمرة بريطانية تقع شمال امريكا الجنوبية وتطل شواطئها على البحر الكاريبي ، وهي تحت الحكم الذاتي الآن .

(٢) لم يكن الزائد مخطئاً حينما وصف اللاجئين اليهود في أوروبا الوسطى « بالمساكين » . فان من طبيعة العرب السمحة أن يكونوا مع كل مظلوم على كل ظالم . فلما تشرد يهود أوروبا الوسطى – قبل الحرب العالمية الثانية بقليل نتيجة لمقاومتهم لحكومة المانيا الهتلرية – استنكر العرب شعوباً وحكومات=

صدرها وتجعل منهم مواطنين فرنسويين !! ومن بينهم علماء واطباء ومحامون وصيادلة ، وصناع ماهرون وعمال زراعيون يسدون حاجتها ويحولون دون النقص في انتاجها .

والذي يقال عن فرنسا من هذه الناحية ، يقال مثله عن بريطانيا وإن لم يبلغ الأمر كذلك فعلماء الانجليز يوجسون الآن شراً من نقص المواليد عندهم ، ويحسون لذلك عواقبه ، حتى أخذوا يرون أن الهجرة من بلادهم إلى بلدان الدومنيون(١) ليست في مصلحتهم .

وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يفتحون أبواب بلادهم للاجئين من يهود أوروبا الوسطى فيقضون له غرضين ويصيبون عصفورين بحجر ، فمن الناحية الواحدة يحققون عاطفة الشفقة والرأفة التي يعظمونها ، والتي حملتهم على صنع ما صنعوا في فلسطين ، ومن الجهة الأخرى يسدون نقصاً يرونه محتماً في مستقبل شعبهم وبلادهم يتبنى قوم شهد الانجليز لهم بالبراعة والمقدرة وحب التعمير والنشاط في العمل . واستشهدوا على صحة ذلك بما تم على أيـــدي

= ذلك الحيف الذي نزل بهم، أول من قال بهذا هم مؤرخوا أوروبا المحدثين وعلى رأسهم أرنولد توينبي . وهي شهادة لها وزنها تاريخياً .

أما العرب فأثابهم استنكارهم هذا .. غماً بغم . فكان نصيبهم من اليهود والأوربيين المنتصرين جزاء سنمار .

(١) بلدان شعوب الامبراطورية البريطانية سابقاً . أو ما يسمى الآن بدول الكمنولث البريطاني بعد أن استلقت شعوب هذه الدول أمثال كندا ، أوستراليا ، نيوزيلاندا ، الملابو ، سنغافورة ، الهند ، والباكستان ..

الصهيونيين في فلسطين ، مما يرى الانجليز أنه يجب أن يكسبهم مقاماً خاصاً في تلك البلاد في عصر صار فيه المقام الأول للماديات . فاذا أجيز لمليون يهودي (أشهد أن لا اله الا الله) أن يقيموا في انجلترا فانهم يعمرون أراضيها الزراعية المهملة . كما عمروا الأرض الزراعية في فلسطين . وتكسب منهم انجلترا مثل الذي يقول الإنجليز أن فلسطين تكسب من هجرتهم اليها والعياذ بالله .. ! !

ان فرنسا وبريطانيا لا تقبلان أحداً منهم في بلاديهما ، ولا تفسحان أبواب مستعمراتهما العظيمة ليكون فيها وطن جديد لأولئك المساكين ! ! وحسبهم ما قاله كاتب انجليزي اسمه هارولد وهو : « إنا معشر الانجليز بمنحنا اليهود وطناً قومياً أبدينا سخاءً مدهشاً . » كتب هذا ولم يحمر وجهه خجلاً فرد عليه ضابط انجليزي اسمه الميجر بيتس برسالة وجيزة قال فيها : « كان يحق لنا أن نتبجح بالسخاء لو منحنا اليهود حق الاقامة في ولاية أو ولايتين من ولايات شرق انجلترا أو جنوبها.. » فأخرسه .

هل تقبل الدولتان هذا الاقتراح ، فانه يحل أزمة يهود أوروبا الوسطى ، ويكسب الامتين الديمقراطيتين ، نصيرتي الحرية والانسانية ، عنصراً نشطاً عاملاً بارعاً بشهادة جميع اقطاب انجلترا ! !)

مشروع اتحاد الإمارات في الخليج العربي :

حين أوشك زعماء العرب على تكوين الجامعة العربية .. وفي غمرة شعور الزائد بقرب تحقيق آمال العرب في وحدتهم المنشودة ، قام يدعو قولاً وعملاً الى مشروعه اتحاد امارات الخليج العربي في دولة واحدة . فاتصل — في ذلك الشأن — بأمراء الخليج فوجد موقف أغلبهم سلبياً من هذا المشروع . ومن ثم اتصل ببريطانيا بواسطة ممثليها في الخليج ، وشرح لهم مشروعه فوافقوا عليه من حيث المبدأ ، شريطة أن يبدي أمراء الخليج رغبتهم في هذا الاتحاد .

* * *

بنود المشروع السبعة :

كتب الزائد في افتتاحية العدد ٢٦٤ من جريدة البحرين يقول :

« في افتتاحيتنا اليوم آثرنا أن نبحث موضوع الاتحاد بين البلدان العربية في الخليج ، ونعني بها مسقط وتوابعها ، ورأس الخيمة ، والشارقة ، ودبي وأبو ظـــبي وقطر ، والبحرين ، والكويت[1] . عدا امارات صغيرة لم نذكرها لصغرها ، وهي تُعد بالعشرات في الساحل العماني .

(١) نالت الكويت استقلالها فأصبحت دولة مستقلة عام ١٩٦١ ، ثم نالت كل من البحرين وقطر استقلالها عام ١٩٧١ فأصبحتا دولتان مستقلتان .

مراراً كتبنا في هذا الموضوع الذي يهمنا بوجه خاص ، وقد وقف محرر هذه الجريدة شخصياً على آراء الكثير من أمراء الخليج وشيوخه . كما أنه متأكد أن بريطانيا لا تعارض هذا المشروع ، فيما لو أبدى شيوخ الامارات رغبتهم في هذا الاتحاد . بل انها على الراجح ستبادر الى المساعدة والمعونة .

نعيد هنا ما كررناه مراراً ، وهو أن اتحاد الامارات العربية في الخليج لا يعني أن يتنازل أي أمير عن عرشه ، أو يفقد شيئاً من نفوذه ، أو ينقص شيئاً من دخله ، بل بالعكس فان الحروب بين الامارات ستزول وتنعدم ، ويحل محلها سلم وامان دائمين[١] .

وبهذا السلم والأمان سيصبح مركز كل عائلة مالكة في أي امارة وطيداً ثابتاً لا يتزعزع .

يبنى الاتحاد المطلوب على سبعة مبادىء استخلصناها من أفواه نبهاء عرب الامارات ومنهم بعض الامراء الحاكمين .

أولاً — ازالة الحواجز الجمركية عن منتوج الامارات .

ثانياً — إلغاء جوازات السفر بين الامارات بالكلية .

(١) يشير الزائد الى الاعمال الحربية التي تقع بين آونة واخرى بين إمارات الساحل المتصالح في الخليج ، وأهمها تلك الاعمال الحربية التي وقعت بين عام ١٩٣٩ و ١٩٤١ راجع الفصل الرابع (جريدة البحرين مرآة الخليج) .

ثالثاً — ينشأ مجلس اتحاد قوامه الأمراء خاصة ، ينتخب بمعدل عضوين لكل مائة الف ، وعضو لكل ما نقص عن ذلك ، والمجلس ينتخب رئيسه ، ويجب أن يكون أحد الحكام المتربعين على دست الحكم ببلادهم .

رابعاً — يوحد البرنامج الدراسي في جميع الامارات . ويكون للمعارف مدير واحد فيها جميعاً ، ومجلس معارف منتخب من الجميع ، وتكون الكتب المدرسية واحدة، والعطلات والفسحات والألعاب متماثلة .

خامساً — تخصيص للسفر ولنقل البريد سفن تجارية تسافر كل يوم ابتداءً من الكويت الى مسقط هذه السفن ، ستزيد ولا ريب صلة الامارات العربية بعضها ببعض ، فاذا أضفنا الى ذلك ما ينتظر من التقدم للطيران ، فاننا نعتقد أن هذه الامارات التي تبدو متباعدة سوف تصبح وكأنها مدينة واحدة .

سادساً — مصروفات الاتحاد ، يعتقد بأن من الأوفق أن تجنى من ضريبة جمركية . فالبلاد التي تفرض على شيء ما مثلاً ٥ ٪ يمكنها أن تجعل ذلك ٧ ٪ . الاثنان للوازم الاتحاد .

سابعاً — نؤسس قوة عسكرية متماثلة في التدريب ، في كل امارة من الإمارات ، وتكون لها قيادة موحدة في

البر ، كما تكون هناك قيادة للبحر ، ولا بد من وجود اسطول صغير موحد بين الامارات ليحمي السواحل ويخفرها .

تلك هي القواعد التي يرى من اجتمعنا بهم من أمراء الخليج ونبهائه ، أنه يجب أن تبنى عليها الوحدة بين امارات الخليج ، نحن ممن يؤيدون المشروع المؤمل المنتظر ، والمكون من السبع مواد التي ذكرت آنفاً .

والأمل الآن معقود على أن يتقدم الأمراء أجمع فيعقدوا مؤتمراً بينهم يتمول فيه بحث الموضوع مجتمعين كما سبق وبحثوه منفردين » .

* * *

كان من الممكن تنفيذ هذا المشروع العظيم .. لولا وقوف المصالح الفردية والأجنبية في وجهه واقفاله .

مع السياسيين البريطانيين في البحرين :

كثيراً ما كان الزائد يلتقي في مناسبات وحفلات . رسمية أو شبه رسمية بمعتمد بريطانيا في البحرين ـــ سواء قبل الحرب العالمية الثانية أو اثنائها ـــ فتجري الأحايث ، وتتشعب وتنفذ بنفاذ وقت الحفلة أو المناسبة .

وفي احدى هذه المناسبات ، وكانت حفـــلة شاي

أقامها اثناء الحرب العالمية الثانية – معتمد بريطانيا في البحرين . في هـــذه الحفلة التي حضرها حشد من أعيان البحرين – آنذاك – بما فيهم عبدالله الزائد، قام المعتمد وألقى كلمة شكر فيها البحرين شعباً وحكومة على تعاونهم مع الحلفاء اثناء الحرب ، ولما انتهى من ذلك . قام الزائد واستأذن في الكلام فأذن له فقال : – « .. أما ما قدمتموه لنا من شكر وتقدير فأتمنى أن تبلوروا هذا الشكر ، وهذا التقدير الى اصلاحات جذرية تنفذونها في البحرين .. وهنا قاطعه المعتمد قائلاً : – ما هي هذه الاصلاحات ؟ . عند ذلك تقدم الزائد – الى المعتمد – بلائحة تلا منها الاقتراحات التالية : –

أولاً – اصلاح الدرك في البحرين بجعل أفراده وضباطه من المواطنين ، على أن يرفع من أجورهم وتبنى مساكن لهم . ليحيوا حياة كريمة تمكنهم من خدمة بلادهم .

ثانياً – ارساء القضاء المدني والجنائي في البحرين على دعائم قوية من النظام والعدل .

أ – ويقتضي ذلك سن قانون مدني وآخر جنائي يتفقان مع بيئة وعادات البلاد .

ب – ايفاد شباب الى خارج البلاد لدراسة الحقوق ونظم القضاء ليخدموا بلادهم عن علم ودراية .

ثالثاً — اصلاح السجون ، واصلاح أحوال المساجين .

رابعاً — الاعتناء بالمستشفيات وخاصة الحالة العلاجية فيها وتحذير الأطباء والممرضين الأغراب منهم بوجه خاص ، بأن يعاملوا المواطنين بكل لياقة وحسن أدب .

* * *

لكن هذه الاقتراحات لم تُنفذ .. ولم يمد الله في أجل الزائد لمواصلة السعي لتنفيذها[1] .

صلاته بأمراء بلاده :

عاصر الزائد ثلاثة من أمراء البحرين في الفترة ما بين عام ١٩١٠ و ١٩٤٥[2] وهي الفترة التي استقطبت زهرة سني حياته ، التي قضاها في عمل حثيث متواصل لخدمة بلاده . تلك الفترة التي تميزت بتطورات مثيرة مرت بالبحرين وانعكس ظلها على بلاد الخليج الأخرى .

كان الزائد في تلك الفترة على صلة وثيقة بأمراء بلاده ، لذا فقد ظلوا يوكلون اليه — بين الفينة والأخرى — مهمات

---

(١) جميع هذه الاقتراحات نفذت إبان عهد الشيخ سلمان بن حمد حاكم البحرين السابق .

(٢) أولهم الشيخ عيسى بن علي الخليفة من ١٨٧٠ إلى ١٩٢٣ والشيخ حمد بن عيسى الخليفة من عام ١٩٢٣ إلى ١٩٤٢ ثم الشيخ سلمان بن حمد الخليفة من ١٩٤٢ إلى ١٩٦١ .

رسمية كبيرة .. كان اتصاله بهم اتصالاً مثمراً لصالح أمته ووطنه . وكان للزائد طرق عديدة يسلكها في الحصول على اصلاحات جديدة تعود على أمته بالخير ، فانه كان يصوغ مشروعات تلك الاصلاحات في صورة اقتراحات يقدمها الى امراء البلاد بطريقة ليقة مقنعة . فاذا ما حازت عـــلى موافقتهم المبدئية ، سار هو في تهيئتها في قالب مشروع اصلاحي جاهز للتنفيذ .

وعندما يتصل الزائد بالرسميين الأجانب في البحرين وخارجها ، فان اتصاله هذا بهم يصبح شبه رسمي . وهم كانوا يشعرون بذلك ، فالزائد كان يُعد بحق الناطق الرسمي المعبر عن آمال شعب البحرين وتطلعاته الى الاصلاح .

بين ايران والبحرين :

كان الزائد ينظر الى مستقبل بلاده بعين نفاذة وفكر سليم ، كان يرى أن البحرين في خطر اذا لم يدرك أبناؤها المخلصون وضع بلادهم بالنسبة لجارتهم ايران فيتكاتفوا في حل مشكلتهم بأنفسهم . لا أن يقعدوا كالقاصرين ، ويوكلوا أمر حلها الى آخرين غيرهم ..

لهذا كان الزائد ينتظر الوقت المناسب ليساهم في حل مشكلة بلاده مع ايران ، ولما سقطت ايران في أيدي الحلفاء ــ اثناء الحرب العالمية الثانية ــ ولبريطانيا الدور الأول في ذلك ، قرر الزائد الاتصال بالمسئولين البريطانيين في البحرين

للطلب من الحكومة البريطانية للتأثير على حكومة ايران حتى تعترف بالبحرين امارة مستقلة ..

وفعلاً اتصل الزائد بمعتمد بريطانيا في البحرين ـ آنذاك ـ وشرح له ما يود طلبه من حكومته لتساعد في حل هذه المشكلة فوافق المعتمد على نقل رغبة الزائد إلى رؤسائه في رئاسة الخليج .

بعد أيام جاءت موافقة الرئاسة على الاقتراح ، شريطة أن يبعث به الزائد اليها مرفقاً بمذكرة تفسيرية تتضمن كيفية اعتراف ايران بالبحرين امارة مستقلة .

ويبعث الزائد بمشروع اقتراحه مشفوعاً بمذكرته التفسيرية الى دار الرئاسة في الجفير . ويبقى منتظراً الجواب . قرابة شهر ، ولكن بلا جدوى . فقد قيل ـ في ذلك ـ الوقت أنه لم يحصل على جواب .

* * *

لا نعرف ان كان ورد جواب الاقتراح بعد ذلك إلى الزائد أم لا ؟ ولكن من المؤكد أن الاقتراح لم يحظ من المسؤلين البريطانيين بالاهتمام ، والا لكان لذلك بعض الصدى في الاوساط الرسمية آنذاك . ولم يصل إلى سمعنا أن الزائد تابع رحلة اقتراحه هذا . فقد مرت مناسبة عيد ميلاد الشاه ، ولم يتلق شيئاً ايجابياً من المسئولين البريطانيين عن هذا المشروع ، وخصوصاً وان تنفيذه كان مرهوناً

بظرف هذه المناسبة ، وقد مرت ولم ينفذ منه شيء فانتهى ظرفه بانتهاء ظرفها . فسكت عنه الزائد وكان ذلك عام ١٩٤١ .

المشروع المقترح :

نظراً لأهمية هذا المشروع المقترح — بالنسبة إلى مستقبل البحرين السياسي — لو تنفذ فقد غلفه الزائد بغلالة من الكتمان ولم يعلم به حتى الخلص من اصدقائه .

كان مشروع الاقتراح يتألف من ثلاثة بنود مهمة تستقطب صلبه وهم :

أولاً — بمناسبة قرب حلول عيد ميلاد جلالة شاه ايران ، يقوم حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة بتهنئته بعيد ميلاده .

ثانياً — يرد جلالة شاه ايران على تهنئة حاكم البحرين برسالة شكر جوابية تتضمن الاعتراف بالبحرين امارة مستقلة يحكمها امراء من آل خليفة .

ثالثاً — تجري — بعد تنفيذ هذين البندين — الإجراءات العادية في تحديد العلاقات السياسية بين بلدين مستقلين هما ايران والبحرين .

* * *

هذه هي البنود الثلاثة التي يدور حولها مشروع الاقتراح ،

أما مذكرته التفسيرية فلم نعلم عنها شيئاً، لا نصاً ولا سماعاً والأرجح أن النار أكلتها فيما أكلت من أوراق ملف الزائد السياسي الذي أمر بإحراقه قبل موته بأيام قليلة .

الملف السياسي :

كان الزائد يحتفظ بنسخ من أوراقه السياسية في ملف خاص أودعه ـ في سنواته الأخيرة ـ عند صديقه راشد الجلاهمة . ولما اشتدت عليه وطأة المرض ، وأحس بقرب نهايته أمر صديقه بحرق الملف فنفذ هذا رغبة صديقه وحرق الملف .

ومهما بررنا أمر الزائد لصديقه بحرق ملفه السياسي ، الذي قد تكون به أوراق سرية ، وتنفيذ الأخير أمر صديقه بأمانة . ومهما تكن ظروف الزائد ـ في تلك الأيام ـ حراجة وضيقاً ، فان حرق الملف ان تم كما شاء الزائد لا يخرج عن كونه غلطة كبرى لا بحق تاريخ البحرين الحديث فحسب بل بحق تاريخ الخليج العربي كله .

واخيراً لو بقي ذلك الملف ، وقدر لنا الاطلاع عليه لاستعنا به في إلقاء أضواء كاشفة على جوانب قد تكون خافية من حياة الزائد السياسية .

في الحقل الاجتماعي

المنعطف الوحيد :

من يراقب الزائد في جميع جوانب حياته يأخذه العجب. فقد ضرب هذا الرجل في كل اتجاه قصده بسهم رائش فأصاب . فمن تاجـــر الى صحفي ، إلى سياسي ، الى اجتماعي . وهو ثائر وشاعر وناثر . وهو فوق ذلك ابن القبيلة العربية المتحضرة .. المتشحة بالآداب الاسلامية الحميدة . حيث ورث هو ذلك عنها .

فلم يذكر عنه أنه كان لجوجاً أو مجادلاً .. ولم يُعرف عنه قط أنه ترك فرض صلاة مكتوبة . كان متديناً لولا أنه ركن الى الخمرة يحتسيها بنهم نتيجة خيبة أمل مُني بها يوم تكالبت عليه قوى الحقد والخيانة ، التي يقلقها ، ويقضي مضجعها كل من كرس حياته لخدمة أمته ، حين تعتقد أن ذلك مما يهدد مراكز قواها الاقتصادية .

كانت قضية ادمان الزائد على الخمرة هي المنعطف السيء الوحيد في حياته ، حتى أنه شوهد في كثير مـــن

الحالات وابريق الخمرة يتخذ مكانه تحت طاولة مكتبه في مطبعة البحرين . كان هذا الادمان على احتساء الخمرة هو السبب الوحيد — بعد ذلك — في القضاء على حياته القصيرة .

* * *

ونحن اذا أردنا — في هذا الباب — أن نعدد كثيراً من خدمات الزائد الاجتماعية ، لاقتضى ذلك أن نسود كثيراً من صفحات هذا الكتاب في سردها . وليس غرضنا ذلك . انما نحن بصدد الاتيان منها بأمثلة مهمة واضحة كنماذج لهذه الخدمات التي أسداها الزائد في داخل البلاد وخارجها .

وكنموذجين لذلك نأخذ أولاً مشروع اغاثة ايتام فلسطين . وهي خدمة اجتماعية خارجية أداها الزائد وثلة من رفقائه المحسنين . وثانياً — مشروع اغاثة الفقير في البحرين وهي خدمة اجتماعية كبيرة كان للزائد الفضل الأول في ابتداعها وتبنيها والدعوة لها ، حتى أعطت ثمارها للفقراء في البحرين .

أولاً : —

مشروع اغاثة أيتام فلسطين :

في أوائل عام ١٩٣٩ ونتيجة للكوارث التي ألمت بعرب فلسطين على يد اليهود وحاضنتهم بريطانيا ، وخاصة بعد

ثورة عام ١٩٣٦ . وكنتيجة أيضاً لتلك المذابح البشعة التي تلتها ، والتي مني بها العرب ، مما تواجد كثير من أطفال العرب ايتاماً في الساحة الفلسطينية . هب الشعب العربي المسلم في البحرين بقيادة الثلة المثقفة فيها — ومن بينهم الزائد الصحفي الجريء — إلى الاكتتاب لإغاثة هؤلاء الايتام الأبرياء . فكان أن تألفت لجنة أهلية لهذا الغرض ، أصبح رئيسها المرحوم الشيخ عبد الله بن عيسى الخليفة[١] ، وتولي أمانة صندوقها العين المحسن عبد العزيز العلي البسام . أما أمانة السر فيها فقد انيطت بعبد الله الزائد .

ولقد تمكنت هذه اللجنة من جمع حوالي ثلاثين الف روبية حولت الى جنيهات مصرية ، وارسلت بصك إلى رئيس اللجنة العربية العليا لاغاثة متكوبي فلسطين في القاهرة ، وورد وصل بذلك المبلغ من اللجنة في مصر الى اللجنة الأهلية بالبحرين[١] .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد أن المبلغ الذي تبرع به أهل البحرين لمنكوبي فلسطين ، دفعوه عن رضىً وهم في حالة اقتصادية سيئة آنذاك .

---

(١) كان الوصل بتوقيع الاستاذ عبد الحميد سعيد أمين صندوق اللجنة بالقاهرة .

ثانياً : ــ

مشروع اعانة الفقير :

كان لإعانة الفقير في البحرين مشروع .. وكان لهذا المشروع قصة حدثت حين عمت البحرين ضائقة معيشية شديدة في اول سني الحرب العالمية الثانية ــ قصة طريفة رواها لي الصديق راشد الجلاهمة قال : ــ

« ذهبت في أحد الأيام الى المطبعة متأخراً جداً فسألني الزائد عن سبب تأخري هذا والح في السؤال . فأجبته بأني قد سهرت وزوجتي عند جارنا الفقير المعدم ، حيث كان مثقلاً بالمرض .. وقد طرق زوجته المخاض . فلم يتركهما الا حين انبثق الفجر ، بعد أن وضعت المرأة طفلاً جميلاً . وكذلك خفت وطأة الحمى عن الزوج ، بما قمنا به من اسعافات أولية . »

وقلت له ايضاً : « لقد كان بيت جارنا خالياً من متاع الدنيا ، ولا سراج به يبدد عنه ظلمة الليل . وقد اعطيناه سراجاً وبعض المؤنة . وفي نيتنا أن نستمر في رعايتنا له ولزوجته حتى يتعافيان » .

وقال الجلاهمة : « كنت أود أن لا أسرد للزائد هذه القصة .. لاعتبارات أدبية ، ولأن الزائد كان عطوفاً عامراً قلبه بالرأفة على الفقراء والبائسين ، ولكنه الح علي فذكرت الحادثة له . فما كدت أتمها حتى انكفأ يبكي ويكفكف

من دموعه لأن لا تسقط على ما أمامه من أوراق فوق مكتبه . وانه لكذلك اذ قال لي : — اكتب يا راشد وأخذ يملي علي ، ومدير الطبع يستعجلنا .. فالجريدة على وشك الصدور ، حتى أملي علي الزائد في موضوع (اسعاف الفقير) ما حملته جريدة في ذلك العدد الى قرائها من شعور زاخر بالعاطفة المشفقة على فقراء الأمة ومعدميها . »

* * *

كان على الزائد أن يكتب — في جريدته — في هـذا الموضوع ما شاء الله أن يكتب .. لإثارة أريحية الناس وتأييدهم لهذا المشروع ويقف عند هذا الحد لو كـان كالصحفيين الآخرين . ولكن الزائد لم يكن صحفياً عادياً .. كان قبل ذلك مصلحاً أوقف حياته لمنفعة وطنه .

بعد نشر المقال في اسعاف الفقير ، قابل الزائد أمراء البلاد وأعيانها مقترحاً وداعياً الى تأليف هيئة أهلية لاسعاف الفقراء في البلاد ، فاستجابت له شلة صالحة من امراء البلاد واعيانها ، ثم تألفت الهيئة المقترحة واتخذت بلدية المنامة مقراً لها .

ويتحقق مشروع الزائد لإعانة الفقير في البحرين ، وتظهر الى الوجود هيئته المقترحة ، وتبدأ أعمالها فتختار الزائد أمين سر لها . لقد قامت هذه الهيئة بجمع التبرعات من أهل البلاد وأنقذت بها كثيراً من الأسر المعوزة .

ولما كان التمر – في تلك الآونة – من الأغذية الرئيسية في البحرين ، وقد اصبح يومها من المواد الشحيحة في البلاد . فقد كتب الزائد الى جلالة الملك عبد العزيز بن سعود يطلب فيه السماح بتصدير كمية معينة من تمر السعودية الى البحرين فكان أن تبرع الملك مشكوراً بكمية كبيرة من التمر .. فوصلت الى البلاد حيث وزع قسم منها على الفقراء والمعوزين

لقد كانت هذه الهيئة الشغل الشاغل للزائد حتى أواخر أيامه . وهي تعد من أفضل أولياته التي قدمها لخدمة بلاده.. وما أكثر هذه الأوليات وأفضلها [1] .

(١) إذاً فالزائد يكون أول داع – في الأربعينات من هذا القرن – إلى تكوين هيئة شعبية هي في الحقيقة أول جمعية للهلال الأحمر البحريني، وقد تكونت .. فكان الزائد أول أمين لسرها ، في وقت لم يكن لجميع بلاد الخليج ، أو حتى بعض البلاد العربية الأخرى هيئة شعبية مثلها .

زمالاته الفكرية

مع عبد الرحمن المعاودة [1] :

عبد الله الزائد وعبد الرحمن المعاوده غصنان مورقان في دوحة الأدب العربي في البحرين . أما الزائد فكان للمعاوده الأخ الاكبر والصديق الأبر . كانت نزعتهما واحدة في

---

(١) الاستاذ الشاعر عبد الرحمن قاسم المعاودة من مواليد المحرق عام ١٩١٤ . درس في الهداية الخليفية من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٢٧ ، وفي مطلع العام الدراسي ١٩٢٨ – ١٩٢٩ التحق بالجامعة الامريكية في بيروت في بعثة حكومية وفي مطلع العام الثالث من دراسته فيهاعاد الى البحرين : وفي أوائل الاربعينات أسس مدرسة الاصلاح الأهلية ، ثم تركها بعد عقد ونيف من السنين ليؤسس مدرسة الارشاد الاهلية التي لم يكن لها حظ في الاستمرار فأغلق أبوابها .

اشترك مع نادي الاصلاح بالمحرق من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٥٤ في اقامة مسرح للتمثيل مثلت فيه بعض رواياته الشعرية أمثال العلاء ابن الحضرمي، ويوم ذي قار فلاقت نجاحاً كبيراً . هاجر الى قطر عام ١٩٥٥ وهو مقيم بها حتى الآن . له من الدواوين الشعرية المطبوعة ديوان المعاودة طبع البحرين ١٩٤٢ ولسان الحال طبع بيروت ١٩٥٤ والقطريات طبع قطر . وعدة روايات شعرية لم تطبع بعد .

التعبير عن آلام وآمال شعبهم ، مع اختلاف في الشاعرية .. فالزائد ناظم والمعاودة مطبوع .

ولطالما شهدت ليالي الصديقين الحميمين جلسات عامرة بتبادل الآراء والأفكار البناءة . جلسات كان يعقدها الزائد مع أخلص أصدقائه .

كان المعاودة ممن حضروا تنفيذ فكرة تأسيس دار للطباعة في البحرين بإحدى ليالي صيف عام ١٩٣٥ . ومنذ صدور العدد الأول من جريدة البحرين ، وحتى احتجابها والمعاودة يغذيها بقريضة من آن لآخر . ولقد أخرجت مطبعة البحرين ديوان المعاودة الأول عام ١٩٤٢ باهتمام من الزائد وتشجيعه.

والمعاودة هو الذي خلف عبد الله بعد وفاته في مطبعة البحرين ، فضمنها من دائرة أموال القاصرين عام ١٩٤٥ محاولاً الاستمرار في تأدية رسالة العلم والثقافة في مجال النشر ، التي بدأها الزائد .

مع الشيخ محمد بن ابراهيم (١) :

توثقت عرى الود والاخاء بين الزائد والشيخ محمد بن شيخ الأدباء ابراهيم بن محمد ، وذلك أثناء تردد الزائد على

---

(١) هو الأديب الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد بن خليفةآ ل‌خليفة رجل له من دماثة الخلق ولطف المعشر ما يغري جلسائه بمصافاته ومؤاخاته يسكن الآن في (الجابور) إحدى قرى البحرين .

مجلس شيخ الأدباء بالمحرق. كان الاثنان — آنذاك — في ريعان الشباب. ومن ثم أصبحا صديقين متلازمين، وبقيا كذلك.. وان افترقا فيما بعد لفترات من الزمن، كان يقضيها الزائد في عمله التجاري.

ولقد بقيت هذه الصلة بينهما قوية، لدرجة أن الرسائل لم تنقطع بينهما اثناء رحلات الزائد إلى الهند والبلاد الأخرى.

فقد بعث الزائد إلى صديقه محمد برسالة مطولة في أول رحلة له إلى مدينة بمبي عام ١٩١٨، ووصف الزائد لصديقه في تلك الرسالة مختلف جوانب الحياة الهندية. كما بعث اليه أيضاً فيما بعد برسائل أخرى اثناء رحلتيه الى الهند عام ١٩٢٢ و ١٩٢٤.

وبقي التواد والتصافي — فيما بعد ذلك — بين الصديقين، حتى بعيد اصدار جريدة البحرين، حيث انشغل بها الزائد عما سواها.

مع الريحاني :

في شتاء عام ١٩٢٢ زار الأستاذ أمين الريحاني البحرين[١]

---

(١) أمين الريحاني (١٨٧٦ — ١٩٤٠) ولد بلبنان وهاجر الى امريكا الشمالية واشتغل بالتمثيل مدة ودرس الحقوق سنة واحدة، ثم عاد الى لبنان شاباً واهتم بدراسة اللغة العربية وشغف بشعر المتنبي. زار البلاد العربية وقابل رؤسائها وملوكها، وسافر الى عدة بلاد أوربية. وله من الكتب الريحانيات، وملوك العرب، وتاريخ نجد الحديث وفيصل الأول وعدة روايات منها التطور والاصلاح وزنبقة الغور من الشعر انشودة المتصوفين وقصائد أخرى.

وكان في طريقه الى المملكة العربية السعودية . فما أن وطئت قدماه البحرين حتى احتفى به أهلها ، وكرمه أمراؤهـــا ومثقفوها بما هو أهله . ووطأوا له كل صعب في سبيل التعرف على جميع جوانب الحياة المختلفة فيها .

* * *

وفي النادي الأدبي بالمحرق أقيم للريحاني حقل تكريم كبير القيت فيه احدى عشرة خطبة وأربع قصائد لكوكبة من أدباء البحرين ومفكريها الشباب ــ آنذاك ــ وبعد القاء كلمة رئيس النادي تعاقب الخطباء والشعراء كل يدلي بدلوه في تكريم الريحاني(١) وكان مسك الختام كلمة وقصيدة القاهما أمين سر النادي ــ إذ ذاك ــ الشاب عبد الله الزائد(٢) .

أما الكلمة ففي مبتدأها ترحيباً بالفيلسوف الرحالة أمين الريحاني(٣) ، ثم تطرق فيها الزائد الى رسالة الريحاني في العالم العربي ، ثم يأخذ في تذكيره بأنه الداعية المجد في تنوير أذهان اصدقائه الغربيين بما للعرب من أمجاد سالفة ، وما لهم الآن من ثورة على تخلفهم ..

---

(١) كان أول خطباء تلك الحفلة الأستاذ عبد العزيز العتيقي الأستاذ بمدرسة الهداية بالمحرق حيث القى كلمة رئيس النادي الشيخ محمد بن عبد الله الخليفة ، ثم تعاقب الخطباء بعد ذلك فالقى الأديب ناصر الخيري كلمة ، وتلى الشاعر سليمان بن احمد التاجر قصيدة ، والقى الشيخ محمد صالح يوسف كلمة .

(٢) ملوك العرب (الجزء الثاني) .

(٣) قال عنه بعض الشباب المثقفين في البحرين آنذاك ــ أنه في تجواله للبلاد العربية يخدم السياسية الامريكية .. !

كلمة الزائد :

وسنثبت هنا أهم ما قاله الزائد في كلمته للريحاني في تلك الحفلة متوخين الاختصار في ايراد النصوص للمترجم له كما هي عادتنا في تسطير هذا الكتاب[١] .

قال الزائد : —

مرحباً بابن لبنان ..

أهلاً بأوضح مثال للحياة العربية المستقلة . ان الوقت الذي تشرفت فيه حاضرتنا بقدومك ، والزمان الذي تقدست فيه بلادنا بتشريفك[٢] ، لهو فاتحة العصر الذي نصبو اليه ولمعة النور الذي قمنا من مراقدنا لاستطلاعه ، ونفحة النسيم الذي كدنا نيأس من هبوبه ، نسيم المدنية ، نسيم الحرية ، ونسيم العروبة الحية المبعوثة من جديد في عالم التجديد ، مطهرة من أدران التقليد .

أيها السيد . ان في ذمتك للشرق عامة ، وللعالم الغربي خاصة امانة يجب أداؤها ، وأمنية لا أخالك تغفلها ونصيحة غايتك بذلها . أجل ستؤدي الأمانة ، وتحقق الامنية ، وتبذل النصيحة . نعم ستعرف الغربيين بنفسية الشرقيين ، وأنت الرجل الذي لا يتحيز لغير الحق ، ولا يفوه بغير الصواب ولا يخشى الا التاريخ .

---

(١) مجموعة المؤلف ، هذا النص من املاء الاستاذ الشيخ محمد صالح يوسف ..

قل لهم بربك ، قل لهم :

اني زرت مصر والحجاز واليمن والعراق ونجد والبحرين فرأيت في هذه الأمصار شعوباً نفضت غبار الكسل واستعدت للعمل . شعوباً تتوق الى مصافحتكم كأصدقاء والى مصادقتكم كزملاء . ولكنهالا ترضى بحال من الأحوال أن تكونوا لها بمثابة الأسياد مطوقة برقبة الاستعباد .

قل لهم اني سمعتهم يصيحون بلسان واحد : أرواحنا أحقر من ان نضن بها على الأوطان ، وأعز من أن تخشى ذا سطوة سلطان .

قل لهم : —

ان الشعب العربي هو أستاذكم الأول ، ومعلمكم القديم فلا تقابلو الاحسان بالإساءة ، وتجعلوا ثواب ارشاده اطالة استعباده . قوموا لهم مقام الناصح المحرر ، لا الجبار المسيطر دعوا الزمان الذي كيفكم يكيفهم ، والعوامل التي اعدتكم تعده .

قل لهم : —

ان العالم الشرقي قد ايقظته الحوادث ، ونبهته الكوارث فقام مجداً لاستعادة مجده الغابر ، وعزه الدائر . فمن المحال أن تذهب صيحته في واد ، وحلماً في رقاد ، فادرسوا نفسيته وساعدوه على تحقيق أمنيته ، والا فان التطور العالمي كفيل بتحقيق مطالبه ، وزعيم بتبليغه مآربه . فانظروا أي

الصفات تحبون أن يسجلها التاريخ لكم .

أيها السادة : كلكم يعرف الريحاني ، وكلكم اعجب به ، وتمنى أن يلتقي به ويحدثه . هذا هو الرجل الذي تلتقطون أخباره وترتلون أشعاره . قد ساعدكم الحظ ، وغفلت عنكم عين الزمان ، فقام بينكم بزي كزيكم ، فهل لكم أن تتعظوا بعظاته وتستفيدوا من نفثاته » .

* * *

الريحاني يشيد بالزائد :

تلك كانت كلمة الزائد للريحاني ، أما قصيدته التي اتبعها بالكلمة فسنثبتها في القسم الخاص بشعره .

أما الريحاني فقد قال بعد ذلك في الزائد ما يلي : —

« أما الصراحة ، كل الصراحة . فهاكها ، ان بين أدباء تلك الجزيرة العربية الجميلة[1] شاباً ورد أدبه بواسطة المجلات العربية الغرب والشرق ، فاستقى أمن الموردين ، فصفت روحه واشتدت لهجته ، وما كان في الاثنين غير صراحة رائدها الصدق ودليلها الحصافة . هو عبد الله بن علي آل زايد ، سلك الكهرباء بين الأدباء . »

ثم يتوسع الريحاني في ذكر واعادة ما قاله الزائد في حفلة النادي الأدبي .. إلى أن يقول : —

(١) ملوك العرب للريحاني جزء ثاني طبع بيروت .

« هذا من عبد الله بن علي نثر فيه صراحة ، فيها حقيقة ، فيها جرأة ، واخلاص . وقد عمم ذلك كله بقصيدة جاء فيها وهو يصف أهل الشرق :

غنيهم بخيل والمداوي عليل والأجانب أولياءُ

نعم غنيهم بخيل في المشاريع العامة التهذيبية والصحية ، والمداوي عليل بما في خرجه من عقاقير الخزعبلات والتقاليد السقيمة ، فاذا أصبح الغني في ما ذكرت كريماً ، والمداوي سليماً من سموم الخرافات ، فتيقن يا أخي عبد الله بن علي بأن الأجانب يصبحون أصدقاء وزملاء » .

* * *

هذا ما قاله الريحاني في الزائد الشاب .. هذا قول سطره مفكر لامع . وهو قول رجـــل خطب وده ملوك العرب ـ آنذاك ـ لما له من صلات برجال رسميين في دول العالم .

مع عبد العزيز الرشيد[1] :

كان للثلة المثقفة الناهضة بالبحرين وشائج صلات قوية

---

(١) ولد في الكويت بأواخر القرن التاسع عشر وأصبح مصلحها الكبير ومؤرخها الأول . دعى الى التوعية الاسلامية حسب مفهوم عصره ، وجاهر بتنقية الدين من شوائب الانحراف ، اشتغل بالتدريس في بلاده ، ثم جال في بعض البلاد العربية مثل البحرين والبلاد السعودية. ثم هاجر الى أندونيسيا للدعوة الاسلامية . الف تاريخ الكويت وأصدر أول مجلة ثقافية في الكويت والخليج عام ١٩٢٨ .

بأختها في الشقيقة الكويت ، وذلك إبان مطلع القرن العشرين.

كان على رأس الثلة الأولى كل من الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة ، والشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني ، والشيخ الشاعر محمد بن عيسى الخليفة ، ومحمد علي التاجر ، ومن الشباب عبد الله الزائد والشيخ محمد بن عبد الله الخليفة ، وحمد صالح يوسف خنجي وأضرابهم .

وكان على رأس الثلة الثانية في الكويت كل من المصلح الاجتماعي الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، والأديب سلطان بن ابراهيم الكليب والشاعر صقر بن سالم السيب ، والشيخ الأديب المؤرخ عبد العزيز الرشيد وامثالهم .

* * *

كانت كلتا الثلتين تلقيان في دعوتهما للاصلاح الاجتماعي العنت والتعويق من المثبطين ، الذين كانوا يرون في أهم عامل للنهوض وهو التعليم المنظم الحديث زيغا وشططا .

في هذا المعنى كتب عبد العزيز الرشيد من الكويت إلى صديقه الزائد في البحرين عام ١٩٢٥ ، يطلعه على ما يمارسه الجهلة المعوقون للنهضة الثقافية الحديثة في الكويت[١] .

وادع الرشيد يتحدث عن ذلك بنفسه حيث قال : —
« للدجالين آثارهم السيئة في كل بلد وكل محيط .. ولهم

(١) تاريخ الكويت الجزء الأول .

من الهيمنة على العقول والأفكار ، ما يستصغر معها كل هيمنة وسلطان ، وللكويت منهم حظ كبير ، ونصيب كما لغيرها . وهم فيها كثيرون لا كثرهم الله .

وفي هؤلاء قلت من قصيدة أرسلتها الى صاحبنا الفاضل نابغة البحرين ونبراسها عبد الله بن علي الزائد » :

ايها السيد إني في عنـــا		من مدارات جهول أرذل
ان أقل حقاً تراه مغضباً		وتراه مصغياً للعـــذل .
وتراه دائماً من جهلـــه		ضارياً رأس الهدى بالمعول
بل تراه مصلتاً سيف العدا		ليذيق الحق كأس الحنظل
حالة منها المعالي زعزعت		وبها دين الهدى في مشكل
ويح قلبي ياخليلي أن يكن		كل وغدٍ بين قوم يعتلي

فيرد الزائد على صديقه قائلاً : ـــ

أيهذا الشهم مزقت الحشا		بشكاة من جهول أرذل
قل سلاماً ثم أعرض عنهموا		جلهم راميهموا في المقتل
لا تحاذر من خيال زائـــل		انهم من عمرهم في الأرذل
ان أدوار الورى دائـــرة		في ارتقاء رغم قطب أول

ثم لا يترك الرشيد المناسبة تمر إلا ويعلق على أبيات الزائد فيقول :

« وقد يكون حفظه الله مصيباً في عتابه فإني أرى فيهم كما يرى ، ولكنها نفثته مصدور رميت بها إليه إظهاراً لحقيقة هؤلاء الدجالين لمن لا يعرفهم ، ولا يعرف ما نعانيه في سبيل مقاومتهم .

مع خالد الفرج[1] :

في مدينة بومبي عام ١٩١٨ التقى الزائد بخالد الفرج ، فانعقدت بينهما أواصر الصداقة المتينة .. كانت ميولهما تكاد تكون واحدة ، فكلاهما كان ثائراً على أوضاع العرب الراهنة آنذاك ، خاصة وقد وصلتهما انباء عن سوء نية الحلفاء الغربيين تجاه العرب . والحرب العالمية الأولى على وشك الانتهاء .

ولقد انصب جام غضبهما . واستمر على بريطانيا محور الغدر ودولابه . بعد أن أعطت اليهود وعد بلفور المشؤوم .

واثناء رحلة الزائد هذه الى بمبي أشار الى صديقه خالد بزيارة البحرين كما انبأه بالنشاط الأدبي للشباب فيها . وقيادته للنهضة الثقافية في البلاد . وحسن له أن يضم قوى

(١) هو الشاعر الفحل خالد بن محمد الفرج ، من أبرز اعضاء النادي الأدبي بالمحرق . ولد بالكويت عام ١٣١٦ ولما بلغ العشرين غادرها الى بمبي بالهند . وفي عام ١٩٢١ زار البحرين ومكث بها محفوفاً بكرم أهلها ومحبتهم له . وفيها عين مدرساً بمدرسة الهداية . ثم عين عضواً بمجلس بلدية المنامة . وفي عام ١٩٢٨ نزح عن البحرين الى الكويت نتيجة تعسف سلطات الحماية وعلى رأسهم الميجر ديلي ضد احرار البلاد وشرفائها . في ذلك يقول : —

وهذي البحريـــن مغلولـــة   يقودها الغرب الى حفرته

قد أبعد الأحرار عن دارهـــم   وقرب الانذال من حضرته

ومن الكويت جاء الشاعر إلى القطيف وشغل وظيفة في ادارة ماليتها ثم تركها واستقر في الدمام وانشأ هناك مطبعة سماها بالمطبعة السعودية . وقبل وفاته بعامين استقر في دمشق ، ومنها الى لبنان حيث توفي فيه عام ١٩٥٤ .

جهوده في – توعية قومه والدفاع عنهم – الى قوى الشباب العامل فيها .

وكأن خالد قد استجاب لرغبة صديقه فجاء إلى البحرين بعد ثلاثة أعوام ، ناوياً زيارة أقاربه فيها ومستطلعاً احوالها . فاحتفى به المثقفون فيها وأحلوه دار السعادة بينهم . فما عتم أن انضم الى النادي الأدبي في المحرق ، وبدأ نشاطه الثقافي فيه .

في هذا النادي كان الصديقان نجمي الحفلات والمناسبات الرسمية ، التي كان يقيمها النادي – بين آونة وأخرى – لمن كان يؤم البحرين من قادة الفكر العربي أمثال الثعالبي التونسي ، ومحمد الشنقيطي ، وأمين الريحاني .

وهما كثيراً ما كانا يلتقيان في وحدة فكرية منسقة ، فحينما رثيا شيخ الاصلاح عبد الوهاب الزياني جاء رثاؤهما وقد استقى من ينبوع واحد .. هو ينبوع الوفاء والاخلاص للمضحين في سبيل أوطانهم [1] .

---

(١) يقول الفرج في رثاء الشيخ المجاهد عبد الوهاب الزياني .

بطل الجهاد ضحية الأوطان … لك في الشهادة رتبة الرضوان
خفقت لنعيك في (أوال) ضمائر … فوق الخدود أسلن دمعاً قاني
فقد الزعيم على ابتعاد مزاره … وفوات آمال موت أماني
متحيرون سؤالهم وجوابهم … بالأمس مات الأوحد الزياني
يا راحلا عنا واسم بلاده … ختم لما نطقت به الشفتان
هزت (أوال) لصوت نعيك هزة … ضؤلت لديها هزة البركان =

ولقد شغف بالفرح بحب البحرين ونظم القصائد الطوال في التغني بمحاسنها والدفاع عن حقها في العيش حرة كريمة (١)

النادي يكرم شوقي :

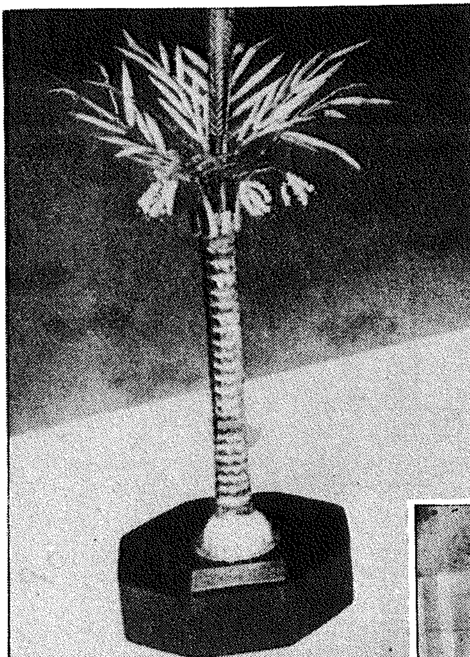
وتحل مناسبة تنصيب الشاعر احمد شوقي أميراً للشعراء العرب عام ١٩٢٧ ، فينتهز الصديقان الفرصة لإحلال البحرين في المركز اللائق بها ، في أكبر مؤتمر أدبي يُعقد . ويشيران على هيئة النادي ، بأن تشرك النادي باسم البحرين في مؤتمر تكريم الشاعر احمد شوقي الذي سينعقد بالقاهرة ، وأن يكون ذلك الاشتراك بهدية رمزية تليق بتلك المناسبة . ثم اقترحا بعد ذلك أن تكون الهدية في شكل نخلة صغيرة من الذهب الخالص ذات عروق منضدة باللؤلؤ الجيد .

فكان أن حبذ أعضاء النادي هذا الاقتراح واناطوا

= عذراء ذات وداعة نشبت بما ... تحنو عليه مخالب الحدثان
عصفورة خطف العقاب فراخها ... فغدت مرفرفة على الأركان
ضحيت بالعلق النفيس لأجلها ... بالأهل بالأموال بالخلان

(١) يقول الفرج في ذلك

يا درة وسط الخليج تلألأت ... وزهت عليه بنورها الوقاد
الدرر من حصبائها والتبر م ... ن أمواهها والمجد في الأولاد
تلقى النزيل بمثل شهد نخيلها ... وتضمه بالصدر والأعضاء
والمجد فيها شامخ متقادم ... (الثمود) يرجع عصره او عاد
في كل شبر قلعة أو مسجد ... هذيك ظاهرة وذلك بادي
وبكل يوم طود مجد قائم ... مجد طريف فوق مجد تلاد





من بين الهدايا التى اهديت لشاعرنا الاكبر تقديرا لشعره، واعترافا بفضله على اللغة العربية ، هذه النخلة الجميلة التى اهداها اليه امير البحرين فى سنة ١٩٢٧ ، طولها ٣٠ سنتيمترا وجذعها وسعفه من الذهب الخالص ، اما ثمرها فبلح من اللؤلؤ الحر .

مجلة الهلال المصرية عام ١٩٤٨م

بالصديقين الشاعرين القيام بهذه المهمة . فقام الصديقان بذلك خير قيام ، حيث تبرع حاكم البحرين – إذ ذاك – الشيخ حمد[1] واعضاء النادي ومناصريهم بنقود تكفي لإعداد تلك الهدية . وبعد أن انتهيا من اعدادها .. نخلة ذهبية ذات ثمار من اللؤلؤ النضيد[2] . أودعاها صندوقاً من رقيق الخشب ، وبعثا بها بالبريد البحري المسجل الى لجنة مؤتمر تكريم شوقي بالقاهرة وبرفقتها قصيدة خالد الفرج التي مطلعها .

من منبت الدر تسليم وتكريم
لشاعر اللغـــة الفصحى وتقديم
حياك من دارنا البحرين لؤلؤها
والنخل اذ بسمت فيه الأكاميم
وكيف لا وهي مهد الضاد اذدرجت
فيها غذاها بهـــا شيح وقيصوم
ومهبط الشعر فابن العيد شاعرها
ومن مفاخرها عمرو وكلثوم
فان تـُحيك باسم العرب اجمعهم
فحقها في بطون الصحف معلوم

(١) الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين من عام ١٩٢٣ – ١٩٤٢ .

(٢) لا تزال تلك النخلة الذهبية موجودة بالقاهرة ضمن آثار شوقي .

شوقي يرد :

وفي يوم ٢٩ أبريل ١٩٢٧ وفي دار الرابطة الشرقية بالقاهرة تسلم شوقي الهدية بكل اجلال واكبار فقد كانت فريدة في مبناها ومعناها بين العديد من الهدايا التي تسلمها إذ ذاك .

وبعد ان تسلم شوقي الهدية ، وأمام وفود البلاد العربية التي جاءت لتتويجه أميراً للشعراء ، قام الأديب التفتازاني والقى قصيدة خالد الفرج . والى هذه الحادثة أشار شوقي في بيتين من القصيدة الطويلة التي ألقاها بعد ذلك في دار الأوبرا بالقاهرة رداً على تحايا الوفود وتكريمهم له قال :

قلدتني الملوك من لؤلؤ البحرين[1]
آلاءها ومن مرجانه
نخلة لا تزال في الشرق معنى
من بداواته ومن عمرانه

الصديقان والأحداث :

ولقد استمر الشاعران الصديقان في علاقتهما المتينة تلك السنوات الواقعة ما بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٩ . تلك السنوات

---

(١) .. بل وتوج ابناء البحرين (شوقي) أميراً للشعراء وجاؤوا له بنخلة من ذهب ثمرها من اللؤلؤ.. محمد جلال كشك في خطابه المفتوح إلى الرئيس أنور السادات بعنوان ماذا يريد الشعب المصري . طبع بيروت .

التي كانت حبالى بالأحداث المؤلمة، التي مرت بالبحرين ، فقد واكبا أول مسيرة تحررية للشعب العربي في البحرين ، فعاشاها حادثة .. حادثة ، فالخلف عام ١٩٢٢ .. فالعزل ١٩٢٣ ، وحوادث النفي بعد ذلك .. حتى عام ١٩٢٧ .

وفي عام ١٩٢٨ غادر خالد البحرين ولكن صلته بالزائد لم تنقطع . ولا بد لنا هنا من ذكر حادثة أخرى مهمة تؤكد وحدة الرأي والهدف عند الصديقين الشاعرين . فقد أثرت حادثة اللؤلؤة المزيفة التي نكب الزائد بسببها في تجارته ، في نفس صديقه الفرج فبعث اليه عام ١٩٣١ من مقر اقامته بالقطيف بالأبيات التالية :

قال خالد :

ان شئت بالبحرين تصبح تاجراً
فاجعل بأول ما تبيع ضمائرا
واجعل بيمناك الأثيمة سبحـــة
تعمي بهـــا للجاهلين بصائـــرا
فإذا أتوا كبر وهلل دائمـــاً
جهراً وكن في سر نفسك فاجراً
وتلقهـــم بالابتسام مرحبـــاً
واذا مضوا بالابتسامة ساخراً
واركع على قدم الرئاسة أولاً
ليقبل الباقون رأسك آخـــرا

ومتى ابتغيت أجل فخر يبتغي
كن عن ابيك وعن اخيك مخابرا
واحذر من الناسوت لا تحفل بــه
وان اكتسى وسط القصور حرائرا
وعليك باللاهوت في ملكوتــه
فادخل وان أضفى عليك ستائرا
مرغ جبينك في التراب مقدساً
ومبصبصاً كالكلب .. تخرج ظافرا
تغدوا باكليل الفخار متوجــاً
وملقباً منه بخان (بها درا)[1]
ومتى انتحيت لدى المجالس آلة
فاجلس على كرسيها متفاخــرا
واجعل يراعك حين تُمضي مسرعاً
من دون فحصك وارداً أو صادراً
واذا استُشرت أشر برأي موافق
ان شمت بعض الجاهلين مكابرا .

مع الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة[2] :

إن من يتصدر للكتابة عن صلة الزائد بالشيخ الشاعر

---

(١) لقب هندي – يمنح لمن أخلص في خدمة بلاده .

(٢) الشيخ محمد بن عيسى الخليفة (١٨٧٦ – ١٩٦٤) شاعر مجيد نظم اكثر شعره في أمجاد قومه كان كثير التجوال في أقطار الدنيا ، زار=

محمد بن عيسى آل خليفة، لابد وأن يجره ذلك الى التوسع فيها ، ولكنا سنحاول التخلص من ذلك .. والتركيز على أهم تصرفات هذين الصديقين بعضهما لبعض مستنيرين بنماذج من رسائل بعث بها الزائد الى الشيخ .

كان الزائد صهر الشيخ ، وابن بيته . وخال لبعض ابنائه . ولقد تعمم ذلك بصداقة متينة بينه وبين الشيخ .

كان الشيخ محمد كثيراً ما يصطحب الزائد معه في رحلاته الى خارج البحرين . ولقد أصبح له كالأب الحاني ، يفتقده فيسأل عنه .. فاذا جاءه احتفل به وقربه اليه . فاذا ما التقيا تناقشا فيما جد في مضمار الأدب شعره ونثره ، وما استجد في ميدان السياسة والسياسيين .

ولما أراد الزائد انشاء مطبعته — فيما بعد — كان الشيخ في مقدمة المؤيدين والمشجعين له كما كان له خير عون اثناء محاكمته في حادثة اللؤلؤة المزيفة، وهو كثيراً ما يصطحب الزائد معه في سفراته الى خارج البلاد .. كمرافق خاص .

* * *

لم يكن حبل الود لينقطع بين الاثنين . وحتى ان افترق أحدهما عن الآخر في سفر أو نحوه ، فان الرسائل المتبادلة بينهما تديم هذه الصلة وتؤكدها . كان الزائد يوقع رسائله

= أوروبا وأمريكا والهند والشرق الأوسط وخاصة مصر التي كان يزورها كل عام باستمرار وهو يعد من المثقفين الأوائل في البلاد .

للشيخ بكلمة (فتاكم) ، وهي رسائل دائماً ما تكون مطولة حيث يشرح الزائد – في اكثرها – للشيخ حالة البلاد التي يزورها ، ووضعه هو فيها . لهذا سنثبت هنا بعض نماذج مما عثرنا عليه من تلك الرسائل متوخين تجلية وضع الزائد الحياتي – آنذاك – مما سطره فيها مضربين صفحاً عن ذكر ما فيها من الشؤون الخاصة .

وحسب تواريخ ما عثرنا عليه من تلك الرسائل تأتي الرسالة المؤرخة في يناير ١٩٣١ في المقدمة ، وبعث بها الزائد من لندن الى الشيخ محمد وهو في البحرين .

الرسالة الأولى :

لندن ١٩ شعبان ٩ جنوري ١٣٤٩هـ ١٩٣١م .

سيدي الجليل صاحب السمو والرفعة الشيخ محمد بن عيسى الخليفة حفظه الله بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن صحته سيدي وراحته . وعني بحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، كما أنا ، لا أنسى ولا راحه الا بالبيع ، والسوق واقف ، ما هنا سائل أبداً ، ربنا يحسن العواقب . لندن بلاد العجائب والغرائب ، وما الطف أخلاق الانجليز في بلادهم .

لندن حلوة لذيذة ، وليس البُليدات الهنديات التي كنا نعيش فيها ، على أن هنا الأنس والانشراح أغلبه في الطرق .

وبعد التجوال تسير الى مسكنك فتجد كل ما يسرك .

لندن بلاد عظيمة سكانها نحو سبعة ملايين ، ويمشي فيها اكثر من مائة الف « موتر »[1] ، وعشرين الف « بس »[2] وتحت الأرض « الريل »[3] ثلاث طبقات طبقة من الشرق إلى الغرب واخرى من الجنوب الى الشمال ، والثالثة من الغرب إلى الشرق ، وتنزل إلى هذا « الريل » « باللفت »[4] لا أحد يسأل عن أحد هنا أبداً .

كنت نازلا في « هوتل » أدفع نحو ٧ روبية[5] في اليوم بدون طعام الا الفطور . والآن بعد التأمل انتقلت إلى « هوتل » أدفع فيه ٤ روبية مع الفطور ، والغداء والعشاء خارج . وهو لا يكلف كثيراً كل وجبة نحو روبية ونصف ولكن الغالي كثير هو السجائر فان الذي هو عندنا بانتين ، هنا بست آنات ، والكبريت بنحو آنه لأن هذه الأشياء عليها ضرائب باهضة . كذلك التكسي غالي جداً ، واشياء

---

(١) موتر : — سيارة .

(٢) بس : — حافله .

(٣) الريل : — القطار .

(٤) اللفت : — المصعد .

هكذا في النص ، ويظهر أن الاسماءالعربية لوسائل النقل هذه ، لم تندرج على ألسنة العرب في ذلك الوقت ، كما هي الآن .

(٥) ٧ روبيات : — تفي الآن سبعمائة فلس .

كثيرة غالية ، وأشياء كثيرة رخيصة ، والذي يريد الاقتصاد يجده .

. . . .

. . . .

وهذا ما لزم وشرفوني بما يلزم وسلامي على الشيخ احمد واخوانه ؟

فتاكم

عبد الله علي الزائد

* * *

ألمع الزائد في بدء هذه الرسالة عن حالته المادية كتاجر لؤلؤ ، نتيجة لضعف أسواق تلك التجارة بسبب الضائقة الاقتصادية التي مرت بالعالم ، ومزاحمة اللؤلؤ الصناعي لها .

كان سفر الزائد إلى أوروبا ، ثم إلى لندن بالذات كأقصى بلد أوروبي وصل اليه لأجل بيع بقية ما تجمع لديه من لؤلؤ . بعد أن ضعفت أسواقه في الهند .

ويظهر من وصف الزائد لمدينة لندن بالذات ، أن هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها تلك المدينة ، ولكنه لم يذكر لنا عن أي الوسائل التي استقلها في سفره اليها ، ولا عن أي طريق سلكه .. ولا عن الوقت الذي ينوي قضاءه فيها .

ومع التقاء أصدقاء الزائد في القول بأنه بقي في أوروبا

قرابة عام واحد حيث زار ايطاليا وفرنسا ، ثم استقر في مدينة لندن لتصريف بقية لؤلؤه .. تأتي رسالته إلى الشيخ محمد المؤرخة في ٢٠ جولاي ١٩٣١ وقد بعث بها من بيروت إلى الشيخ وهو في باريس . وهي تؤكد أنه بقي في لندن قرابة نصف عام .

وها نحن الآن نثبت هنا نص هذه الرسالة ، رغم طولها .. كنموذج كامل لرسالة مطولة من الزائد الى أقرب الناس وأحبهم اليه .

الرسالة الثانية :

بيروت ٥ ربيع الأول ٢٠ جولاي ١٣٥٠هـ ١٩٣١م .

سيدي الجليل صاحب السمو والرفعة الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسؤال عن صحتكم الغالية من فتاكم المتعثر في نحس البخت ، والذي لا يهتدي إلى شيء سبيلاً .

أرسلت اليكم برقية بعدولي عن السفر وبقائي في لبنان حسب أمركم بالتلغراف ووصيتكم لخادمكم جاسم ، ولم أعدل عن السفر الا اليوم ، وبعد أن جاء جاسم ليأخذ صناديقي معه إلى عاليه ، أما أسباب عدولي عن السفر فسأشرحها فيما يأتي : —

سبق أن أوضحت لكم في كتابي السابق ما استولى علي

من الألم وشعور الخيبة عندما وصلت بيروت وعلمت بسفركم الى باريس « وذلك الكتاب الذي ارسلته إليكم عن يـــد خفير محمد علي زينل في شاع ريولفيات غرة ٦٢ أرجو أنكم استلمتموه » أقول على أثر ما شعرت به من الألم بعد وصولي أرسلت لكم برقية إلى الباخرة ، فورد جوابكم بالتخيير بين الاقامة في لبنان أو السفر اليكم ، فوقعت في أشد من الحيرة من أمر هذا التخيير . وكان علي أن استعير ذكاء إياس لأعرف اتجاه رغبتكم هل هي في أن انتظر أو أن أسافر ، على أني تحت تأثير الرغبة الشديدة في استباق الأيام للاجتماع بكم أبرقت لكم أني أتوجه يوم الثلاثاء (أي غداً) ٦ ربيع أول وقد اطمأن خاطري لهذا العزم، وتفرج شيء من الكرب وظننت أني حللت الإشكال ثم جاءني جاسم إلى الفندق العربي وظللنا نتحدث فأعادني الى التفكير فيما فعلت ثلاثة أمور انطوى عليها الحديث بيني وبينه .

أولاً : ـ انكم قد أخذتم معكم رجلاً وتحملتم نفقاته ، وهو على كل حال سيقوم بتهيئة أسباب راحتكم وترفيه رحلتكم نظراً لإجادته اللغة ، ولكونه قد سافر قبل ذلك لباريس ، وليس من اللائق ولا من المنتظر أن ترخصوه بعد وصولي ووجوده معنا يغير كثيراً من البرنامج الذي رتبته طيلة أيام الشتاء لرحلتكم في أوروبا ورحلتي بمعيتكم .

ثانياً : — اني عرفت من حديث جاسم أنكم ترجعون عن طريق البر على برلين وفيينا واسطنبول ، وأكد لي ذلك ما أخبرني به من اجتماعكم بالقنصل الالماني ، وأخذكم كتاب منه ، فعليه ربما يكون في سفري اليكم ما يخلف هذا الترتيب للرحلة لمقتضيات عديدة .

منها أن السفر من طريق البر اذا لم يكن في الدرجة الأولى فهو عذاب أشد من عذاب جهنم ، والدرجة الأولى نفقاتها ١٢٠ جنيه ، والدرجة الثانية ربما لا تقل عن ٧٠ جنيه لكل شخص ، ولا يمكن أن أرضى بتحميلكم مصاريفي ، كما أني لا يوافقني في هذا الوقت الحرج دفعها . وفي جانب ذلك لا أرضى باخلاف رحلتكم .

ثالثاً : — إن جاسم أخبرني انكم أمرتموه يبلغني أن انتظركم في لبنان اذا تخالفنا في الطريق ، وفي ذلك دليل على أنكم تتوقعون التخالف وانه ان وقع فلا لزوم لأن اكون معكم هناك . وهناك أمر رابع وهو انكم أوصيتم جاسم بإبقاء المكاتيب حتى تعودوا ، ومعنى ذلك انكم لن تمكثوا طويلاً هناك .

كل هذه الاعتبارات وسواها تردد في فكري فكنت أقول : تارة أني سأكون ثقيلاً ولا شك ، وتارة أقول أنه سيعتبرها مني حماقة الرجوع سريعـــاً في حين لا لزوم لوجودي . وأحياناً يوحي إلى ما أعتقده من اللطف والود

الذي تكنونه لفتاكم أنكم ستكونون مسرورين أشد السرور بالاجتماع .

كل الذي ذكرته شغلني ولكنه لم يستطع التغلب على عزمي، فذهبت وأشّرت على (الباس)[1] عند القنصليتين الفرنساوية والانجليزية ، وذهبت وقطعت تذكرة السفر وهيأت كل شيء تماماً ، ولكني لم أنم البارحة الا قليلاً ، وأذهبت الليل في التفكير ، ولما أصبحت وجدت نفسي مقتنع أشد الاقتناع بأن بقائي في لبنان هو الذي يوافقكم اكثر . فذهبت (لكوك) وابطلت التذكرة ، وأرسلت لكم تلغراف عن يد (المعلي) ، وهو صاحب وديع الذي ترك عنوانه عند أهله ، وعسى أن يكون في الأمر صلاحاً وانه ولي التوفيق

كنت طيلة أيام الشتاء أعلل النفس بقرب سفركم وأحلم بلذات التجول سواء فيما عرفته من أمهات العواصم ، ولما حالت الظروف المتنوعة دون ذلك اعتقدت أنه لا بد أن يكون التأجيل إلى غير طويل ، واني سأسافر بمعيتكم إلى أوروبا عند نهاية الصيف ، فكان كل ذلك أحلام ذهبت أدراج الرياح ، بل احلام بعثرتها رياح سوء البخت مني .

خادمكم جاسم حاضر يهديكم سلامه ، وقد أحضر

---

(١) الباس - الجواز .

كتابين على أمل أني مسافر لآخذهم معي اليكم ، وهم يصلونكم طيه ، وليس لدي من الأخبار ما أزيده . ربما أترك بيروت لحرها الشديد وأذهب إلى علاي أو صوفر ، حتى تكتحل العين برؤياكم . وهذا ما أردت بسطه لافتاً نظركم إلى أن السفر عن طريق البر لا يوافقكم أبداً ، واذا كنتم تحبون رؤية اسطنبول فسافروا في البواخر التي تأتي بيروت عن طريق اسطنبول ، فهناك يمكن أن تنزلوا ثم تعودوا إلى الباخرة بدون كلافه .

لا شك انكم ذهبتم لقصر فرساي ، اذا تذكرت زيارتي لقصر فرساي مرت بخاطري ذكريات ، ذكرى حلوة ذهبت ولن تعود ، وذكرى باقية ما بقي الخلود . والأولى سرف والأخرى شرف والتفصيل عند اللقاء .

اسأل الله وأضرع اليه وأرجوه أن يجعل رحلتكم كلها سرور وحيور ، وان يوليكم السلامة والصحة ، وختاماً تقبلوا مزيد تحيات واخلاص وشكر.

فتاكم

عبد الله علي الزائد

بطيه ورقة مكتوب الى فرع حفيز(١)
وكيلنا في باريس أرجوكم سيدي ترسلون
الأستاذ وديع بالورقة ليستلم إذا كان لي مكاتيب .

---

(١) معربة عن كلمة Office الانكليزية ومعناها هنا مكتب تجاري .

عبر الزائد في بدء هذه الرسالة للشيخ محمد عن سوء حظه .. وتشاؤمه هو من ذلك . وكما يتضح من سياق الرسالة أن الشيخ كان ينوي اصطحاب الزائد معه في رحلته الأولى إلى أوروبا .. وأن الزائد كان قد أعد برنامج تلك الرحلة ، حسبما أخذ هو من انطباعات عن أوروبا وعواصمها اثناء رحلته اليها ، تلك الرحلة التي قام بها قبل رحلة الشيخ بقرابة عام والتي انهيت بُعيد بدء رحلة الشيخ محمد إلى أوروبا ، التي لم يتسنى للزائد الوصول إلى بيروت قبل قيام الشيخ بها . وهذا يفسر وصف الزائد للرحلة إلى أوروبا عن كلا الطريقين البري والبحري ، ووصف الخبير بمعاناتها براً وبحراً في تلك الآونة .

وكما يظهر أيضاً من سياق الرسالة ، أن الصديقين كانا قد اتفقا مسبقاً أن تكون بيروت نقطة التقائهما لينطلقا منها إلى أوروبا ، فكان أن تخالفا .

والرسالة موشاة بشيء قليل من العتاب يرسله الزائد للشيخ في كثير من اللطف والتودد ، بعد أن قرر البقاء في لبنان منتظراً عودة صديقه الحميم .

وفي أواخر الرسالة ذكر قصر فرساي بباريس[1] ،

(١) قصر فرساي اشهر قصور الملوك في العالم بناه الأمبراطور لويس الرابع =

وذكريات الزائد عنه ، كما أتى في نهايتها بملحوظة جاء فيها ذكر وكيله التجاري في باريس(١) .

الرسالة الثالثة :

ورسالة أخرى بعث بها الزائد من البصرة ، وكان في طريقه الى مصر تلبية لرغبة الشيخ محمد، وكان بها إذ ذاك لاستكمال علاجه ، وهي رسالة جوابية رداً على رسالة وردت اليه من الشيخ . والرسالة مطولة ، ولكنا سنقتطف منها ما نحن منوطين بتجليته من وضع الزائد الحياتي في تلك الفترة ، مضربين صفحاً — كما قلنا سابقاً — عن ذكر أشياء شخصية تتعلق بالصديقين ولا تهم القارىء في شيء .. والرسالة كما يلي : —

البصرة الأربعاء ٩ رمضان عندنا و ١٠ عندكم ٢٧ ديسمبر ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣م .

= عشر ملك فرنسا على بعد اثني عشر ميلا من باريس ليكون مقراً له وكان ذلك في الثلث الأخير من القرن السابع عشر وتتبع القصر حديقة مشجرة طولها ٣٠ ميلا.

(١) باريس وهي موطن الاناقة في الغرب كانت المركز الرئيسي في أوروبا بالتصريف للئآلىء البحرين الوافرة آنذاك ، تماماً كالدور الذي كانت تؤديه مدينة بمبي في الشرق آنذك — بالنسبة للؤلؤ البحرين . ووكيل الزائد التجاري في باريس هو أحد الوكلاء الذين كان يعتمدهم تجار اللؤلؤ في البحرين لتصريف لئآليهم في فرنسا . بالاضافة الى وكلاء تجاريين اعتمدهم تجار اللؤلؤ في البحرين في كل من ايطاليا والمانيا وبريطانيا . أضف الى ذلك أن كثيراً من تجار اللؤلؤ في أوربا كانوا يقصدون البحرين ليبتاعوا اللؤلؤ من مصادر انتاجه .

سيدي الجليل صاحب السمو والرفعة الشيخ محمد بن الشيخ عيسى آل خليفة حفظه الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قرأت كتابكم المؤرخ ٢ الجاري فقلت (... بعد أن أمركم لم يكن به هوادة ولا تخيير ، ولم يكن بين عزمي وسفري اكثر من يوم الجمعة ، ولكن انفاسكم سهلت كل عسير تذاكرت مع ولدكم الشيخ علي ومع خليفه فأشاروا بالسفر العاجل سيما وقد وصل إلى علي كتاب الشيخ احمد ولدكم ، وفيه ايضاً نحو الذي بكتابي مما يزعجني عن تقارير الأطباء وانواع العلاج .

وفي نحو الساعة الخامسة من الليل ودعت الاخوان على السيف وكانوا يريدون الذهاب إلى الباخرة ، فأصررت على عدم تكليفهم . أما الشيخ حمد فاني لم أحظى بشرف توديعه ، وكان في الصخير [1] فكتبت له كتاباً لطيفاً جداً جعلت فيه الذنب على (المركب) الذي عجل على غير المنتظر . وحقيقة أني لو أردت الذهاب إلى (الصخير) لاضطررت للتأخر أسبوعاً كاملاً ، وقد ذاكرت الشيخ عبد الله عن هذه المسألة أيضاً فقال : انك لو تأخرت لأجل توديعه لما أرضاه ذلك وأنت مدعو من أخيه .

لا أخفي عليكم أن نتيجة تحليل الدم أزعجتني ولكن

(١) منطقة صحراوية واقعة قرب جبل الدخان بأواسط جزيرة أوال بالبحرين كانت المقر الشتوي للشيخ حمد بن عيسى الخليفة حاكم البحرين آنذاك .

أبشر بالصحة ، فإن علاج هذا الأمر قد أحكم في هذه السنة الاحكام كله . وعليه ستجد أن العوارض التي كنت تشعر بها كلها منه وستزول بحول الله بشفائه ، حتى الذي في الأنف لا تهتم الآن بعلاجه فهو منه وكذلك نزول ضغط الدم والدوار وما في أخمص القدمين . والفتور كله منه ، يزول بحول الله .

تقولون تأتينا ولو عليك تكليف ، وتخشون في كتابكم أن أتأخر فلا أصدع بالأمر . أنا يا سيدي مملوك احسانكم وبنانكم لو دعوتموني إلى أشد المكاره لما ترددت ، فكيف وانتم تنادوني إلى مصر حبيبة الروح والجسد .

يا حبذا لمة بالجزع ثانية   ووقفة ببيوت الحي من أمم

لم أفكر في المكث ببغداد سابقاً الا لحاجة في النفس ، فقد أردت درس أحوالها ، والالمام بشتى شؤونها . فلعلي أتخذها موطناً شتوياً إن وجدت عملاً ينتج واقتداراً يمكن ، فان حالي مع اللؤلؤ حال تعسة ، والنتيجة معلومة لا تحتاج إلى طويل تفكير . والعمل في غير اللؤلؤ في البحرين متعذر .

ما علينا

أمض بي فلنعتزل عيش الغرور   ودع الدنيا بأهليها تدور
وشفاء الهم أنس وسرور   بين جنات وولدان وحور
لا تضق هماً لأمس وغدٍ   أمس أودى وغدٍ لم يولد

لا أعين يوم وصولي سوف أدخل عليكم انشاء الله في (البانسيون) على غفلة . فعساه كويس زي بتاع لندن ، وعساني أجد فيه أوده ولو صغيرة زي ديك كمان .

سلامي على الشيخ احمد وعلى عبد اللطيف وغلام ومتن كان ما فيش حَدَه . ومنا كلهم يسلمون والله يحفظكم .

فتاكم

عبد الله علي الزائد

* * *

في هذه الرسالة شكى الزائد إلى صديقه الشيخ سوء حاله مع تجارة اللؤلؤ ، وتعذر ممارسة تجارة غيرها في البحرين حسب رأيه .

وكما هو معروف آنذاك أن ٨٠٪ من سكان البحرين كانوا يعتمدون في عيشهم على تجارة اللؤلؤ ، وخاصة أن صناعة النفط في البلاد ــ اذاك ــ كانت في مراحلها الأولى ، مما لم يكن له تأثير على الحياة الاقتصادية للسكان في ذلك الوقت .

لهذا ولظروف الزائد القبلية التي كانت سائدة ــآنذاكــ ونظرتها الضيقة إلى مهنتي التجارة والصناعة .جعلت الزائد يقول بتعذر ممارسة أية تجارة غير تجارة اللؤلؤ ، ولكنه حاول التخلص ــ فيما بعد ــ من هذه العقدة ونجح .

وفي هذه الرسالة يقول الزائد للشيخ أنه فكر في البقاء في بغداد لدرس أحوالها .. ولعله أن يجد عملاً فيها .. وهو قول نابع من رغبة الزائد بالاشتغال بالصحافة هناك . فقد لمح لاصدقائه بتلك الرغبة في عدة مناسبات . وهذا يفسر قيامه — فيما بعد — بابتعاث صديقه الجلاهمة إلى بغداد لدراسة فن الطباعة ، إذ هي أقرب بلد الى البحرين فيه صحافة آنذاك .

بعد ذلك يبقى أن نذكر أن التجاوب الفكري بين الشيخ والزائد ظل مستمراً ومتبادلاً . ثم صار مركزاً بعد ذلك في المجال السياسي . ومن الرسالة التي بعث بها الزائد الى الشيخ — وكلاهما في المحرق آنذاك — وقد أرفق بها مطولته في رثاء الحاكم السابع ، يتضح لنا ذلك التجاوب الفكري المتبادل بين الصديقين .

الرسالة الرابعة :

٢٠ رمضان ١٣٥١ م ١٩٣٢ هـ

حضرة صاحب السمو والرفعة الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ عيسى آل خليفة حفظه الله وحرسه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . هذه الليلة هي ليلة الأربعين للراحل الكريم واذا كان الدهر قد اضاف إلى نكباته خطباً جديداً هو عدم اقامة حفلة الأربعين لعدم امكان أن تكون حرة

غير مقيدة فاني أقيمها هذه الليلة في نفسي لنفسي وبنفسي ، وبمناسبة حلول هذه الليلة لي الشرف أن أرسل لكم ما كنت نظمته ليلقى فيها على أني معول على كتمانها بتاتاً طالما الأمور لا تجري بحسب المألوف ولا تنطبق على المنطق . والأمل في سموكم غض النظر عن الهفوات .

وتفضلوا بقبول الاحترام .

فتاكم المخلص

عبد الله علي الزائد

يشير الزائد في هذه الرسالة إلى أنه قد نظم مرثيته في تأبين الحاكم السابع ، لتلقى في حفلة أربعينه المزمع إقامتها والتي ألغيت بإيعاز من المسؤلين – آنذاك – . الا أنه – كما يقول معول على كتمان أمر هذه المرثية ، حتى لا يؤخذ بجريرة مولاة الحاكم الراحل – وبالتالي العهد السابق – لكيلا يعثر على دليل يدينه بذلك . فالأمور في تلك الحقبة كانت لا تجري – كما يقول – حسب الحق والصدق ، وكأنه أراد أن يقول أن هناك تضييق شديد على الحريات . ولكنه أرسل المرثية الى صديقه الشيخ .

أيامه الآخيرة

مرضه :

انتاب الزائد في أيامه الأخيرة انحراف دائم في صحته[1] ثم سقط ضحية مرض شخصه الأطباء فقالوا أنه داء استسقاء فلما أحس بدنو أجله كتب لصديقه الجلاهمه وصيته على أولاده، وكانوا — إذ ذاك — غير راشدين . ثم غادر الجلاهمه البحرين الى القطيف . لعمل تجاري كان قد أنشأه هناك . وقد حمل الوصية معه .

بعد ذلك خفت وطأة المرض على الزائد .. وبقي شبه معافى لبضعة شهور . ثم عاودته العلة مرة أخرى واشتدت عليه ، فبعث في استدعاء صديقه من القطيف .. فجاء هذا مسرعاً وذهب لتوه الى بيت الزائد في المنامه . وصعد اليه في غرفته حالاً ، فوجده وقد أحاطت به أسباب العلة من كل جانب . فهش الزائد لصديقه وقربه منه . وبعد السؤال عن الصحة والأحوال .. أبدى الزائد لصديقه رغبته في أن

---

(١) راجع في فصل الحقل الاجتماعي (المنعطف الوحيد) .

يذهبا سوياً إلى عين رزق[1] فلبى الجلاهمة رغبة صديقه ..

لم يكن الزائد ليستطيع النزول من غرفته لوحده .. فقد خارت قواه نتيجة المرض . لذا فقد أعانه على ذلك صديقه وخادمه حمد .. وذهبا به سوياً الى عين رزق ..

هناك وفي يومٍ دافئٍ من بواكير أيام الربيع نزل الزائد الماء وكان دافئاً .. ونزل معه فيه صديقه الجلاهمه .

تمزيق الوصية وحرق الملف :

كان للماء مفعول السحر في جسم الزائد ، اذ أنه ما كاد يغطس فيه فيعم جسده ، حتى عاد كأقوى ما يكون قوة وجنانا .. هنا وبكل ما تحمل نفسه من معاني الشفقة والحنان للأقربين والأبعدين .. قال لصديقه الجلاهمه : —

« يا صديقي إنك أخي الأصغر ، وقد حملتك شيئاً قد لا تطيقه ، يوم جعلتك وصياً على صغاري ، وانما لك من صغارك حملاً ثقيلاً . لذلك قررت اعفاءك من الوصية ، وجعلتها في عنق دائرة أموال القاصرين . فأتني بها الآن إن كانت لديك . »

لم يكن من صديق الزائد ، وتحقق من صدق لهجة صديقه ، الا أن يأتيه بالوصية .. لقد كانت معه إذ ذاك فأعطاها للزائد ، فتناولها هذا من يده ومزقها ورمى بها في مجرى العين .

(١) إحدى العيون الغنية بالماء في إحدى قرى البحرين.

وفي تلك اللحظة بالذات خاطب الزائد صديقه وطلب منه حرق ملفه السياسي الذي كان يحتفظ به الصديق في بيته .

بعد رجوع الاثنين الى بيت الزائد ودع الجلاهمة صديقه وذهب هو الى بيته وحرق الملف وغادر البلاد الى القطيف مرة أخرى .. وفي نيته أن يطمئن الى اعماله هناك ويعود ليقوم لصديقه بما تفرضه عليه واجبات أخوة وصداقة استغرقت بينهما قرابة ربع قرن من الزمان ، ولكن الله شاء أن لا يرى الصديق صديقه مرة أخرى .

وفاته :

بقي الزائد يعاني من مرضه الأخير قرابة اثنين وعشرين يوماً ، وقد عجز نطس الأطباء حتى عن التخفيف من آلامه

كان بجانبه اثناء مرضه الأخير قريبه ابراهيم الزائد ، وقد بقي ملازماً له حتى النهاية ، وفي أحد الايام سمع الزائد أن قصيدته الأخيرة (الحنين الى الوطن) ستذاع من اذاعة البحرين فأخبر ابراهيم بذلك .. وأكد عليه أنه يود سماعها .

وفي الوقت المحدد لإذاعة القصيدة ، فتح ابراهيم المذياع على اذاعة البحرين . فقال له الزائد : — ضع المسند خلف ظهري وأسندني لأسمعها . فأسنده ابراهيم وظلا يستمعان إلى القصيدة يلقيها المذيع المرحوم حسن العمران .

في اثناء ذلك حانت التفاتة من الزائد إلى ابراهيم ، فرآه قد أشاح بوجهه عنه وهو يبكي .. وقد طفرت عيناه بالدموع فقال الزائد له : ـ ما لك يا ابراهيم .. أشحت بوجهك عني ؟ قال ابراهيم : ـ اني والله يا عبد الله قد فاض حزني على صاحبها .. فرد عليه الزائد قائلاً تجلد يا ابراهيم ... فالدنيا تدور .

وابراهيم هذا هو الذي حضر وفاة الزائد وأسبل جفنيه في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر جمادى الأولى ١٣٦٤ و ٥ مايو عام ١٩٤٥ .

كان الموسم ربيعاً .. ولكن أزهار الزائد تصوحت في الربيع .. ! حيث دفن بمدينة المحرق مسقط رأسه .

ارتحل الزائد الى الأخرى ، ولم يترك شيئاً من آثاره النثرية أو الشعرية مطبوعاً في كتاب . لقد وصل به انكار الذات الى هذه النتيجة المؤلمة .

كان بإمكانه وهو صاحب مطبعة هي ملء السمع والبصر آنذاك أن ينشر ديوانه الشعري هو على أضعف الايمان . ولكنه نسي أو تناسى ذلك في غمرة العمل للمصلحة العامة . وبهذا فقد أتعب من تصدى بعده لتقصي آثاره .

الخاتمة :

عاش الزائد مفكراً .. ومات مبكراً ، ولكنه ترك بين

مواطنيه من ابناء الخليج أثراً مشعاً وذكراً حميداً .

كان عطوفاً مشفقاً الى درجة كبيرة . حدث اثناء أزمة الغلاء عام ١٩٤٣ أن وُضع أمامه غداءه مع اثنين من أصحابه وحين بدأ الجميع يتناولونه خاطبهم رجل كان يقف هو وعائلته من خلف نافذة المجلس طالباً اغاثته ولو بشيء من الطعام ، فما كان من الزائد الا أن رفع آنية الطعام بقضها وقضيضها وناولها رب العائلة المعدمة . وترك صاحبيه لم يتناولا من الطعام الا النزر اليسير ، ثم دعا لصاحبيه ببقية طعام آخر كان في بيته .

كان الزائد مرحاً يحب الدعابة والممازحة من غير ما اسفاف .. كان يعشق النغم الحلو .. يتسقطه اما مقبلاً فوق أجنحة الأثير ، أو نابعاً من بين أنامل أو شفاه أساطين الطرب الشعبي في البحرين .

* * *

توفي الزائد عن زوجتين وبضعة عشر ولداً بين ذكور واناث ، واذا نظرنا في أهم ما خلفه .. رأينا أن مطبعة البحرين لا تزال تعمل ، ولكنها بعد احتجاب الجريدة وركود الحركة التجارية في بلاد الخليج اثناء الحرب ، لم تكن عائداتها لتزيد عن مصاريفها .. ان لم تحوج صاحبها الى الاستدانة — في بعض الأحيان — لسداد رواتب موظفيها . وبعد وفاة صاحبها ضمنها من دائرة أموال القاصرين صديقه

الشاعر عبد الرحمن المعاودة لعامين أو اكثر ، ثم تركها هذا لوالده قاسم فضمنها لبضعة أعوام ، ثم تخلى عنها ، فباعتها الدائرة المختصة الى الأستاذ صاحب مطبعة المؤيد بالبحرين .

وهكذا انتهت حياة أول مطبعة حديثة انشئت في البلاد .

تأبينه :

لما انتقل الزائد إلى دار البقاء ، تلفت القوم فاذا أحد قادة الفكر الحديث مسجى فوق حدباء تغيب وتطلع من فوق أكتاف الجموع المشيعة .

وفي الحفلة التأبينية التي أقامها نادي البحرين بالمحرق للراحل الكريم ، تبارى الشعراء والأدباء في ذكر مآثر فقيدهم الغالي فقال الشاعر قاسم الشيراوي من مرثية طويلة : ـ [1]

صديق الصبا وأليف السفر وجمت لنعشك لما خطر

وأرسلت دمعا عصيا فما تذكرودك الا أنهمر

أأبكى الاخاء أأبكى الذكاء أأبكى الوفا وليالي السهر

---

(١) عن مخطوط من شعر الشيراوي.

رأيتك يوماً طريح الضنى
وداؤك أوشك أن يستعر
تشير اليه يقول الطبيب
بكبدى ياصاح هذا الضرر
وما حيلتى والقضا نافذ
وهل رد يوماً فواتا قدر
وعُمر نوحٍ ولما أنتهى
بالفً قضاها .. كلمح البصر

الى أن قال : ـ

بهرت أميناً بذاك النبوغ وأصدقته عن أوال الحبر
كذا التونسي غدا معجباً برب القوافي اذا ما شعر
أديب البلاد ومنطقيها اذا ما كبير لديها حضر

وقال الشاعر المعاوده : ـ(١)

أأنا في حفل ذكرى الأربعين لك عبد الله يا نعم القرين

إلى أن قال : ـ

أملت العيش في عهد الصبا كيف لا والحر في الدنيا سجين
أطفأ الموت سراجاً نيراً وثنى منك قناةً لا تلين
وتنادى الحي بالنعي فلم تلق فيهم غير قوم آسفين
فقدوا ابناً براً همه سؤدد العرب ومجد المسلمين

(٢) لسان الحال للمعاوده.

أيه عبد الله لو يجدي البكا   لبكيناك عــلى مر السنين
انمــا موتك رزء جلــل   عم يا زين الشباب العالمين
حملوا النعش فذابت كبدي   وهمت عيناي بالدمع السخين
وسعينا نحمل الفذ الــذي   ما له في الأدب العالي قرين
نحمل العليــا على اكتافنا   في الأديب الفذ والخل الأمين

الى أن يقول :

فعزاء يــا بني البحرين في   من لكم في نهضة اليوم يمين
في ابنكم .. فيمن هواه دائماً   معكم في شدة عظمى ولين

ثم يخلص الى قوله : ــ

كان عبد الله فيما بيننــا   علماً في الشعر والنثر الرصين
ساد في شرخ الصبا في أمة   همها ثلب الرجال النابغين
أخلص الود لها يا ليتها   قدرت ود الكرام المخلصين
كم له من غضبة لله لــم   يثنه عنهــا كلام المرجفين
كم له من وقفة ميمونــة   في سبيل الوطن الغالي الثمين

القسم الثاني

الزائـــد

الأديب الشاعر

نابغة البحرين

الزائد الأديب الشاعر :

يتميز أدب الزائد بأنه أدب اجتماعي هادف ، ومع قلة ما نشر منه في صحف البلاد العربية ، الا أن صاحبه عُرف بتمرسه في مضمار الأدب العربي ، وإلمامه بالأدب الغربي .

وقد سلك معظم أدب الزائد طريقه إلى اكثر المناسبات الدينية والوطنية في بلاده ، وكذلك بين الأعمدة الطوال لجريدة البحرين . وقد تميز هذا الأخير بكونه أقرب إلى أدب الصحافة الاخبارية منه إلى الأدب العام المعروف .

وكان الزائد قد طرق فن السجع في نثره لحقيقة قصيدة من حياته الأدبية الأولى ، الا أنه نبذه مرة واحدة عندما درس الأدب العربي الحديث دراسة وافية بطريقته الخاصة .

* * *

وكما كان نثر الزائد اجتماعياً هادفاً .. كان شعره يتسم بتلك السمة أيضاً . ولسنا هنا بصدد دراسة تحليلية واسعة لشعره ، وانما نوجز القول في ذلك عبر سطور من الدراسة الموجزة لنعطي القارىء فكرة موجزة أيضاً عن شاعرية هذا

الشاعر تغنيه عن التطويل أن أحب الاقتصار عليها .

وهنا يمكن القول بأن للمدرسة الشعرية التقليدية حظ كبير في الاطار الخارجي والتعبيري في شعر الزائد . أما صوره الشعرية فانه دائماً ما يفرغها في اطار عام . وغالباً ما تكون صوره هذه مأخوذة من مآسي مجتمعة المحلي والعربي

وان من يقرأ شعر الزائد بإمعان ، يخرج بحقيقة مهمة ، وهي تغلب النزعة الاصلاحية الموجهة في معظم ما نظمه . وهو تقريري السمة ، لذلك لم يكن للخيال نصيب كبير فيه .

نماذج من شعره :

ليس للزائد ديوان مطبوع ، وقد تناهى الى سمعنا أن لدى بعض أقاربه مجموعة خطية من شعره تصل الى ثلاثين قصيدة .. وقد تكون جل ما قاله الزائد في حياته ، فقد كان مقلا .

أما في هذا الكتاب فقد اثبتنا مجموعة مختارة من شعر الزائد كل حسب أقدميته ، وقد اخترناها من عيون شعره .

ولقد فاز شعر الزائد ضمن قصائد تقدم بها إلى عدة مسابقات ، كان فوزه في بعضها بالجائزة الأولى . وشعر الزائد غني في مادته ، قوي في نسجه ، وكان لصاحبه حول وطول في فن الرثاء منه .

ونحن اذ نثبت النماذج التالية من هذا الشعر لا يفوتنا

الا أن ننبه القارىء إلى أن يطالعها بروية وامعان ، فان فعل. فسيجد الزائد بروحه الوطنية الوثابة المرشدة عبر تلك النماذج .

وزيادة في الايضاح اتبعنا بعض النماذج بتحقيق يُجلى خلفياتها .. ثم لم نكتف بذلك فأتينا بشروح لبعض أبياتها التي نجدها معجمة على الأفهام .

ولقد رتبنا هذه النماذج حسب أزمانها التي قيلت فيها . وان كل ما اخترناه منها كان يتميز بذكر تاريخ السنة التي قيل فيها . ثم انا وضعنا لمن ليس لها عنواناً ، عنواناً اخترناه من صلب القصيدة نفسها .

وفي أول هذه النماذج نقدم القصيدة الهمزية التي القاها الزائد في الحفل الذي أقامه النادي الأدبي في المحرق عام ١٩٢٢ ، تكريماً للريحاني وقد وضعنا لها عنواناً اقتبسناه من سياقها وأسميناه (الحقيقة المرة) .

قال الزائد مخاطباً الريحاني :

أتخفيها وقــد برح الخفــاء
وتسترهــا وقد عم الضياء
وتحنث بالعهــود مؤكدات
أليس الحــر شيمته الوفاء

* * *

أمين الشرق جبت الأرض قل لي
أقوم في المشارق أم نساء
ثياب العز مزقها التعادي
وصرح المجد جدبه العفاء
غنيهموا بخيل والمداوي
عليل والأجانب أولياء
مفتحة عيونهمو نيام
أنوم أم ذهول أم فناء
فيا للشرق من داء التواني
أطال به على الضيم التواء
مضلونا الكثير ومرشدونا
قليل لا يجاب لهم دعاء

* * *

شباب الشرق جداً واتحاداً
فان الأمر جد واعتناءُ
شباب الشرق ان لم تجر بحراً
لأجل حياته منكم دماء
فلا عشتم ولا جادت بنبت
أراضيكم ولا هطلت سماء
الا تعسَ أمروْ يلهيه أمر
يشرف قومه العيش الرخاء

وتركك قادراً أمراً مفيــداً

بلاء ليس يعدلــه بـــلاء

* * *

نظرتُ لحاضر منــا وماضي

فبان الصبر واتصل البكاء

بكيت على الأولى سادوا وشادوا

فما زدنا بـــل انهار البناء

ألم نك في سما العليا الثريا

لنا في معظم الأرض اللواءُ

ظل العدل يسطع من حمانا

على الدنيا كما سطعت ذكاء

وفقمنا نهتدي بالعلــم نوراً

فلما زال زلزلنا العيـــاء

* * *

يعوز رقينــا أبنـــاء علــم

شعارهمو التعـــاون والولاء

وشبان أولوا حـــزم وعزم

يضيق ببعض همهمو الفضاء

اذا ما فكروا اتضح المعمى

وزال اللبس وا كشف الغطاء

وان افشوا تدفقت المعــاني

وان نطقوا يحيرك الذكاء

* * *

يعوز رقينــا تعميم علــم

تعم بــه السعادة والهنــاء

وتشييد المدارس حافــلات

لها في القلب لا الأرض البناء

تشيدُ من بناء العز صرحاً

قواعده التضامن والإخــاء

شباب الشرق جداً واتحــاداً

فان الأمر جد واعتنــاء

أنرضى بالهــوان ونرتضيه

كأن النور والظّلمــا سواء

فيا شرق انتصر بالعلم سعيــاً

لك الأرواح قاطبــة فداء

هذه القصيدة هي أول ما سُمع من شعر الزائد على نطاق شعبي ، وقد اشتهر أول ما اشتهر بها كشاعر وطني . وتناقلتها بعض الصحف العربية آنذاك[1] .

---

(١) المقطع الأول والثاني نشرتها مجلة سركيس اللبنانية في واحد من الاعداد التي صدرت عام ١٩٢٢ وكان نشرها ضمن وصف مختصر للحفلة التي أقامها النادي الادبي في المحرقة تكريماً للريحاني .

في أول القصيدة يرسم الزائد صورة مشوشة معتمة للشرق .. وهو يعني الشرق العربي ، الذي كان يومذاك يرزح تحت براثن الحلفاء الغربيين المنتصرين في الحرب العالمية الأولى . أولئك الذين كانوا قبيل انتصارهم بقليل حلفاء أصفياء للعرب على الأتراك العثمانيين ، فما ان انتصروا حتى قلبوا لحلفائهم العرب ظهر المجن ، واحتلوا بلادهم مما ليس لنا مجال لتفصيله .

ولقد كانت سوق المفاضلة بين الشرق والغرب آنذاك قائمة رائجة ، حيث بقيت كلمة (الشرق) بالذات تتردد على ألسنة مئات من الأدباء والشعراء الشرقيين .. وقتاً طويلاً ، ولا تزال بعض آثار هذه السوق باقية .. تحكي رد فعل للهجوم الغربي على الشرق . ذلك الهجوم المتشعب الأطراف المعزز بمنجزات الغرب الحضارية .

وقبل ان ينهي الزائد المقطع الأول من قصيدته هذه يخلص إلى الجأر بالشكوى من تخلف الشرقيين عن الغربيين ، مشخصاً الداء في قومه بقلة المصلحين المضحين ، وهم ان وجدوا فهم قلة ضعاف لا حول لهم ولا طول ، وقد يُرد ذلك الى عدم اخلاصهم فلا يستجاب لهم دعاء .

اما في المقطع الثاني فيبدو الزائد وكأنه الزعيم القائد وقد وقف يحرض جنده على الانضباط والتآخي . وينبههم الى أن الأمر في مجابهة الغرب المتسلط يجب أن يكون جداً لا

هزلاً ، وان من يهادنه فسيبقى ضحية له .

بعد ذلك يتطرق الزائد الى ذكر ماضي العرب والمسلمين المجيد ، ويتحسر عليه وعلى أصحابه ، ويذكر جدهم وجهادهم ، وارسائهم للعدل والاخاء والمساواة . وانهم كانوا السادة لا المسودين .

ثم بعد أن وصف الداء في المقطع الأول من القصيدة عاد ووصف الدواء الناجع له في بقية ابيات القصيدة ، مما لا يخفى على القارىء ، من تشييد المدارس لإعداد العلماء وما إليهم من أبناء الوطن .

عصر المضحكات :

تأتي بعد ذلك في الترتيب الزمني قصيدة ألقاها الزائد في الحفل التكريمي الكبير الذي أقيم للعلامة الشيخ محمد الشنقيطي[1]

---

(١) الأستاذ الشيخ محمد الشنقطي كان يعمل مدرساً بالمدرسة المباركية في الكويت ، ثم غادرها منفياً إلى نجد ومكث هناك لدى أميرها ابن الرشيد مدة من الزمن . ثم بعد ذلك عاد إلى الكويت ، ولكنه غادرها إلى الزبير . وهناك احتفى به متصرف البصرة وأكرمه . وفي الزبير بدأ الشيخ في انشاء مدرسة أهلية ، ثم أعوزه المال اللازم لإكمالها . فكان أن غادر الزبير إلى مدينة بمبي ليستعين بجمهرة تجار اللؤلؤ من العرب هناك في تدبير المال اللازم لإكمال المدرسة ، فحصل منهم على بعض ما يريده .

وفي عودته من بمبي طاف ببعض أمراء الخليج لهذا الغرض ، حتى وصل إلى البحرين . وحل ضيفاً على رئيس مجلس المعارف آنذاك ــ الشيخ عبد الله ابن عيسى الخليفة ، فأكرم وفادته ، وفي البحرين حصل الشنقيطي من أمرائها وتجارها على =

بمدرسة الهداية بالمحرق عام ١٩٢٢ .

وهذه القصيدة أيضاً لا تحمل عنواناً كأكثر قصائد الزائد القديمة ، لذا اقتبسنا لها عنواناً من صلب سياقها فكان العنوان عصر المضحكات . حيث بدأ الزائد قصيدته قائلاً : —

علام تولاك السهاد حزينـــاً
تقطع انفاس الحياة أنينـــا

غفا كل ذي ثكل وكل مد له
وغضوا على عظم المصاب جفونا (١)

وجفنك فياض بواكف هاطل
من الدمع يحكيه السحاب هتونا (٢)

أهذا هوىً أم غفلة أم سفاهة
أم انعكس العقل الرزين جنوناً (٣)

= إعانة سخية لمشروع مدرسته. ثم غادر البحرين الى الزبير حيث افتتح مدرسته هناك وأسماها مدرسة النجاح .

(١) كل ذي ثكل كل من فقد ابناً له يموت . وكل مد له : — من براه العشق حتى ذهب عقله .

(٢) بواكف هاطل بمطر منهل ، والهتون : — المطر الغزير .
يشير الشاعر الى كآبته وتراكم همومه هو لما مر بالمحتفى به من ظروف قاسية اثناء اقامته في الكويت .

(٣) يشير الشاعر الى تألمه هو من واقع الأمة العربية .. آنذاك .. فهو يتذكر حقب المجد والرفعة ، التي عاشتها هذه الأمة بفضل تمسكها برسالتها الاسلامية المتجددة على مر الزمان .

حنانيك ما خطبي خيال ولا هوىً
ولكنها ذكرى تهيج شجونـــا [1]

بكيت على برج السعود مهدماً
وكان ينير الشامخات ركينا[2]

على المجد مكسوفاً على المجد خاسفاً
على الحق مكسور الجناح طعينا[3]

تذكرت أسلافاً لنا لو تنبهوا
لفاض بهم ماء الحياة معينا[4]

اناديهوا والجسم يسحقه الأسى
وللقلب قفزات ترن رنينـــا [5]

الا فانظروا بين الرجام بينكموا
يجرعهم دار الشقاء رجينـــا[6]

فنحن بعصر المضحكات شؤونه
يعيش عزيزاً من يعيش خؤونا [7]

(١و٢و٣و٤) المصدر السابق

(٥) الرجام الأحجار . والرجبن السم الزعاف . الشاعر هنا يستنفر اسلاف الأمة العربية الأبطال، ليطلعوا على أخلافهم الذين ركنوا الى الدعة واللهو وتقاعسوا وقعدوا عن تسنم مراقي المجد والسؤدد ، فكأنما سقوا سماً قاتلا من القنوط واليأس .

(٦و٧) يتحدث الشاعر هنا عما يعانيه مجتمعه من تناقض ، حيث يعيش الخائن لقيم أمته، وتقاليدها السامية وكفاحها المجيد، عيشة العزيز الشريف المدلل، الذي يعشق اللهو والمجون ، ويبدد طارفه وتليده فيه. ويتباها بذلك. واذا أخذت الأمة في الدفاع عن كيانها ومقوماتها تقاعس وخنس عن التضحية في سبيل ذلك.

اذا قيل للهو استطال مشمراً
وان قيل للعليا استسر ضغينـــا[1]

* * *

بني العرب ان السيل قد بلغ الزبى
ولمـــا تفيقوا غفلة وسكونا[2]
عجبت لكم لا تأنفون لذلة
وترضون من دون الخلائق دونا[3]
بني العرب ان الجهل شتت شملكم
كريح أصابت في الخضم سفينا[4]
بني العرب ان القوم يستعبدونكم
فكم أدركوا منكم رضىً ومعينا[5]
سياستهـــم لا تستقر تقلبـــاً
اذا لاينت حيناً تشدد حينا[6]
كأن يديها والبلاد وأهلهـــا
لهاة أدالوا في الفلاة « كرينا »[7]

(١و٢و٣) في هذه الابيات يستنهض الشاعر قومه العرب مصوراً لهم واقعهم الأليم، من جهل قد مزقهم الى شيع متفرقة، الى سكوتهم على الذل والاستعباد .

(٤ و٥ و٦و٧) فيهذه الأبيات يشرح الشاعر لبني قومه وسائل المستعمر المتسلط عليهم ، وتصرفاته السيئة في الشعوب الرازحة تحت نيره . وان الجهل هو عدوهم الأول الذي شتتهم ...

وأوعادهم مثل السراب بقبعة
متى تأته تلق المياه حزونـــا[1]
وأعمالهم في كل شرق ومغرب
تدور رحىً فوق الرؤوس طحونا[2]

* * *

فقوموا بما يقضي به الدين والحجى
وهبوا كفاحاً يسرة ويمينـــا[3]
فما تدرك الغايات بالطيش والمنى
ولكن على قدر الثبات يجينـــا[4]
سباقاً لفتح المدرسات زواهراً
لتستأصلوا داء الخمول دفينا[5]
بها سبق الغربي وارتفع الأولى
يعدون من سقط المتاع قرونا[6]
أجل ثابروا ثم اثبتوا ثم صابروا
ضراغم تحمي في النزال عرينا[7]

(١و٢) المصدر السابق .
وفي الأبيات (٣و٤ و٥ و٦و٧) يستنهض الشاعر بني قومه العرب ان يهبوا للذود عن حياض أوطانهم بكل وسيلة ، وفي كل اتجاه تأتي منه رياح الاستعمار والاستعباد ، وعليهم أن يستنيروا في ذلك بهدى الدين والعقـــل ، ويستحثهم كذلك بأن يتسابقوا في الارتشاف من مناهل العلم . فبالعلم ارتفع الغربي وكان قبل ذلك في الحضيض .

فقد قيض الرحمن للشرق قادة
هداة إذا بات النجاد شطونــا[1]
يسيرون في الاصلاح سير محمد
خبير بأدواء الشعوب فطينا[2]
فلاتيأسوا أن ترجحوا كفة بهم
فرب الوف لا تطيق مئينــا[3]
عليك سلام الله شنقيط ما زهى
بنجلك نبراس المعارف فينا[4]

من للقضية :

ونصل مع ما اخترناه من قصائد الزائد حسب ترتيبها الزمني إلى رائعته في رثاء استاذ جيله الشيخ المجاهد عبد الوهاب بن حجي الزياني . وكالعادة فالقصيدة ليست بذات عنوان ، فوضعنا لها عنواناً أسميناه (من للقضية ..) .

من للقضية .. هي رائعة الزائد الأولى بين روائعه الأربع أما الثلاث الأخر ، فهي أولاً ــ رائعته في رثاء حاكم البحرين الشيخ الجليل عيسى بن علي آل خليفة ، وثانياً رائعته في وصف الحرب البحرية ، وثالثاً رائعته في رثاء نفسه هو .

ومن للقضية .. هي أيضاً رائعة الروائع في شعر الزائد ،

وفي الابيات (١ و٢ و٣ و٤) يشير الشاعر الى أن الأمة التي في ابنائها من أمثال المحتفى به الشيخ الشنقيطي لا بد اذا أسلمت القيادة إليهم فلن تضل السبيل .

وفي شعر شعراء البحرين في العصر الحديث . وستبقى هذه الرائعة في القمة .. فالظرف الذي نظمت فيه هو ظرف الانتفاضة الأولى لشعب البحرين ، التي مارسها قادة الرأي فيها ، والتي حدثت قبل عامين من نظم القصيدة ، وكانت موجهة ضد التسلط الأجنبي المتمثل في دولة الحماية .

هذه الانتفاضة هي احدى حلقات الانتفاضة العربية الكبرى الشاملة بُعيد الحرب العالمية الأولى ضد التسلط الانجلوفرنسي في سوريا والعراق وفلسطين والمغرب .. كل ذلك نتيجة للوعود التي قطعها الحلفاء الغربيون على أنفسهم لحلفائهم العرب اثناء الحرب العالمية الأولى ، فكان جزاؤهم للعرب جزاء سنحار ..

ومن للقضية — بعد ذلك كله — سجل لأحداث مهمة حدثت في البحرين بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٥ ولم يستطع الناظم الاتيان بها مفصلة لاستمرار قيد الحماية محكماً على أهل البلاد . ولكنه أعطى صورة معبرة ذات معالم واضحة ، تعطي الباحث في تاريخ البحرين الحديث حوافزاً لاكتشاف جزئياته المفرقة وضمها بعضها لبعض لتكتمل صورة ذلك التاريخ المشرق .

وفي سياق هذه القصيدة يبرز لنا صدق لهجة الزائد في رثاء استاذه المجاهد .. وهو صدق ينم عن معانات عاشها

الزائد بين بومبي ، ودلهي ، والبحرين ، وهو برفقة استاذه[1]

قال الزائد يرثي استاذه :

هدف حياتك والسنون نبالُ
فعلام تجزع والخلود محالُ
عدل الزمان .. ولا تؤمل عدله
هل يستوي الادبار والاقبالُ
يا دهر هاتِ كؤوس غدرك هاتها
ما للأبي بواحتيك مجالُ

* * *

أودى بنا لهب الخطوب فكلما
قلنا خبا يتفاقم الإشعال
واذا انتهى عهد التعلل بالمنى
فالموت سعد والحياة وبال

* * *

ما بعد موتك بابن حجي ساعة
يهنى الفؤاد ويستريح البالُ
ان نامت الحدثان يوماً عن فتىً
فلها وان طال المدى زلزالُ

---

(١) لم يعرف ان كان الزائد في الهند يوم وصلها الشيخ عبد الوهاب منفياً من البحرين . أو أنه غادر البحرين بعد ذلك لحاقاً بأستاذه . ولكنه شوهد مع الشيخ كثيراً اثناء وجوده منفياً هناك .

عبر الاثير البرق يحمل نعيه
ما مات بل قد ماتت الآمالُ (١)

نعي أسال من الجفون قلوبنا
هيهات يجدي الدمع والاعوال

غادرتنا والدهـــر في غليانــه
ونزحت حين اشتدت الأهوالُ (٢)

كنت الغياث وكنت نبراس الهدى
غبشت بفقدك ظلمة وضلالُ

نفسٌ وان جار الزمان أبية
وخـــلائق للمكرمات تـهـــالُ

مست فؤادك للمنون أناملٌ
فجرى القضاء وحالت الاحوال

إن مت جسماً أنت حي سُمعة
دهراً تردد ذكرها الأجيال

أمر به حم القضاء وليس في
أحكامه نقض ولا امهـــال

لهفي على قمر الحياة ونورها
لم يستدر بل غاب وهو هلالُ (٣)

---

(١) يشير إلى أن الناعي الذي نعى الشيخ الى بني وطنه في البحرين كان برقية وصلت الى البلاد تحمل نبأ وفاته .

(٢) يقول الشاعر بأن الشيخ قد غادر بلاده وهي في حالة غليان من تدخل الانكليز في شؤونها .

(٣) يريد الشاعر أن يقول أن المنية قد أدركت الشيخ وهو لم يبلغ متوسط العمر

لله من غيبتموا تحت الثرى

الـــدين واخلاص والأفضال

حق المنية أن تنال خصومـــه

لو أنها علمت بمن تغتـــال

لكنها خبطت فمست نفســـه

فتعذر الإمهـــال والإدلالُ

يا تربة شرُفت بضم عظامه

روى تراك الوابل الهطّـــالُ

لولا الجهالة والتأخر والهوى

لأقيم تذكاراً لـــه تمثـــالُ

* * *

من للقضية بعد موتك انهـــا

دفنت فلا قول ولا أفعال(١)

---

(١) في عام ١٩٢٣ كان العسكري البريطاني الميجر ديلي – الذي عين – حديثاً – معتمداً بريطانياً في البحرين – قد اغتصب جميع سلطات الحاكم الشيخ عيسى بن علي الخليفة وجمعها في يده ، وأخذ يتدخل في شؤون البلاد الداخلية بإيعاز من الحكومة البريطانية والسيطرة على الامارة كلياً ، خلق جواً من البلبلة بين فئات الشعب متذرعاً بوجود رغبة شعبية للاصلاح الداخلي ، وأوهم بعض الفئات المنادية بالاصلاح بأن الحاكم قد كبر وليس باستطاعته تنفيذ تلك الاصلاحات، ويجب تنحيته عن الحكم . بعدذلك جاء ذلك(الكرنل نوكس) مندوباً عن رئاسة الخليج البريطانية ونحى حاكم الإمارة عن الحكم ، وبذلك كرس التدخل البريطاني في شؤون البحرين الداخلية .

فقام أعيان البحرين وعلى رأسهم الشيخ المجاهد عبد الوهاب الزياني =

والقوم في نوم وفي جهل وفي
صف العدو أماهم فأمالوا[1]
ماتت نفوسهمو وهت عزماتهم
فمصيرهم بعد الخمول زوالُ[2]
أذكاهمو عند التقدم ضالع
ولدى الهزيمة والفرار غزال[3]
أرخوا قيادهمو على غير الهدى
فهموا وان لبسوا اللحى أطفالُ

= يعارضون ذلك التدخل في شؤون بلادهم الداخلية، فكان أن قبض على الشيخ عبد الوهاب وزميله احمد بن لاحق ونفيا الى بمبي. هناك أقام الشيخ دعوى على سلطة الحماية البريطانية في البحرين، ورحل من أجل ذلك إلى دلهي لمتابعة الدعوى أمام احدى محاكم نائب الملك في الهند، ولقد تبرع المحامي الشهير الأستاذ محمد علي جناح مؤسس باكستان الحديثة بالدفاع عن وجهة نظر الشيخ عبد الوهاب ومن خلفه من أعيان البحرين بعد أن اقتنع بحق شعب البحرين في منع اي كان من التدخل في شؤونهم الداخلية.

ولقد استمعت المحكمة الى حجج محامي الشيخ في ابطال قرار عزل الحاكم، وبالتالي التدخل في شؤون البحرين الداخلية. وكذلك استمعت الدفوعات المقدمة من محامي ممثل سلطة الحماية في البحرين. وقضت برد دعوى الشيخ..

(١، ٢) يشير الى تقاعس اصحاب الشيخ من اعيان البلاد عن القيام مقامه في الدفاع عن حقوق وطنهم. ولم يكتفوا بذلك بل ركنوا إلى عدوهم الذي استمالهم فمالوا اليه.

(٣) يشير الى أنهم حين يتقدمون إلى الدفاع عن حقوقهم تراهم يتباطئون في مشيتهم كأنهم عرجان ولكنهم عند الهزيمة كالغزلان في الفرار من أمام أعدائهم.

تحيى بموت نفوسهم أجسامهم
وكذلك الأغنـــام والأيـــالُ
أنفوا فكشرت القلوب فسلموا
ان المصائب للورى غربـــالُ
كم ميت بالوهم في شرخ الصبا
ولربما قتل الجبـــان خيال
محن تنوء الراسيات بحملهـــا
ومن العجائب ان تنوء جبالُ
ان الهوى محق الهدى حَجباً له
فالحسن قبح والحرام حـــلال

* * *

مات المضحي نفسه ونفيســـه
وجميعهم رغم الغنى بُخالُ
يا عين سحي واندبيه أنـــه
عين بآيات الهدى تنشـــالُ
وشفاء آلام الفؤاد اذا ذكت
نار لها دم مدمـــعي سيـــالُ
أسف على أسف ولوعة يائسٍ
أضناه من بعد الوصال نصال

أسروك غدراً بين أهلك صنعاً
يبكيك صحب حاذقون وآل[1]
ونُفيت حتى مت من ألم الأسى
فلكم تُقاس بمثلك الأبطال[2]
مهما تفاقمت الخطوب حقيرة
الا اذا شمتت بك الأنذال
تتابع الحسرات وهي عريضة
وفوادح النكبات وهي طوال
فقراء في أوطاننا وغريمنا
يُجبى اليه بكدنا الأموالُ
غرباء في أوطاننا وغريبها
وقف عليه العز والإقبالُ

(١و٢) حين بدأ الناس في البحرين يضيقون بقيد الحماية المضروب عليهم ، ورأوا بأم أعينهم تدخل سلطة الحماية في شؤونهم الداخلية ، الذي تكلل بتنمية حاكهم عن الامارة بالصورة التي تم بها ذلك ، بدأوا يقاومون ذلك التدخل بقيادة الشيخ عبد الوهاب وزملائه من أعيان البلاد المعززين بتأييد الفئات المثقفة فيها ... فكان أن استدعى المعتمد البريطاني الشيخ عبد الوهاب وزملاءه الى اجتماع بدار الاعتماد البريطاني في المنامه .. كان القصد الظاهر من ذلك الاجتماع هو أن يبدي المعارضون رأيهم في معارضتهم لاجراءات التدخل في شؤون بلادهم . ولكن الذي حدث هو العكس اذ القي القبض على الشيخ وزميله احمد بن لاحق وصرف الباقون من أعيان البلاد الذين هالهم ذلك الإجراء التعسفي الذي وقع امام اعينهم فأخذوا يتدافعون في خروجهم من دار الاعتماد على غير نظام .

يا صاحبي دع التحسر فانتهى
سير المعالي فالحيـــاة قفـــالُ

قل للـــذين تجبروا وتكبروا
مهلاً فعاقبة الغرور نكـــال

في الشام من اخواننا أسد الشرى
في الريف من فتياننا أقيالُ(١)

آما لهم في طول أيام الوغى
ضرب الجماجم للسيوف حقال(٢)

همم بشيب الدهر وهي فتية
وتعطل الافلاك وهي عجـــال

والشعب ان سرت الحياة بنفسه
مخنوعه للطامعـــين محـــال

في نهضة عبد الكريم زعيمها
لبني المشارق عبرة ومثالُ(٣)

هزمت جيوش الدولتين بسيفه
ومضى وما مس الحسام كلالُ(٤)

---

(١) يشير الى ثورة السوريين على المحتلين الفرنسيين عام ١٩٢٥ ، والى ثورة الشريف المغربي بقيادة عبد الكريم الخطابي على الفرنسيين والاسبان في المملكة المغربية . في ذلك الوقت . وأقيال : جمع قيل وهو القائد ورئيس القوم .

(٢) يقول أن آمال المغاربة في الحرية والاستقلال تحقق في طول أيام الجهاد ضد المحتلين .

(٣و٤) يشير الى أن ثورة الشريف بقيادة عبد الكريم الخطابي قد هزمت جيوش الدولتين فرنسا واسبانيا .

المجد من دمع السيوف حياته
لا الكتب تحييه ولا الأقـوال

* * *

يا أيها العرب انهضوا واستبسلوا
ان الحيـاة تزاحم وجدالُ (١)
نصبوا شباك الغدر في بحر الردى
فالعهد نقضٌ والوعود خيالُ (٢)
والغرب أغدر خائن وقعت به
رغم التجارب والعظات رجال (٣)
خدعوا الشعوب بمينهم فتفاءلت
ولقد يغر الناظمين لآلُ (٤)
جل الذين رفع الذين تعلمـوا
وقضى بأن يتأخـر الجهالُ
ان الشعوب مصيرها في كفها
تُسدى النفوس وتبذل الأموالُ

(١ و ٢) الشاعر هنا يستنهض بني قومه العرب ويحذرهم من عهود المحتلين ووعودهم .

(٣) أي أن المحتلين الاجانب كثيراً ما عذروا بالعهود ونقضوا المواثيق ، وفي تجارب العرب مع الغربيين المتسلطين عليهم اكبر دليل على ذلك .

(٤) المين : الكذب والناظمون : جمع ناظم وهو يعني هنا ناظمي اللؤلؤ الذين يجمعونها في خيط ليصبح عقداً أو قلادة . شبه الشاعر خبرة بعض الشعوب التي عانت الكثير من ألاعيب المستعمر بناظمي اللؤلؤ والجواهر الذين مع خبرتهم بالجواهر الكريمة .. قد يغترون في بعض الاحيان بمظهر لئالىء حسنة براقة . مع أنها مزيفة .

ختم الزائد مرثيته هذه بتمجيد إله الكون الذي علم الانسان ما لم يعلم ، ورفع من شأن العلماء . وقدكان عطاؤه فيها أثراً سخياً يشوبه شيء من التحفظ في سرد الحوادث التي تعاقبت بعد عزل الحاكم ، وبروز الشيخ عبد الوهاب . على مسرح الاحداث بعد العزل مباشرة ، لذلك لم يبرز تلك الأحداث بصورة أكثر وضوحاً وجلاء.

وقد أعطانا الزائد في هذه المرثية أيضاً صورة مجملة عن تأثير الشيخ في مجتمعه قبل حادثة العزل ، وأعطانا كذلك صورة عن تضحيات الشيخ .. بعد الحادثة . حيث نافس الزائد صديقه الشاعر خالد الفرج في ذلك[1] .

وكذلك أعطانا الزائد صورة لا يستهان بها عن خط سير أعيان بلاده الذين خذلوا زعيمهم بعد القبض عليه ونفيه مع أنه تحرك سياسياً لمصلحة شعبهم ، وحكومتهم الوطنية . ولم يفته أيضاً أن يسجل في هذه المرثية جهاد الأمة العربية في كل من بلاد الشام والمغرب العربي . وفي هذا ايضاح جلي عما للفئة المثقفة في البحرين ــ آنذاك ــ من صلات روحية بإخوتهم في بلاد العرب والاسلام .

ولكن فات الزائد أن يذكر لنا شيئاً عن كيفية استقبال الأحرار الهنود والعرب لقضية الشيخ عبد الوهاب ولشخص الشيخ نفسه ، ذلك الاستقبال الذي قيل عنه في حينه أنه كان

---

(١)راجع فصل زمالاته الفكرية (مع خالد الفرج) بتعريف في ذيل الصفحة .

استقبالاً كبيراً فما بالك في قضية يدافع عنها المحامي الكبير الزعيم محمد علي جناح متبرعاً بذلك وبعد ترخيص من نقابة المحامين الهنود[1] .

قل للبغاة :

وكما قلنا سابقاً بأن الزائد قد برع في فن الرثاء من بين ما طرق من فنون الشعر الأخرى ، فإن رائعته الثانية في هذا الباب هي مطولته في تأبين الشيخ عيسى بن علي الخليفة . تلك المطولة التي كان مقرراً أن تلقى في حفلة تأبين الشيخ ، ولكن الحفلة ألغيت لظرف سياسي داخلي ، لا زالت رواسبه قائمة ــ آنذاك ــ منذ أن عزل الحاكم المتوفي عن الامارة قبل وفاته بتسعة أعوام .

لقد حز الغاء الحفلة في نفس الزائد فبعث بالمرثية المطولة الى صديقه وزميله الفكري الشيخ محمد بن عيسى[2] .

وفي هذه المرثية صور الزائد بشيء من الاطناب مأساة فقد الحاكم . والحقيقة أن الحاكم كان رجلاً تقياً ورعاً متسامحاً ، وعلى درجة كبيرة من السخاء والبذل .. كان محبوباً من شعبه وخاصة الفئة الواعية منهم . الا أنه كان يبدي تريثاً واتئاداً في نقل وسائل الحضارة الغربية الى

---

(١) القائد الاعظم وأول حاكم عام لباكستان بعد الاستقلال . توفي عام ١٩٤٧ .

(٢) راجع فصل زمالاته الفكرية مع الشيخ محمد (الرسالة الرابعة) .

بلاده . وخاصة ما كان متعارضاً مع الدين الحنيف والتقاليد العربية النبيلة .

ومع ما ناله من نكايات ونقض بالعهود من قبل بريطانيا فانه بقي وفياً لعهوده معها[1] . وفي المرثية وصف شيق للحرية التي وصفها الزائد بالغادة الحسناء التي لا ينالها الا الأحرار ، الذين يضحون في سبيلها بالغالي والنفيس .

ولقد نُظمت هذه المرثية في ظروف سياسية حرجة الأمر الذي وقف في طريق انتشارها مما أدى الى بقائها — مخطوطة بقلم الزائد نفسه — عند صهره وصديقه الشيخ محمد .. حتى أمكننا الاطلاع عليها . ونشرها ، ومن الرسالة المرفقة بها والمؤرخة من قبل الزائد في ٢٠ رمضان ١٣٥١ ﻫ تحققنا من أن وفاة الشيخ المرثي حدثت فجر يوم ١٠ شعبان ١٣٥١ الموافق ٨ ديسمبر ١٩٣٢ . فقال الزائد يرثيه : —

(١) ومن الغدر ونقض العهود التي مارستها بريطانيا ضد حليفها الشيخ . هي استغلالها لحوادث عام ١٨٩٣ و ١٩٠٣ و ١٩٢١ و ١٩٢٣ للتدخل المباشر في شؤون بلاده وقد انتهت تلك الحوادث بعزله . يقول الريحاني في ملوك العرب الجزء الثاني ص ٢٦٦ : « هذه هي قصة البحرين والانكليز في عهد الشيخ عيسى بن علي . من حكومة مستقلة ذات اسطول حربي » الى حكومة ولا اسطول ، الى حكومة يراقبها وكيل سياسي انكليزي ، الى حكومة تشارك في ادارة شؤونها الداخلية والاجنبية حكومة بريطانيا العظمى بواسطة بليوسها (هكذا في النص ، ويعني المعتمد السياسي) ووكيلها في الخليج ، إلى — والليالي بالحادثات حبالى ! »

غدر من الدهر الخؤون ـ جديدُ
بل عادة يبدي بها ويعيدُ
نكباته للطيبين وشره
للخيرين ودأبه التنكيد
ما زلت تحصب بالصواعق جمعنا
حتى خسفت بنا ونحن هجود[1]
هل كنت يا عيسى سوى روح العلى
ذهبت ويومك يومها الموعودُ[2]
ما صُبحت بشبيه نعيك قريةً
فعلا الصياح جحافل وبنود[3]
في كل دار يوم مت مناحة
في كل صدر يوم مت وقود[4]
كم من جيوب يوم فقدك مُزقت
وجفون عين قُرحت وخدود
نعي تفطرت القلوب لهوله
يمضي عليه الدهر وهو عتيد

---

(١) يشير الشاعر الى أن نعي الحاكم الراحل قد سرى الى الناس مع تباشير الفجر . والى ما انتشر بينهم من نبأ وفاة الحاكم وهو يؤدي فريضة الفجر أثناء سجوده .

(٢و٣و٤و٥) في هذه الابيات يصور الشاعر كيف عم الحزن والأسى الناس عندما طرق سمعهم نبأ وفاة الشيخ . ثم يشير إلى المكانة السامية للعاهل =

دفنوك في جوف الرغام وأنت في
مُهـــج الأنام مُخلدٌ محسود

ومن الغريب وانت معقل أمةٍ
حصنٌ أشم يضمـــه أخـــدودُ

* * *

هون عليك فكل حي هـــالكٍ
ما لامرئٍ في العالمـــين خلود

والموت مصدره الحياة فلو حوت
روحـــاً لماتت بالرميم لحُودُ

والشيب للإنسان من بعد الصبا
نبأٌ بـــأن بقـــاءه محـــدود

ومصير تلك النفس بعد حمامه
سر الزمـــان وحله تعقيـــد

بينا ترانـــا في البطون أجنـــةٌ
واذا بنا تحت الجنـــادل دودُ

* * *

= الراحل بين أفراد شعبه . وانه لكذلك واكثر في اخلاصه لأمته ، وبذل كلما تحت يديه للقاصي والداني من المحتاجين ، وسخاؤه مضرب الامثال حسبما تواتر من أخباره .

يا منزلٌ دك القضاء عمـــاده
دكاً وليس عن القضاء محيـــد[1]
الحول عن دفع المنيـــة قاصرٌ
والله يفعل ما يشاء ويريـــد[2]
قد كان مكتظ الجوانب زاهراً
تأتي وتذهب في حمـــاه وفود
ما لي أراه أقفرت عرصاتـــه
وبكى عليهـــا والد ووليـــد[3]

* * *

اني رأيتك في الخيال منادياً
والأرض من تحت الجموع تميد[4]

(١و٢و٣) في الابيات يصف الشاعر بوجد .. منزل الحاكم الراحل وكيف دكه القضاء بعد أن كان عامراً بصاحبه ، وكيف كان ملتقى الوفود وطلاب الحاجات فاصبح مهجوراً .

(٤) وفي الابيات التي تليها حتى البيت الخامس عشر يترجم الشاعر رؤياه التي رآها في المنام ، (حيث أبصر الراحل واقفاً ينادي شعبه . وقد التفت حوله جموعه الذي سدت بهم اكناف الارض من كثرتهم ، وهو يناقش هذه الجموع تصرفات بعضهم السيئة معه . وما رافق ذلك من تخليهم عنه يوم عزله . انه كان يتمنى مفارقتهم بعد تلك التصرفات منهم . ثم يصف الشاعر الفقيد وقد تقدم هذه الجموع كقائد امام جنده ، وقد أراحهم واراحه ما جرى بينه وبينهم من عتاب . ثم يستنطق الشاعر الفقيد بموعظة موثرة يوجهها الى شعبه ، يوصيهم فيها بالاتحاد والتواد فيما بينهم حتى لا ينال عدوهم منهم عزه .

يا خاذليّ لدى الشدائد والبلا
انّي وقــد فارقتكم لسعيدُ
كانت ولم تزل المنيــة منيّتي
منذ اختفى بــر ولاح جحودُ
ثم انثنى فكأنما هو قائــد
وكأن هاتيك الجموع جنود
وبدت تباشير الرضى في وجهه
وعــلى وجوه الحاضرين سعود
أوصيكموا بالاتحــاد فإنــه
عند الشدائد عــدة وعديــد
ان انقسام الرأي أقوى هادم
أبداً عــدواً للشعوب لــدود
ان غيرت بكم السياسة مبدأ
والاه آبــاء لكــم وجدود
لا تطمعوا أن تملؤا كرسيهم
ليسوا سواءً سيد ومســود

من ليس يحفظ بالتعاون ملكه
لم يحتفظ بالملك وهو وحيدُ[1]

كالنسر من دون الجناح فريسة
وبه يُحلق كاسراً ويصيدُ[2]

والنهر لولا الغيث جفت أرضه
والسيف لولا الضاربون حديد[3]

أواه ان النفس يملؤها الأسى
فتكاد بالروح العزيز تجودُ[4]

أيموت عيسى وهو غوث بلاده
ويظل حياً شامت وحسود[5]

تلك المدارس قد مضت أيامه
فوضى يسيرها الهوى ويسود[6]

أحيي المعارف عالم ومثقف
وقضى عليها جاهل وبليد[7]

(في الأبيات من ١ – إلى ٧) يؤبن الشاعر الحاكم الراحل بشيء من الوجد ، فيعدد مناقبه من طيبته ودماثة خلقه وشحائه وتشجيعه للعلم بايجاد المدارس وتأسيسها .

بعد ذلك يرسم الشاعر صورة الحرية وهي غضبى قلما تصرخ بملءُ فيها في سعده اعتزاء وانتخاء هاتفة بعشاقها من الابطال العرب المجاهدين .

لهفي ووا أسفي على جلساته

وعليه من درر الوقار عقود

لهفي على المستضعفين وبينهم

مذ غاب عنهم والهناء سدود

وصل الحواضر وهي منه قريبـــة

وصل البوادي وهي منه بعيدُ

الفعـــل في أقوالـــه متنفذ

والقول في أفعالـــه محمود

نعتوه من بسط اليدين مبذراً

وكأن من غُلت يداه رشيـــد

لم يجمعوا في العام ما كانت به

كفاه في الشهر القصير تجود

والسعد في جمع المكارم كله

ما كل من جمع النضـــار سعيد

* * *

يا غـــادة لمخضبيها بالدماء
وصل وللمستضعفين صدود[١]

الناس خوف لحاظ عينك ركع
طوراً وطوراً للعيون سجود[٢]

ما كان سماك الورى حرية
الا وحر البعد عنك شديـــد[٣]

فاذا هجرت فكل يوم نكبة
واذا وصلت فكل يوم عيد[٤]

يا للشهامـــة نجدةً عربيـــة
الناس احرار ونحـــن عبيـــد

قالت وقد أخذ الملام بلطفها
تهتز غضبي والملوم عنيد[٥]

من لم يكن أسداً يحوط عرينه
دخلت عليه في العرين أسود[٦]

واذا الشعوب تدهورت أخلاقهم
بادوا والا عوجلوا فأبيدوا[٧]

(١ و ٢ و ٣ و ٤) يصف الشاعر الحرية بأنها امنية الشعوب المستعبدة ومعشوقتها . فهي كالغادة الحسناء والرؤدة الغيداء لا يصل الى قلبها الا من يضحي في سبيلها ، ثم يقول بأنها لم تسم حرية الا لأن حرارة هجرها شديدة ذات رزء جلل . أما وصلها فهو عبر وبهجة لعشاقها .

(٥و٦و٧و٤) في هذه الأبيات يستنطق الشاعر الحرية بمواعظ وارشادات للأمة أفراداً وجماعات أن يحترسوا من التدخل الاجنبي في بلادهم ، وان. الحرية هي هدية للذي يهواها فيفديها بنفسه وماله. وان الفتى بافعاله . لا بطول حياته ..

أنا للذي يفدي هواي بنفسه
وبكل ما ملكت يـد ويزيـد
عمر الفتى افعاله مـن بعده
والعيش لا عاش الجبان زهيـدُ

* * *

أصبحت يطويني وينشرني الأسى
وله هبوط في الحشا وصعود
والحزن مهما مزقت أسيافه
أحشائنا كمـداً فليس يفيد
عيسى لوعد الناكثين ضحية
والوعد في لغة القوي وعيد[1]
ما أنت أول مخلص غدرت به
منهم وعود اخلفت وعهود[2]

(١و٢) في هذين البيتين يشير الشاعر فيهما الى أن الشيخ الراحل كان ضحية غـدر حلفائه الانكليز لما نكثوا ما بينهم وبينه من المواثيق.. ثم يخاطبه قائلا لست أول مخلص غدر به هؤلاء . يقول الريحاني في ملوك العرب ص ٢٦٢ « لم يحنث الشيخ عيسى بعهده ، ولا عقد اتفاقاً سرياً مع دولة أخرى من الدول . كتب اليه مدحت باشا عندما كان والي بغداد يعرض عليه مساعدة الدولة (يعني دولة الخلافة العثمانية) . بعد اتفاق ودي بينه وبينها ، فدفع الكتاب الى اصدقائه الانكليز . وكتب الى مدحت يقول: (حسبي بريطانيا العظمى صديقة وحليفة . وقد فاوضته كذلك الحكومة الالمانية بواسطة معتمدها التجاري في البحرين فكان جوابه لا أقدم على بريطانيا العظمى أحداً ولا أعاون عليها عدواً ... »

اني مدحتك في الحياة فلم أجد
والیوم عفواً في رثاك أجيد[1]

وعلى اللسان عن الكلام سلاسل
وعلى اليراع عن الكتاب قيود[2]

وأحق ميت بالمراثي أمة
العين تنذر والقلوب جليد[3]

البعض منهم جازع متذلل
وشعوره في صدره مووُدُ[4]

والبعض عار في الرجال وسبة
بخساً يخون بلاده ويكيدُ[5]

قل للبغاة تفننوا في بغيكم
فلكل شيء آخر وحدود[6]

اليوم أنتم قائمون جبائراً
وغداً اذا دار الزمان قعود[7]

* * *

(١ و٢) يقول الشاعر بأنه مدح الحاكم الراحل أثناء حياته فلم يحسن في مدحه كما أحسن وأجاد في رثائه مع أن الزمان في البحرين – إذ ذاك – زمان كبت للحريات نطقاً وكتابة .

(٣ و ٤ و ٥) في الابيات يشير الشاعر الى أن أحق ميت بالرثاء ليس الحاكم وانما امته حين تخاذلت عنه يوم عزله .

(٦ و٧) الشاعر هنا يخاطب الدولة الحامية ورجالها المتجبرين .

في مــن فقــدنــا أســوة لــوليـه
وبــهــالــة التــعضيــد والتــأييــد
مــاغــاب من عيسى ســوى جثمــانــه
هــو أنــت يــاحمــد وفيــك يــعــود
لم يعــرف الشعب السلــو ولا العــزا
الا لأنــك بــعــده مــوجــود
شــهــم لــه الخلــق العظيم وطبــعــه
الصفــح الجميــل وهمــه التجــديــد
أخــواه في الجلس يشــدا أزره
والفــوز فــوق لــوائــهــم مــعقــود
ايــديــهمــا في راحتيــه تضــامنــاً
ووقــاهمــا في الحــالتــين أكيــد
فــالتحيى يــاحمــد وعــرشــك شــامــخ
والمجــد مجــدك طــارف وتليــدُ
وليحيــى نبــراس البــلاد محمــداً
حــراً يــذب عــن الحمــى ويــذود
وليحيــى عبــداللــه نجمــاً ســاطــعــاً
بــالــرأى يــرشــد قــومــه ويقــود

الحرب البحرية :

هذه القصيدة تقدم بها الزائد لمسابقة اجرتها هيئة الاذاعة البريطانية لشعراء منطقة الخليج عام ١٩٤٢ ففازت بالجاهزة ٠

الأولى .. وهي تعـد من عيون شعره وليس لنا ولا للزائد يد في وضع هذا العنوان لهذه القصيدة ، انما هو من وضع لجنة المسابقة ، وهو بالتالي موضوع المسابقة ذاتها . ويظهر من هذا العنوان ، ومن توقيت المسابقة نفسها انها أجريت لصالح الإعلام الحربي يومذاك .

قال الزائد :

زخر البحر بالجيوش الضخام آ له الفتك في القرى والأنام
فلندعه وللدمـاء هديـر ولنعرج على البحار الطوامي
فبها للورى ثلاث طبـاق تتبارى بخفة وانسجام[1]
من نتاج الفكر الذي حير الناس بإتقانه وبالإحكـام
فعلى السطح منه تبدو قلاع سائرات بسرعة ونظام[2]
هي في السلم كالمهى تخلب اللـ ـب ومثل الليوث يوم الصدام[3]
تقذف الموت كالبراكين ناراً يخلط البحر في الهوى بالقتام[4]
هزأت بالرعود قصفاً وومضاً في دوي يشيب رأس الغلام
أتراها الجبال عاقت ثواها سابحات إلى العباب الطامي
واستحالت الى حديد ونار بعد ان كن من حصى ورغام
تتنزى على البحار وتنقض سراعاً ولا انقضاض السهـام

(١و٢و٣و٤) يصف الشاعر في هذه الابيات ثلاث وسائل حربية استعملت في الحرب العالمية الثانية هي السفن الحربية ، والغواصات والطائرات ، كما صور الشاعر السفن الحربية وكأنها القلاع حين تبدوا على سطح الميناء . والقتام : غبار الحرب الأسود . فهو يصور على هذه السفن اثناء الحرب كأنها البراكين تقذف ما في جوفها من نار وحجارة .

وهي في البحر تشعل البر ناراً تجعل الشامخات كالآكام
هزت الناس كالأراجيح هزاً كم فتاة رعباً قضت وغلام
خلت الدور والشوارع منهم يمموا القفر رهبة في زحام

* * *

ويجوف البحارتجري سفين ماجرى الحوت تحت جنح الظلام (١)
هي في القعر مثل جن سليمان اداة الدمار والانتقام (٢)
تتبدى آناً وحيناً توارى مثقلات البطون بالألغام
تنسف السابحات في لجج البحر كنسف الزلال للآطام
حلقت في السماء منها نسور يمتطون الحديد فوق الغمام (٣)
هي شبه الحمام في الجو لكن أين من صوتها هديل الحمام
تحمل الموت في أحشاها زؤاماً ثم تنقض كالرجوم الروامي

* * *

رب ان الإنسان قد هتك الأرض وأنكى بها الجروح الدوامي
مج شرب الدماء حتى المنايا وهو مازال كارعاً وهو ظامي
رب رحماك عاجل الظلم بالعدل مجيب الدعاء غوث الأنام

* * *

ايه عصر للرقي ماذا جنينـــا فيك غير الشقاء والآلام
فنساء تجوس في غمرة الحرب بجنب الرجال وسط الضرام

(١ و ٢) شبه الشاعر الغواصات كالحيتان في قعر البحار. أو كالجن في التخفي والتستر تحت الماء.

(٣) يعني الطائرة الحربية يقودها طياروها.

أبدلت بالحرير صوفاً وخاضت لجج المعمعان بالأقـدام
انما الحرب في زمان دعوه عصر نور ورحمة وسلام
أوقدتها يد الطغاة اعتداءً لم يبالوا بما أتوا من أثـام
أمعنوا في الديار سلباً ونهباً في انتهاك البلدان والأقوام
قل لهم لا أقبل منهم عثار سوف تجنون غبة الاجرام

غني عن البيان أن هذه القصيدة لم تفز بالجائزة الأولى الا لجودة حبكها وتناسق سبكها . لقد رسم الزائد بها ثلاث لوحات .. لوحة السفن الحربية ، ولوحة الغواصات ، ولوحة الطائرات .

أعمل فرشاة رسمه أولاً في لوحة السفن الحربية ، فصورها كالقلاع الحربية .. ولكن فوق عباب الماء . ووشاها بلونين ، لون للسلم وآخر للحرب فقال : —

هي في السلم كالمهى تخلب اللب
ومثل الليوث يوم الصـدام

وهو اذ يتوسع في توشية هذه اللوحة ، وتزويقها ، لا ينسى أن يحدد وظيفتها في النهاية ، بمعالم تم عن مفعول السفن الحربية اثناء اشتراكها في القتال فيقول : —

تقذف الموت كالبراكين ناراً يخلط البحر في الهوا بالقتام

---

(١) الرجوم الشهب والنيازك . شبه الشاعر قاذفات القنابل تسقط قنابلها محدثة في الأرض الدمار .. بالشهب أو النيازك حين تخر من السماء .

ثم يقول : —

هي في البحر تشعل البر ناراً تجعل الشامخات كالآكام
هزت الناس كالأراجيح هزاً كم فتاة رعباً قضت وغلام

ثم ينتقل الشاعر بريشته الى لوحته الثانية في هذه القصيدة ليرسم فيها الغواصات كأنها الحيتان اثناء سيرها في قيعان البحار .. فصورها بالكثير من الدقة والاتقان . ثم يعود فيلبسها ثوب الخفاء لتبدوا كجن سليمان تغوص البحار لتجوب أقطارها دون أن تُرى ...

هي في القعر مثل جن سليمان أداة الدمـــار والانتقام

ويخلص من هذه اللوحة لينتقل أيضاً الى لوحة أخرى يرسم فيها صورة للطائرات الحربية .. تلك الصورة التي جعلها كملحق للوحة الغواصات .. وهي التي يجب أن تكون ملحقة بلوحة السفن الحربية . وبحاملات الطائرات فيها بالذات فيقول : —

حلقت في السماء منها نسور يمتطون الحديد فوق الغمام

فالطائرات لا تقلع من فوق ظهر الغواصات .. وانما تقلع من فوق ظهر حاملات الطائرات . وهو بعد ذلك يشبه هذه الطائرات بالحمام في شكلها الخارجي . وأما في فعلها فعكس ذلك . فهي تحمل الموت والدمار على من تحلق فوقهم من الأعداء .

الشرق والغرب يلتقيان :

وهذه قصيدة أخرى نظمها الزائد عام ١٩٤٤ لمسابقة شعرية أخرى اجرتها اذاعة لندن لشعراء الخليج في ذلك العام ، وعنوانها الشرق والغرب يلتقيان .

ولقد عرضت القصيدة على لجنة المسابقة فلم تقارنها اللجنة بالقصائد الأخرى لتلك المسابقة لذلك لم تشرك فيها .

قال الزائد : —

يقولون ان الشرق والغرب ضدان
وليس لهم فيما ادعوا أي برهان
شقيقان مذ كانا قرينان دائماً
هما في فنون العلم والدرس صنوان
لقد أصبحا بعد اختلاف وفرقة
شريكان في دفع العتو من الجاني [1]
ولم يبخس الغربي في الشرق حقه
فدع زور طليان سخاف والمان [2]

* * *

(١) يشير الشاعر الى تجمع معظم دول الشرق والغرب في محاربة دول المحور — آنذاك — وهي المانيا وايطاليا واليابان .

(٢) يشير الشاعر الى ما تقوله المانيا وايطاليا — آنذاك — من عدم رضا أغلب دول الشرق من اشتراكها في محاربة المحور وانها مسوقة إلى ذلك رغماً عنها من قبل دول الاستعمار الغربي المتسلط عليها.

لكم شع للاغريق في الشرق نير
فلم يجحد الشرقي فضلاً ليوناني
ومن بعد قام الشرق يقضي ديونه
فلم يتجاهل حقــه أي انسان
فلو ان كبلنج طوى الدهر للورى
يسأل عــن سلفستر وشرلمــان
لقالا له قولاً يفند حكمــه
وقولهما بعد البلى خير سلطــان

* * *

دعوا اليوم ما أمسى حديث خرافة
مما في تلاقي الغرب والشرق قولان
فكم عابر شق الفضاء محلقــاً
يبيت بأمريكا ويمسي ببغــدان
وكم يتلق العلم في جامعاتــه
أو انسى لا تحص وافواج فتيان
وكم قام في دور الصناعة منهمو
رجال همو في الجسم كالشريان
وكم من جنود قاتلت في صفوفه
تناضل في حزم وطيد وايمــان
يعدون للباغين لقمــة جــائع
وكلهمو في طيهيهــا متفــاني

فيحمون أعلام الحضارة والهدى

بحـــزم واخلاص وحد سنان

وكم في ربوع الشرق من بعثاته

رجال لهم منه وفيـــه يـــدان

تفتش عن آثـــاره وكنـــوزه

وتاريخ أسلاف كرام أولي شان

* * *

كأني بأنـــوار السلام مضيئـــة

وطير التهاني صادح فوق افنان(١)

ستعلوا صروح الحق خفاقة السلوا

على الأرض في شرق قصي وفي داني(٢)

اذ كان للماضين عيد بنصرهم

ففي نصرنا في هذه الحرب عيدان

قضاء على الأعداء في عقر دارهم

ومحو لمـــن يزهو بجنس وألوان(٣)

---

(١) الشاعر هنا يترقب انتهاء الحرب العالمية الثانية التي اشتعلت في الحادي من سبتمبر عام ١٩٣٩ .

(٢) يأمل الشاعر ان تضع الحرب أوزارها ، وتعود الحقوق المسلوبة الى أصحابها ، سيما وأن ظروف الحرب – آنذاك – تشير الى اندحار المانيا وانتصار دول الحلفاء الغربيين المستعمرين .

(٣) الشاعر هنا يغمز من قناة المانيا التي كان زعيمها الفوهرر هتلر يقول : المانيا فوق الجميع ، وخاصة دول الغرب المستعمرة المسيرة – آنذاك – بالاخطبوط الصهيوني .

سعادتنا في السلم والعدل شامل
قصيين عن باغ أثيم وعن جاني
بني الأرض ان الأرض دار مشاعة
فليس لشعب أن ينكل بالثاني
فعيشوا جميعاً ينتفي الشر عنكموا
بعيدين عن غل وحقد واضغان

قصيدة الشرق والغرب هذه تمخضت بها قريحة الزائد بصورة مفتعلة . ولا يشفع للزائد أن يكون للقصيدة متاخ إعلامي حربي – حسب منهاج المسابقة – ليأتي بها مشحونة بفكر الحرب الدعائية . وبتقرير اشياء من البديهيات محكية عن الشرق والغرب .. لا صلة لها بانفعالات الشاعر الذاتية .

وحتى اذا تجاوزنا الايحاءات الشاعرية الأصيلة عند أي شاعر مطبوع ، وطبقنا قاعدة الشاعر الناظم فقط .. كما هي حالة الزائد في اغلب شعره ، عدى مراثيه ، لم نجد حتى هذه القاعدة في هذه القصيدة . لذلك نضم صوتنا الى صوت لجنة المسابقة التي استبعدت القصيدة عن مضمار المسابقة وانما إثبتناها هنا لنسجل ما للزائد وما عليه .

خاتمة المطاف :

أما خاتمة المطاف ، وآخر ما نظمه الزائد من الشعر ضمن قصيدة تقدم بها أيضاً إلى مسابقة لندن الشعرية لشعراء

الخليج أواخر عام ١٩٤٤ . ففازت بالجائزة الثالثة ..

كان عنوانها «الحنين إلى الوطن» وهو أحد العناوين التي حددتها لجنة المسابقة . ولكن من يقرأ قصيدة الزائد هذه لا يسعه الا أن يضع لها أحد هذين العنوانين .. فاما أن يكون عنوانها « الحنين إلى القبر » أو « وداعاً أيتها الحياة .. » أو ما شابههما ، ومع ذلك حصلت القصيدة على تقدير لجنة المسابقة فمنحتها الجائزة الثالثة .

كان للوضع السياسي في البلاد بعد حادثة عام ١٩٢٣ أثره الفعال في نفسية الزائد ، فلفه بغلالة من اليأس الا أنه نشط بعد ذلك للعمل الوطني .. مؤملاً زوال قبضة التسلط الاجنبي عن وطنه .. ولكن خاب عنده ذلك الأمل ، حين رأى قبضتهم تشتد على اعناق الناس المخلصين فيه . وحين رأى بعض مواطنيه وهم كما قال فيهم : —

فنحن بعصر المضحكات شؤونه
يعيش عزيزاً من يعيش خؤونا
اذا قيل للهو استطال مبذراً
وان قيل للعليا استسر ظغينا

فبقي صابراً متجلداً ، تكتنفه الحسرات من كل جانب ومن ثم أصيب بصدمة في آماله الوطنية ، اذ لم يسعده الحظ برؤية بلاده ، وقد نفضت عنها غبار الكسل واستعدت للعمل كما قال للريحاني عام ١٩٢٢ . فجاءت قصيدته هذه

تنضح بكل أسى وقنوط .

ولقد كان لمرض الزائد الذي ألم به في أيامه الأخيرة شأن كبير في تنمية يأسه من الحياة . ولم يكن هناك من حيلة في التسرية عنه ، فيما ألم به من الضيق النفسي .. وقد بذل أصدقاءه الكثير .. الكثير من الجهد في ذلك .

قال الزائد وهو على فراش مرضهالأخير :-

مللت الحياة وكثر السهرْ ورمت الممات وسكنى الحفرْ
ففي الموت بعد عن النائبات اذا ما لزمان جفا أو غدر
وفي الموت قصف لسهم القضا وفي الموت كسر لسيف القدر
غريب الديار خلي الوفاض فلا لي صحب ولا لي مقر
هنالك تحت سجف الظلام وفوق فراش الثرى والحجر
ترى القلب بارح كل الهموم وعاد إلى رشده واستقر

* * *

لقد عفتُ كل أماني الشباب ولما أعش مثل عيش الزهر
ومل فؤادي عراك الحياة كأني شيخ رذيل العمر
ومالت بعودي دواعي الشجون فحطت شباباً زها وازدهر
ولم آل جهداً ولكنه هو الدهر يا صاح فظ بطر
أروم الأماني واسعى لها فالقى سراباً وشؤماً وشر

* * *

وداعاً .. وداعاً نجوم السما وداعاً .. وداعاً .. ضياء القمر

وداعاً .. وداعاً خرير المياه وداعاً .. وداعاً حفيف الشجر
سلام عليك هبوب الرياح سلام عليك رنين المطـــر
سلام عليك رحيق اللمى سلام عليك انين الوتـــر
خليلي صبا عــلى الثرى وصفا الحصى وأقيما الحجر
وطوفا بقبري قبيل القفول ففيه عظات وفيه عـــبر
وطيرا لأهلي بعد المصاب إذا الدمع منهم همى وانفجر
على ابن وحيد غريب الديار بقلب كواه الجوى فانفطر
فحنا عليهم بخير العزاء مفاجيع أخشى عليهم ضرر
وطوفا ببيتي قبيل الرجوع اذا ما الصراخ علا واستعر
ولا تبكيا أنــه موقف يذيب القلوب ويعمي النظر

* * *

وعوداً سريعا إلى حفرتي فاني أخشى حلول الضجر
ولا ترويا لي عن العالمين ولكن عن الشعرا والسمر
أود لو اني قبيل الشروق أناجي الملائك دون البشر
وأجعل حداً لهــذا البلا وان تلك يا صاح إحدى الكبر
ولكن صغاراً بذاك الحمى خشيت أيتمهم في الصغر

لم يحتفل الناس في البحرين بقصيدة من قصائد الزائد كما احتفلوا بقصيدة (الحنين إلى الوطن) . وكأنهم كانوا قبل ذلك في غفوة فكرية عما يفوه به الزائد من نثر وشعر مجسداً فيه آلامهم وآمالهم .

لقد خشي كل من قرأ أو سمع من هذه القصيدة أن

تكون آخر نص أدبي يسجله الزائد في طرس . ومن قبل ذلك كان الزائد الشعلة المتقدة بينهم ، فلم يحسوا به ، ولم يقدروه حق قدره .. شأن جل النوابغ في الشرق العربي .. الآن جاء الاحساس ، وجاء التقدير ، ولكنه متأخر جداً فقد فات أوانه كتقدير يجب أن يحظى به الزائد ويلمسه وهو في عنفوان نشاطه في خدمة بلاده ليدفعه الى المزيد .

من هنا بدأ الناس يسألون ويتحرون .. عن الزائد فكانت الأجوبة تأتيهم بما يوهن من آمالهم ويحز في نفوسهم ، مما جعلهم يتهافتون على قصيدته تلك يشترونها .. يستنسخونها يستظهرونها . فكيف بالله وصلت الينا نحن طلبة الخوامس في مدارس البحرين الابتدائية آنذاك ، الا بإحدى هذه الطرق الثلاث .

كأن ذلك اليوم من أوائل عام ١٩٤٥ ماثلاً مجسماً أمامي الآن . كنت وأنا خلف درجي العتيق استنسخ ما مجموعه عشر نسخ من القصيدة لصالح زملائي في الصف ، فكيف بغيري ممن نضجوا سناً وفكراً آنذاك .

كانت الحرب العالمية الثانية على وشك أن تضع أوزارها ، وكل الناس من شيب وشبان يتحلقون حول أجهزة المذياع على قلتها ، حتى وصل الحال الى أنه قد لا يكون في الحي الواحد .. غير جهاز واحد أو قد لا يكون .

واني لأتذكر الآن جيداً ذلك اليوم الذي رأيتهم بأم

رأسي فيه وهم في محلتنا بالمحرق حول جهاز المذياع الوحيد يترقبون اذاعة لندن بفارغ الصبر ، ليستمعوا منها الى قراءة ثانية لقصيدة (الحنين الى الوطن) ، مع انهم سمعوها مرتين من اذاعة البحرين .

كان حزنهم مضاعفاً كما عبروا به لبعضهم البعض ، فهزيمة المانيا عندهم تعني الشيء الكثير من الخسارة .. فقد كانوا يشايعونها لحاجة في نفس يعقوب لم تُقضَ ، ولن تقضى لأمد طويل .

ثم جاءت قصيدة الزائد في رثاء نفسه في وقتها ، وكأنها صلوات وتهاليل على أملهم الذي أوشك أن يدس في التراب .

نماذج أخرى
من شعر الزائد

نابغة البحرين

عهد ديلي

سلام على ايام عز تصرمت
سلام كليمٍ أنهكته مشاغله
سلام فتى اودى به الهم والأسى
ينوح على مغنى تداعت هياكله
على وطنى يسرى السقام بجسمه
اواخره دلت عليه اوائله
خليلى انى لا ارى غير خاذل
وآخر تهوى فى السياج معاوله
الا يانفوسا اوهن الوهم عزمها
اما سيدا فيكم ترجى نوائله
اما من فتى فيكم يضىء ظلامنا
وان وقع الخطب العظيم نسائله
اما من همام للمعالى يسوقنا
اما من كريم ليت شعرى نسائله
فما بالنا لا رأس فينا يديرنا
هذا مقام المجد صفر محافله
وهل من خطيب يسمع القوم صيحة
ليصعق قدما بالمساوى يساجله
وهل بعد هذا الداء يرجى سلامة
فيزهو لنا غصن وتشدو بلابله

وتورق عيدان يلن من الجـوى
ويخضر بعد اليبس فى الزهر ذابله
فوا اسفى كم نشرب الضيم علقماً
وللضـد كأس صـافيات منـاهله
تجــبر فى اوطــاننـا متغــطرس
فأرغم (عيسى) عنوة لا يقـابله
فـحقـق دعــواه وارغم انـفنـا
وعمت رزايـاه ومـدت حبـائله
(بريطانيا) هل فى العدالة ماجرى
ايحــرق مقتـول ويكــرم قــاتله
تولين امر الا من اعدى عدونا
ونسـأل عنه ليس قـالـة كـافله
اتُلقي إمرأ من فوق قمة شاهق
وتغضب ان رضت عليه انامله
اترضى اذا وفيت لندن ان ترى
بوليسا من الالمان تغدو حجافله
اذا فاعذرونا ان شكونا وان سرى
لاوطناننا حب تضوع خمائله
متى كانت البحرين بعض بلادكم
فيعـزل ملك لا تعـد فضـائله
على رسلكم ارهقتم الشيخ فارحموا
فقد دك طود العز وانهار ساحله

اعدتم لنا عهد (التتار) منظما
صواعقه تهوى وتدوى زلازله
وهل بعد هذا تدعين تمدنا
لك الله عذرا لين ممن تنازله
قصارى الذى نستطيع دمعا نهله
ومسح خدودٍ احرقتها سوائله

تعتبر قصيدة (عهد ديلى) جزءاً من البوح الشعرى الذى كان الزائد يعبر به عن بعض خلجات نفسه تجاه ممارسات الميجر كى . سى . ديلى الذى ارسلته بريطانيا عام ١٩٢١ الى البحرين ليكون معتمدا لها .. فتدخل فى شؤون البحرين الداخلية . وسيطر على مقدرات البلاد والعباد . واستمر فى ذلك حتى اواخر اغسطس من عام ١٩٢٦ .. ولم تخرجه دولته من البحرين الا بعد محاولة اغتياله من قبل الشهيد الشهير اسماعيل البلوشى[1] .

اما الميجر ديلى نفسه فقد كان قبل مجيئه الى البحرين يعمل ضابطا عسكريا فى العراق .. وقد عرف آنذاك بدسائسه واثاراته بين قبائل العراق ، فهو الذى اثار فتنة الديوانية والسليمانية عام ١٩٢٠ .

وقصيدة (عهد ديلى) كلها تعبير شعرى سياسى كغالب تعابير الزائد فى جل قصائده ، وعلى راسها

(٢) راجع كتاب القاضى قاسم بن مهزع ط٢/١٩٨٦ ص١٨٤

مطولاته الشعرية الاربع (الحقيقة المرة) و(من للقضية ٠٠؟) و(وقل للبغاة) و(عصر المضحكات) وكلها ذات مناخ شعرى واحد يبلور شعور المواطن المثقف فى البحرين ٠٠ اوائل عشرينات هذا القرن ٠

ان ما عبر به الزائد فى مطولاته الشعرية ، ذات الحس الوطنى المستشرى هو نفسه ماكان يعبر عنه بزخم فى جل قصائد ديوانه الصغير المخطوط ٠٠ وفى كل كتاباته النثرية ايضا وخاصة فى رسائله الخاصة الى اصدقائه الذين يأتى من بينهم الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة فى الدرجة الاولى ٠

وبما انه ليس فى نياتنا تناول قصيدة (عهد ديلى) بالدرس والتحليل لضيق مجال الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، الا اننا نرى انه من الممكن ضم مطولات الزائد الشعرية - ومن بينهم قصيدته (عهد ديلى) - الى رسائل الزائد الخاصة الى اصدقائه ، او بعض تلامذته لاستخدام الجميع من قبل اى باحث يهدف الى استجلاء فكر الزائد السياسى الذى لابد وان يحتاج - من هذا الباحث - الى قراءة مرحلية متأنية ٠

في عام ١٩٤٤ اشترك الشاعر فى مسابقة لندن بهذه القصيدة وهى بعنوان (نهضة الشباب) ونشرت بمجلة «المستمع العربى» ..

(نهضة الشباب)

فاز من لبى نداء المصلحين
ثقفوا الشعب بنات وبنين
انهم عدة مستقبلكم
وهم حصن لدى الجلى حصين
واذا ما جار يوما معتد
فهم الاسد حماة للعرين
لا يهابون الردى أنى اتى
يكرعون الموت كالماء المعين
ويذيقون العدى مر الضنى
اى شيء جابهوا لا يأبهون
هذبتهم امهات ثقفت
بصنوف العلم فى دنيا ودين
خير من تلقى شباب همهم
خدمة الاوطان بين العاملين
بنشاط لا يدانيه الونى
طيلة العمر وعود لا يلين

شردوا الاحقـاد عن اوساطهم
احبطوا بالحزم كيد المفسدين
شـيدوا آثارهـم خـالـدة
واقـاموهـا على ركن ركـين
اى خـير فى شباب خـامـل
ركبوا الغى وعـاشـوا جاهلين
وئـدت احلامهم فى مهـدها
فغـدوا بين الـبرايا عـاطلين
ان احـرى امـة ان تعـتـلى
امـة فيهـا شبـاب عـاملون
بـالـريـاضـات نمت اجسـامهم
وبنـور العلم اضحـوا مبصرين
يتفـانـون الى كـسب العـلى
والى المجـد بجـد اجمـعين
دأبهـم ان يسعـدوا اوطـانهم
بـاتحـاد ووئـام سـائريـن
فـهـم يـبنـون مـن ايمـانهم
صرح مجد ثابت الاس متين
كـرعـوا من منهـل العلم ولم
يـرتضوا العيش رغيدا خاملين
لا يبـالـون اذا الـداعى دعـا
انجوا ام اصبحوا فى الهـالكين

لم يقضوها سدى اعمارهم
في سخافات عليها يعكفون
جنبوا انفسهم لذاتها
واجابوا داعى الحق المبين
فهم فى البحر من اسماكه
وعلى الجو صقورا طائرين
وهم للسير آساد الشرى
روضوا الصعب بعزم لايلين
كم لنا فى ايدن في مثل
وهوما جاوز بعد الاربعين
وارتقى بيت الذرى فى امة
بأسها يشدى على مر السنين
واين زيد كان اسنى مثلا
يافعا قاد جيوش المسلمين
وبأمريكا وفى انجلترى
وبروسيا وفى الصين الحصين
فتية قد بذلوا انفسهم
فى سبيل الوطن الغالى الثمين
انما العيش جهاد وعنا
ليس عيش اللاعبين المترفين
من شباب تبعوا أهواءهم
بين تهيات ولهو راتعين

قم فقد ٠٠لاح

بعث بهذه القصيدة لصديقه الاديب الكويتى المعروف المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب مجلة (الكويت) ردا على قصيدة منه بنفس القافيه ٠

قم فقد لاح بريق الامل
مشرقا ينشر نورا من علي
وتدلت للعلى اسبابه
بعد يأس جذها كالمنجل
قم وجدد مكتبا تملى به
وحى قلب كالزمان الاول
وابعث الشعر شعورا طافحا
يهزز النفس كهز الامل
مرحبا بالادب الجم الذى
فاض منه منهل عن منهل
مرحبا بالادب الجم الذى
تخصب النفس به فى الممحل
بأديب عبقرى اروع
بحجاه كل شك ينجلى
بالذى يبعث لى من نثره
ذوب اكسير فيشفى عللى

وبـنــظم هــو فى تـفـصـيـلـه
سبـل النـور ونــور السبــل
لـك منى شكـر صب مـولـع
بـالمـعـالى فى بهـاء المـطلل
لـك منى شكـر مـوتـور يـرى
فــيـك ذخـر لـلمـلم الجـلل
كـيف لا آمـل لـلجـلى فتى
رغــم مــاصــادفـه لم يحـفـل
رغم جهـل وغـشـاء وهـوى
لم يحـاذر لم يـدع لم يهمـل
يـاخـلـيـلى دعــانى والاسى
ففؤادى بـالجـوى فى مـرجـل
واتـركـا لى مـدمعى اطفى بـه
واهجـا بين الحشـا والكلكـل
لهف نفسى لهف ايـام مضت
يـوم كنـا هـامـة فى الـدول
يـوم كنـا والعـلى فى منـزل
والـرزايـا والعـدا فى منـزل
وغـدونـا فى فـخـار رائـع
لم يكن يكسف لـولم نجهـل
وغـدونـا فى صعـود دائـم
لم يكن يـعـزب لـولم نهمـل

هــو عــدل هــو طبق لــلذى
سنــه الخــالق مــنــذ الازل
يــالقــومى من فنــاء عــاجــل
من عـدا (انجلترى) المستفحـل
مــزقتنــا ارهــقتنــا واغــتــدت
مثل داء قد سرى فى العضل
لا نــطقنــا لا عقلنــا لا ولا
قــام منــا قــائــم فى محــفــل
ان تــركنــا شعبنــا فى جــهله
ونــعــمنــا بــالغــنى فى مــعــزل
أورأيــنــا قــومــنــا فى ذلــة
فــجبنــا خشيــة من مــعــقــل
ايهــذا الشهم مــزقت الحــشــا
بــشــكــاة مــن جــهــول ارذل
قــل سـلامــا ثم اعــرض عنهم
جــهلهــم راميهــم فى المقــتــل
لاتحــاذر مــن خــيــال زائــل
انهم من عمــرهــم فى الارذل
ان ادوار الــورى دائــرة
فى ارتقــاء رغم قطب او ولى

جـــــواب

بعث اليه صاحب السمو الشاعر الامير الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة بقصيدة يذكره فيها بالماضى فرد عليه شاعرنا بهذه القصيدة الآتية ..

هزار الحمى اضرمت قلبا مولعا
وهيجت من عينى بشدوك ادمعا
حنانيك ان النوح يشجى ذوى الهوى
اذا الدهر اشجى بالبعاد وروعا
تذكرت ايام الوصال فطاف بى
من الشوق مادك الفؤاد وروعا
شدت سحرا غريدة الأيك فانتشى
اخو أرق لم يعرف الليل مضجعا
يحـرك اوتـار القلوب ادكـاره
ليـالى كنـا والحبيب بهـا معـا
ابا احمد أشجيت بالشعر والهـا
فـذكـره عهـداً جميلا مـودعـا
يلبيـك لم يسألـك عما تـريـده
تجـده دواما من بنـانك اطـوعا
عرضت له عصرا يـراه ادكاره
اريـج ليـاليـه الملاح تضـوعـا
كلانا مشوق يعصر الوجد قلبه
بذكراه حتى لم يدع فيه موضعا

ابـا احمـد ارفق فشعـرك رائـع
هو السحر إما مر بالقلب أولعا
رجـونا نجـاريـه بعـذب فنـونـه
وهيهـات ان نسمو اليـه ونتبعا
سبيلك فيها يرتضى النفس لا حب
ولا يخفق العانى المجد اذا سعى
وكيف يلاحى النفس فى نزواتها
فؤاد اذا مـاهم بـالامـر اجمعـا
فؤاد همـام لم يهن قط عـزمـه
سريـع اذا لبى وفىّ اذا دعـا
سليل بناة المجد من آل تغلب
جـدودك من بزوا نـزارا وتبعا

افراح الشعب

قيلت عند عودة صاحب العظمة المغفور له سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة من بيت الله الحرام فى ٣٠ ذى الحجة ١٣٥٦هـ ـ ٢ مارس ١٩٣٨ ..

قدوم عليه اليمن والبركات
وحج زهت فخرا به عرفات
ونور اضاء الخافقين وطلعة
هى المجد والاخلاق والحسنات
وشعب تلا تهليله وهتافه
جحافله ضاقت به (العرضات)
يرحب بالعود السعيد وباللقا
تباركت الروحات والغدوات
امض رعاياك الفراق كآبة
وعدت فعاد البشر والبسمات

ترحيب

رفعت الى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بمناسبة زيارته للبحرين عصر الثلاثاء يوم ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٨ الموافق ٢ مايو سنة ١٩٣٩ ..

تاهت بمقدمك البحرين اعجابا
يابن الميامين انسابا واحسابا
اتتك تزخر مثل السيل مندفعا
تشدو وتهتف اجلالا وترحابا
جاءت تعبر عن تقديرها ملكا
رعى العروبة اوطانا وآدابا
أغر .. اقصى مناه مجد امته
ماحاد عن نصرها يوما ولا هابا
عبدالعزيز الذى مد الرجاء به
الى الامانى والآمال اسبابا

تحيـــة

رفعت الى حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز عندما تشرفت البحرين بقدومه فى ١٢ شوال ١٣٥٦ وكان يومئذ وليا لعهد المملكة العربية السعودية ٠

اطل على البحرين كالبدر يشرق
عظيم اذا جارى الاعاظم يسبق
تحييـك افـواج الجماهـير غبـطة
تكـبر احيـانـا وحينـا تصفق
تحييك يابن الخائف الله وحده
بـه والـيـه مـايخط ويـنـطق
اذا سار ٠٠ سار الوائليون خلفه
وان قال ٠٠ قالوا ما يقول وصدقوا
تنـادبه آلام العـروبـة نجـدة
وآمـالهـا تـدعـو فنعم المحقق

نماذج من نثره
عبر صفحات جريدة البحرين

سلاح النار وسلاح القلم[1] :

في خزانة كل دولة من الدول سلاحان (نار وقلم) والسؤال الذي يعني كل دولة هو أي السلاحين تختار في المعضلات الدولية ، ولكن لماذا يقع الاختيار في الغالب على السلاح الاول ؟ وفيَّ الجواب عن ذلك نقول ان اتقان استعمال هذا السلاح اسهل من اتقان الثاني وهو القلم ففي طاقة كثيرين من الناس أن يحسنوا الرماية بالبندقية احساناً ينذر معه أن تطيش رصاصة من رصاصهم .

ثم ان استعمال السلاح الاول سريع الفعل في الظاهر وان لم يكن كذلك في الواقع اما سلاح القلم فيحتاج الى حذق وبراعة وحصافة ولباقة واجتماع هذه الصفات في رجل واحد نادر فمع كثرة عدد الذين حفظ التاريخ اسماؤهم[2] من القواد العسكريين والابطال المجربين والذين اتقنوا الضرب بالسيف او الرمح او النبل او السلاح الناري لا يقابل هؤلاء سوى عدد قليل من العباقرة السياسيين واقطاب الدول الذين كان لهم شأن يذكر في تنظيم الحكومات وبناء الممالك واعلاء شأن الاقوام .

---

(١) جريدة البحرين العدد ٢٩/ ١٩٤٠ .

(٢) كذا في النص .

وقد يعلل هذا الاسراع الى التوسل بالسلاح دون القلم الى وراثة ما كان شائعاً في عصور الجاهلية في جميع البلدان من تحكيم القوة وشن الاغارات فكان المقام الارفع للابطال والبطولة والشجاعة والبسالة والاقدام واتقان استعمال السيف وسائر أدوات القتال ولم يخل عصر من العصور من التسلح بالقلم ولكن بقلة لا تطابق ما نتبجح به عن حضارة البشر

غير أن الواقع هو ان التقدم الصحيح في طريق الحضارة تقدم بطيء جداً ومن الخطأ الشائع أن يقاس مدى هذا التقدم بالنجاح المادي الذي أتيح للناس فمعظم الباحثين يتخذ قياسه مما اهتدى الناس إليه في هذا العصر من مخترعات عجيبة ومكتشفات مدهشة كالطيران واللاسلكي وسائر هذه الاشياء الجديدة التي تلهو بها الحضارة عن رؤية الحقائق الأزلية التي هي في الاصل اركان الحضارة الصحيحة .

والناس يسمعون أقطاب الدول والشعوب يخطبون فيعتزون بقوة السلاح والجند والطائرات ونحوها وقلما يعتزون بالاكتشافات العلمية والطبية والمخترعات الصناعية والاصلاحات الاجتماعية ومع ذلك حفظ التاريخ أسماء كبار الساسة الى جنب كبار القواد العسكريين ومنح التاريخ العربي من المقام لمثل معاوية ما لم يمنحه لعنترة بن شداد وخالد ابن الوليد وحفظ اسماء مترنخ وناليران وبيت الى جنب اسماء نبوليون اولنتون ونلسن ويلوخر ويبدو لنا انه كلما

تقدمت الامم في الحضارة والتربية الاجتماعية كلما قدرت سلاح القلم وكرهت سلاح النار ، الا تنظر الى بريطانيا كيف حملت طائراتها حينما غزت المانيا بسلاح القلم قبل ان تحملها سلاح النار .

اما تأثير سلاح القلم فعظيم كبير خصوصاً اذا ادير بحذاقة وذكاء وخبرة ، كم من مرة قرأت في الصحف أو سمعت من اجهزة الراديو ان زلزالاً حدث في الصين مثلاً فذهب ضحيته كذا الفاً وان قتالاً نشب في بولونيا او اسبانيا فقتل وجرح كذا من الالوف او عشرات الالوف فلم تدمع عينك او يعلو نشيجك ولكن خذ رواية مما كتب بسحر البيان فانك لا تكاد تصل إلى تفاصيل نكبة الحب وما اليه والمصائب التي انصبت على بطل او ابطال الرواية حتى تتهاطل دموعك وتحمر عيناك مع انك تعلم في قرارة نفسك ان القصة وهمية والحوادث خيالية وان الذي اصاب البطل او الابطال هو دون الموت وهم شخص واحد او بضعة اشخاص لا عشرات الالوف او مآتها لكنه سحر البيان وتأثير القلم .

الحرب الظاهرة والحرب الخفية[1] :

يعني السواد الأعظم من الناس بتتبع مظاهر الصراع

(١) العدد ٦٥/١٩٤٠ من جريدة البحرين .

الدائر بين الدول المتحاربة ورائدهم في هذا التتبع القوة المادية بمجاليها المعروفة من عدد السكان وطبائعهم وتاريخهم وتقاليدهم وعدد الجيوش وسلاحها واسراب الطائرات والاساطيل البحرية وموارد الدولة وثروتها الى آخر هذه الامور .

غير ان هناك عناصر اخرى قد تكون في نهاية الامر اشد فعلاً من القوى المادية .

ومن هذه العناصر الايمان القومي هذا الايمان الذي جعل الفنلنديين القليلي العدد يقاتلون الروسيين وهم يفوقونهم خمسين ضعفاً وجعل النروجيين والبلجيكيين يأبون الاستسلام لألمانيا .

وبهذا الايمان نفسه عاشت دول صغيرة الى جنب دول عظيمة وقوية وصار في حكم المقرر والمسلم به ان لا يحكم شعب اوربي شعباً اوربياً . وآخر ما حدث من هذا القبيل المناداة باستقلال دولة ارلندا الحرة لان اهلها من جنس السلت وهو غير جنس الانجلو سكسون سكان بريطانيا اي انجلترا او اسكتلندا وبعد نزاع عنيف دام نحو قرنين سلم البريطانيون للارلنديين الكاثوليك بهذا الحق بل توسعوا فيه فاعترفوا به لجميع بلدان الدمنيون فصارت اقطاراً مستقلة لكل منها حكومتها وبرلمانها برئاسة الملك البريطاني ولهذه

البلدان حق الانفصال عن الامبراطورية اذا شاءت بحكم القانون المعروف بقانون وستمنستر وما يستوجب من اعباء وعناء تضطلع بها الامم المستقلة عن طيب خاطر فلا تضن بدم ولا تشح بمال ولا توفر مجهوداً ولا تبخل بنشاط.

غير ان هناك من النواميس العمرانية ما هو اشد فعلاً من هذه النواميس وابعد مدى منها هذه النواميس الاخرى هي التي تسير الحضارة الانسانية في الطريق الذي سلكته منذ القدم

ولاجل بيان المقصود من هذا القول المجمل نضرب الامثال بما آلت اليه حروب اسكندر ويوليوس قيصر وجنكيز خان وتيمورلنك وهولاكو وشارلمان ونبوليون وغيرهم فقد استطاع بعض هؤلاء القواد والملوك ان يدمروا صروح الحضارة ويغرقوا العالم في لجج من الدم ويغطوه بالانقاض والرماد.

لقد اعاد بعض من ذكرنا الحضارة القهقري مسافات شاسعة فأجلسوا القوة البهيمة على عرش المدنية والعدل وجعلوا المدن العامرة اطلالاً بالية وخربوا دور الكتب وهدموا المدارس والمعابد وأطفأوا مصابيح النور والهدى.

ولكن الحضارة كانت ترفع رأسها من بين الانقاض فلا ينقضي زمان حتى تسترد قوتها.

هذه نزعة بشرية متصلة بطبيعة الانسان وليس في وسع

بشر ان يقضي عليها وجل ما حدث هو صدمات وقتية تطول او تقصر ولكنها لا تدوم .

فالامم التي تعتز بالقوة وتتوسل بها لبسط سيادتها على الشعوب والاستبداد بها يجب ان لا تغفل شهادة التاريخ وهي شهادة صريحة ناطقة بحقائق تخللت عصور الوجود وظهرت كما يتخلل الخيط الاحمر الثوب الابيض .

وقد يقال ان هذه الحقيقة قد لا تكفي احياناً لرد الامم المعتدية الى صوابها ووضع الامور في نصابها بالسرعة المرغوب فيها وهذا صحيح ولكن صحة هذا الذي قلناه في ما تقدم تشجع انصار الحضارة على المضي في الدفاع عنها علماً منهم بان النصر لهم مهما طال زمان الصراع .

اجل لقد اشترى البشر حضارتهم بثمن غال جداً كان في جملته دمهم وارواحهم وعذابهم واضطهادهم وجوعهم وعطشهم وسجنهم وسيضطرون الى مثل هذا او بعضه الآن ولكن مهما حدث ومهما طال زمان حدوثه فالعاقبة معروفة.

واذا كان الشرف الرفيع لا يسلم من الاذى الا بسفك الدم على جوانبه كما قال الشاعر العربي فقد قضت العناية بأن لا تسلم الحضارة البشرية كذلك الا بسفك الدم .

اما النصر النهائي فللحضارة وفي مقدمة أركانها عدم استبداد شعب بشعب .

واذا اسفرت هذه الحرب عما نتوقعه من استرداد الشعوب الاوربية التي قهرت لاستقلالها فانها ستكون ضربة على الاستعمار فتدني اجله وتقرب نهايته لان الحضارة الصحيحة لا تفرق بين شعب وشعب ولا تميز بين جنس وجنس ولا تعرف فضل لون على لون .

موقف الاسلام من الديمقراطية والدكتاتورية[1] :

ان الحكم الديموقراطي يقدس الحرية الشخصية والمساواة ويضمن العدالة ويحترم الديانات . وان الحكم الاستبدادي — على العكس من ذلك — يلغي الحرية الشخصية ويحل المحاباة محل المساواة ويميل ميزان العدالة ويضطهد الديانات .

فلننظر نظرة تأمل في ديننا الحنيف لنرى الى اية وجهة من هاتين الجهتين يميل . يعظم المؤرخون من شأن الثورة الفرنسية لأنها منحت فرنسا وقررت للعالم اجمع دستوراً جديداً في الحياة الاجتماعية والسياسية ، هو المبادىء التي اعلنتها الثورة الفرنسية منذ قرن وقليل ، اي الحرية و الاخاء والمساواة . ولست اريد ان اقلل من شأن تلك الثورة او ان امس هذه المبادىء السامية بنقد ، ولكني اريد ان اقول في صراحة تامة ان هذه المبادىء التي هلل لها العالم هي المبادىء الاسلامية التي دعا اليها الاسلام منذ اربعة عشر

---

(١) جريدة البحرين العدد ٥٧ / ١٩٤٠ .

قرناً « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » بذلك جاء الاسلام قبل ان ينادي جان جاك روسو وغيره من المصلحين بأن الانسان ولد حراً ـ وبالاخاء نادى الاسلام حين يقول على لسان نبيه الكريم « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وحين يقول « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته » . وحين يقول « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وليس هذا مقصوراً على جماعة المسلمين في معاملاتهم بعضهم مع بعض بل لقد دعا الاسلام الى بسط راية الإخاء على الناس جميعاً مسلمين او غير مسلمين على شرط الا يعتدوا على المسلمين . « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم » بل ان القرآن يسمى الخصمين أخوين ويدعوهما الى التصافح والتسامح ترغيباً في توثيق عرى الاخاء ونزعاً لأسباب الشحناء » . فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان .

وبالمساواة امر الاسلام . فالله تعالى يقول في حديث قدسي . الجنة لمن أطاعني ولو كان عبداً حبشياً . والنار لمن عصاني ولو كان شريفاً قريشاً . ويقول في كتابه العزيز « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ويقول رسوله الكريم

ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى » . ويقول كذلك « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم » .

وهذه هي خطبة الرسول الكريم عند مكة تنطق بالمساواة. واهم ما في الامر هنا ان الداعي الى هذه المساواة هو الفاتح المنتصر . « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب . يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولعل الحادث الآتي يدلنا دلالة قاطعة على ان الاسلام لم يدع الى المساواة فحسب بل حققها فعلاً فقد دخل على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فأصابته من هيبة الرسول رعدة . فقال له الرسول « هون عليك فاني لست بملك إنما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

ولننتقل بكم الآن الى ما يراه الاسلام في الحكم الاستبدادي . فالقرآن الكريم صريح في الدعوة الى الشورى . فالله تعالى يأمر رسوله الكريم باستشارة اصحابه قبل البت في الامور » . وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » . حتى في أمر الدعوة الى الدين يأمر الله رسوله أن يأخذ الناس بالرفق واللين . لا ان يكون جباراً مستبداً . » فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم

في الامر » . ثم قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتي هي احسن » .

ويقرن الله تعالى الحكم الشوري بأهم الصفات الدينية التي يدعو اليها الاسلام فيقول « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش . واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة . وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

ونظرة واحدة في التاريخ الاسلامي ترينا كيف اخذ خيرة الحكام المسلمين بمبدأ الشورى . فهذا عمر بن الخطاب كان لا يبرم امراً قبل ان يجمع المسلمين يستشيرهم ويقول : لا خير في امر يبرم من غير شورى » . وكان يقول : « يحق على المسلمين ان يكون امرهم شورى بينهم . بين ذوي الرأي منهم . فالناس تبع لمن قام بهذا الامر – يعني الخلافة – ما اجتمعوا عليه ورضوا به) .

والاسلام كذلك صريح في العدل والانصاف . بل يزيد عليهما الاحسان والسماحة . إن الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذي القربى . وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي » .

ويأمر الاسلام بطاعة اولي الامر من الحكام . ولكنه يحترس في ذلك احتراساً بليغاً . فيلغي الطاعة اذا كان هؤلاء الحكام جبابرة مستبدين . فالقرآن الكريم يقول : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم »

والحديث الشريف يفسر لنا مدى هذه الطاعة اذ يقول : « السمع والطاعة . ما لم يؤمر بمعصية . فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ولهذا دعا الاسلام الشعب الى تقويم حكامه اذا مالوا عن الحق وطغوا واستبدوا . قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرضى لكم ثلاثاً . يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وان تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا . وان تناصحوا من ولاه عليكم .. » . وبهذا المبدأ الديموقراطي في المناصحة بين الحاكم والمحكوم اخذ الخلفاء المسلمين . فهذا ابو بكر الصديق يعلن في كل خطبة خطبها عقب انتخابه للخلافة : « ايها الناس انما انا متبع ولست بمبتدع فاذا رايتموني على حق فاتبعوني واذا رأيتموني على باطل فردوني اطيعوني ما اطعت الله فيكم . فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .

رسالة محمد هي مكافحة الظلم والجبروت[1] :

.. اسرع رسول الله الخطى صوب « الصفا » لقد امره ربه بالجهر بدعوته بعد ان ظل ثلاث سنين يدعو الى ربه سراً خوف البطش والاعتداء .

اجل لقد هتف به الوحي بأن يصدع بما يؤمر وبأن يعرض عن المشركين وان لا يخشى في الله لومة لائم وهل

(١) العدد ٥٥ من جريدة البحرين ١٩٤٠ .

يخشى محمد في دعوته احداً . انه رسول الله ورسل الله تطهروا عن الخوف . وترفعوا عن الاستكانة .

ولهذا يسرع محمد خطاه لقد اعتزم امراً ، ولتفعل قريش بعد ذلك ما تشاء وأنه سيواجه قومه برسالته وسيحذرهم وينذرهم . هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

صعد الرسول على الصفا وهو الجبل المشرف على مكة واخذ ينادي قريشاً بأسمائها قبيلة قبيلة فابتدر الناس يتوافدون اليه من كل حدب وصوب فلما تكامل الجمع او اوشك ، هتف بهم محمد . ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي . قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً . فقال : اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

واخذ يشرح دعوته ، ولكن ابو لهب ضحك ساخراً وصرخ (تباً لك ألهذا جمعتنا ؟) وامتدت كلمات الاستهزاء من لسان الى لسان تنال من محمد وتسخر من دعوته ! ؟

ذلك هو أسلوب قريش البديع في مواجهة الدعوة الجديدة التي تدعو الى تحرير الاذهان والعقول دعوتها الى تحرير المادة والجسد .

دعوة الحرية والمساواة الكاملة فلا لون ولا جنس ولا سادة من أبناء السماء وآخرين من رغام الارض .

عقيدة التوحيد لله توحيداً خالصاً لا يشرك به الانسان بشراً لقوته او شهوة لسطوتها .

وقريش كانت المثل الاعلى للارستقراطية العربية فهم سادة الحرم وملوك التجارة وارباب السطوة الدينية والمادية في البلاد العربية . فضلاً عن كبرياء متوارث وجبروت مكتسب .

وفي قريش نزعة الى التفاخر ، التباهي والادلال بالانساب وتطلع الى القيادة والسيادة .

وفوق هذا ففي قريش عصبية عمياء لاصنامها وقدسيه كبرى للمبادىء والنظم الجاهلية الهابطة من الآباء والجدود .

وقد رأت قريش المتعالية في دعوة محمد الجديدة تهديد لسيادتها وتهديداً لارستقراطيتها .

فقد جاء القرآن بقوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

فكبر على قريش ان يتساووا بسواد الناس وعز عليهم ما الفوا من نعرة الجاهلية وعنجهية الكبرياء .

وهذا الترفع من قريش يتخذ في تاريخ الدعوة الاسلامية مكاناً خطيراً حتى لنرى رجالاً من اولى الفضل تصدر منهم كلمات تذهل الفكر الحر ، فها هو ابو طالب عم النبي

وناصره المدافع عنه يقول لمحمد رداً على دعوته للاسلام :
« يا ابن اخي ابعد ان بلغت من الكبر عتياً وتلك مكانتي من قريش تعلوني لسنى في الصلاة . لا ما كان هذا ليحدث ابداً ! ! ؟ »

وها هي قريش تتخذ هذا التفكير الغريب فتطلب الى النبي ان يطرد الفقراء والضعفاء من مجلسه وهم يستمعون لدعوته ويؤمنون به . ويأبى محمد عليهم طلبهم لأن فيه منافاة لروح الدمقراطية والمساواة . فيقول (ما أنا بطارد المؤمنين) فتلجأ قريش الى التلاعب فيقول قائلهم . اجعل لنا يوماً وللفقراء يوماً فيأبى الرسول لان الناس سواسية ! ؟

ولهذا يرى المتأمل في القرآن الكريم عناية كبرى بمهاجمة قريش في شركها ووثنيتها والحملة على نظامها الاجتماعي الذي فرقهم سادة وعبيداً . وعلى طرقهم الملتوية في المعاملات من تطفيف الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل واستنزاف ثرواتهم بالتحايل والمكر .

ولهذا يخطىء من يظن ان قريشاً قاومت محمد لدعوته ضد الاصنام فحسب فانما اغلظت له وقست دفاعاً من تجارتها ومكانها .

ويخطىء ايضاً من يتخيل ان الدعوة الاسلامية كانت ثورة على الارباب والاصنام ودعوة للتوحيد والايمان ويتجه

ببحثه هذا الى هذا الهدف يوم يتحدث عن تاريخ الاسلام في فجره .

فالحقيقة ان الثورة الاسلامية الكبرى انما كانت في تشريعه ونظمه الاجتماعية وطرائقه المالية وآدابه الخلقية .

والحقيقة ايضاً ان قريشاً او ان شئت فالكثرة العاقلة منها قد استبانت وجه الصواب من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما قعد بها عن اتباعه العناد والحرص على المكانة والجاه .

وهذا العناد يتجلى واضحاً في تاريخ الدعوة الاولى فهاهم سادة مكة يقولون لمحمد « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلاً او يكون لك بيت من زخرف او ترقى الى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » .

فهل هذه كلمات متشكك ؟ ام هي كلمات عناد ومكابرة ؟ وتعنت ومطالب للعجز والتهكم .

بل اننا لنرى ابن عمته يتبعه بعد هذا الطلب الساخر قائلاً « يا محمد لو رأيتك تصعد الى السماء ثم تهبط منها وبصحبتك اربعة من الملائكة يشهدون بأنك رسول الله ما صدقت ! ! ؟

واذن فقريش لم تكن تبغي الهداية وانما هي فئة باغية عاتية ظالمة تملكتها نزوات الكبرياء والجهالة وشهوات الاستبداد والاستعباد .

وبتلك الروح الطاغية واجهت محمداً فانهالت عليه اذى واعتداء حتى ليثب به عقبة بن معيط فيخنقه بطرف ثوبه حتى جحظت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم يتعقبه السفهاء بالاذى والهوان فيحثون التراب على رأسه في مصلاه ويطرحون الفرث والدم في طعامه ويتسلقون عليه بابه في مأمنه .

ويمتد الطغيان الى صحابته فيضرب الصديق في حرم مكة بنعلين مخصوفين حتى يختلط وجهه ببعضه ويقتل جمهرة من الضعفاء صبراً واحتساباً .

وتغالي قريش في عدوانها وجبروتها فيعمد ابو سفيان وهو من سادات مكة الى جسد حمزة وهو قتيل فينهال على رأسه طعناً وضرباً ويأمر بالتمثيل والتشهير بقتلى المسلمين .

واجه محمد تلك العاصفة من الجبروت والعدوان مكافحاً وناضلها نضالاً يشهد بالصبر والرحمة كما يشهد بقوة العقيدة وجلالها .

وجاهد اصحاب الرسول معه هذا الطغيان جهاداً خالداً يرشد الى ان النفس اذا اتجهت الى ربها وآمنت بفكرتها فلا

شيء يقف في سبيلها من عذاب وآلام .

وما اجدر هذا الكفاح بأن يغدو أنشودة عليا يترنم بها اصحاب العقائد الحرة يوم تعصف بهم ريح البغي او تثور بهم نزوات البطش والحقد والكبرياء .

وتوج كفاح محمد واصحابه بالهجرة كما توج جبروت قريش وعدوانها بتآمرها على قتل الرسول ليلة الهجرة .

وما كاد الرسول يلتقي بأصحابه في المدينة حتى آخى بين المهاجرين والانصار أخوة كانت تمهيداً للجهاد المسلح القادم ضد جبروت قريش وبغيها .

ويوم ان تلألأ السيف في ايد المسلمين وزحفت مواكبهم للحرب شرع محمد للانسانية ان الطغيان لا شيء يردعه الا الحسام .

وكان في حد الحسام القول الفصل

ومن لم يكن سبعاً ضارياً ترامت سباع الى أكله

وصدق الله وعده . ونصر عبده وقامت دولة الاسلام .

شيء من نثره الخاص :

فيما سبق .. وبين مضامين هذا الكتاب طالعت أيها القارىء شيئاً كثيراً من نثر الزائد ، ولكنا اصطفينا لك اكثر ذلك النثر من الأعمدة الطوال لجريدة البحرين لجودته ، فهو ذلك النثر الذي أراد الزائد أن يقرأه الناس .. فحاول أن يخرج لهم أطيب ما عنده .

أما هنا فنحن بصدد اطلاعك أيها القارىء على شيء طريف من نثر الزائد في نموذج انتقيناه من يوميات مسلسلة بعث بها الزائد من لبنان إلى صهره وصديقه الشيخ محمد الخليفة [1] . وفيها يظهر لنا الزائد على سجيته في مخاطبة صديقه الشيخ .

وفيها ايضاً يتضح لنا ما للزائد من صلات فكرية بالمحافل الأدبية في لبنان ، وهذا ما يفسر دعوته إلى الحفلة الكبرى التي أقامتها الكلية العلمية في بيروت ، كما ذكرهو في المسلسل.

مع السيد عثمان في المقهى :

قال الزائد يخاطب صديقه اللبناني السيد عثمان [2] : —

---

(١) راجع فصل مقالاته الفكرية (مع الشيخ محمد) .

(٢) لم يذكر الزائد الاسم الكامل لزميله السيد عثمان ، ولكن يظهر من سياق النص أن السيد عثمان هذا إما أن يكون من أدباء لبنان .. أو أنه أستاذ بالكلية العلمية يومذاك ..

أهلاً وسهلاً يا سيد عثمان تأخرت الآن الساعة (١٠) لا ريب انك تؤلف الخطبة طبعاً سوف نسمعها غداً مساء والمرأ بأصغريه كما قال الامام علي وقيمة كل الناس ما يحسنون —[1] هل أعرفك بهذا الصديق جنبي انظره يتدفق فصاحة وقد زاده (حليب الشام) اعجاباً بنفسه واعتداداً ببلاغته — انه كلمني من دون سابق معرفة أنه قد حاول أن يعزمني على ما معه كرماً ولطفاً. فلما أبيت! ولما أبيت قال بكل جرأته وكل ثقة بنظريته: لماذا تكونون متأخرين يا أهل العراق بينما العالم في تقدم؟! فقلت له كن مطمئن أن أهل العراق يفوقونكم في هذا التقدم ولكني أنا شاذ وحدي فلا يعجبني الا هذا الذي تسميه (ماء) (وللناس فيما يعشقون مذاهب). ولكم انتم الاثنان رأي ولي رأي — ولكن اسمع يا سيد عثمان — لقد كنا في جدال نحوي قبل أن تأتي — في اعراب (تبت يدا أبي لهب) ان هذا الصديق يقول أن حمالة الحطب منصوبة بفعل محذوف تقديره أعني حمالة الحطب — أما أنا فأرى أنه حال — قل يا حضرة الصديق هل ترضاه حكماً أم لا — أنه معلم العربية في الكلية العلمية — قال رضيت، ولكن الحكم يؤيد نظريته بحجة أن الحال يكون في الحال بينما أنها ستكون حمالة الحطب

(١) — كثيراً ما يرسم الزائد خطي يساوي فيما يكتب اذا اراد الانتهاء من جملة والانتقال الى أخرى جديدة .. ولا أعرف سبباً في ذلك.

يوم القيامة .

وانقطعت المناقشة على صوت (ليلى) وهي تغني قطعة من رواية احمد شوقي رحمه الله (مجنون ليلى) لا أتذكر الآن الأبيات وليس عندي نسخة من الرواية لأراجعها ، ولكني أتذكر بيتاً لن أنساه مدى الحياة .

ليلى ! ! نداءٌ بليلى رَنّ في أذني
حتى كان اسمها البشرى أو العيد

كم مرة رددت هذا البيت وكم مرة شعرت بقشعريرة كقشعريرة الملاريا ، وكم مرة كان معلم الكلية يصيح لطيف لطيف . وقد التفت لصاحبي النحوي فقلت أعرب (تبت) قال اسكت أنت جماد . قلت في نفسي لا ولكن أختبرك هل وصلت إلى مركز الجماد والا لسّا ! !

وبعد أن توارت بالحجاب[1] قلت لصاحبي الظريف أعرب لي البيتين اللذين قالهما المجنون حقيقة وضمنها المرحوم شوقي روايته .

بربك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاهـا
وهل رفت عليك قرون ليلى
رفيف الأقحوانة في شذاها

(١) يعني المغنية ليلى بعد أن اسدل ستار المسرح عليها .

فأعربهما كأحسن ما يكون ، ثم قال أبدعت قلت ان الذي أبدع هو المجنون . قال لقد ابدع في نظمهما وأبدع شوقي في تضمينهما وأبدعت أنت في ايرادهما في هذا الموقف . قلت : (مرسي) قال : قل شكراً فنحن عرب يا أختي !!

يا للمصيبة ان هذا الشاب تفوق علي من كل الوجوه !! وخرجت ليلى كما يخرج البدر التمام من تحت الغمام تغنينا

أعانقهـــا والنفس بعد مشوقـــة
اليها وهل بعد العناق تداني — الخ

وما زال صاحبنا يكرع بلا مبالاة وهو مأخوذ بحسن الصوت حتى — حتى داخلت أجفانه ستة .. ورأيته لا يعرف الآن أخرجت ليلى أم خرجت دعد — قلت له : اسمع يا أخي دعنا نتذاكر كما كنا فأنت تزعم أنها ، قال وما هي قلت (الخيامية) ألم تقل أنها لا تغير منك شيئاً — قال : نعم بدون أن يرفع طرفه (فعرفت كل شيء) قلت : أعرب (قام زيد) ورددتها عليه مرات . وبعد ذلك قال : وما لي ولعمر (ولم يقل زيد) قام أم جلس .

ولم تكن حالته تسمح بنصيحته فتركناه وانصرفنا —

في الكلية العلمية :

الساعة (٧,٣٠)[1] مساء الأحد في (الكلية العلمية) ما هذا الزحام وما هذه الضوضاء (ما علينا) هؤلاء أكابر الزعماء حاضرون فخري البارودي ونسيب البكري وغيرهما كثير من الأكابر ومن الصحافيين .

ابتدأت الرواية (سقوط الاندلس) قلت لنفسي وما سقوط الاندلس ! ! أليس في كل قطر عربي وفي كل بلد مسلم اليوم (أندلس) ، لم يمضي من الرواية فصل واحد حتى رأيت نفسي قد انتقلت من عالم إلى عالم (ذهب الهزل والميل الفكاهي بأجمعه) .

لم أحضر هذه الرواية الا مجاملة للسيد عثمان ، برجل ثقيلة ونفس منقبضة (لأني أريد الذهاب الى ليلى) ولكني الآن تحت تأثير جودة التمثيل قد زهدت في كل شيء من الأمور الا أمر الوطن .

ماذا حل بنا نحن العرب وقد كنا أعظم الأمم فصرنا أحقرها وأذلها ــ لقد كنا خير أمه أخرجت للناس ، فلما

(١) ٧ . هذه العلامة تدل على أن الساعة ٧/٣٠ دقيقة .

نحن الآن شر أمة ، وأدنى أمة وأحقر أمة — لا ينبغي أن نغالط أنفسنا فهذا هو الواقع مع الأسى والأسف . لو ضحى كل عربي بماله ودمه لأمكننا أن نسترجع المجد الذي فقدناه ، والعز الذي خسرناه ..

لماذا يضن العربي بحياته (وهي ذاهبة يوماً من الأيام ولا محالة) — في سبيل أمته وملته —

لماذا نحب رخاء العيش في كنف الذل : —

ذل من يغبط الذليل بعيش
رب عيش أخف منه الحمامُ

لو صمدنا بكليتنا بائعين الأرواح مضحين بكل شيء من مال ونشب ، أكان الأجنبي يرغب في مصادقة المستميت ويستعمر بلداً لا حس فيها ولا رس .

أنحن مؤمنون بالله حقاً ، ومعتقدون بالثواب والعقاب ؟ اذن ما هذا الحرص على هذه الأيام أو الأعوام الفانية البائدة لا يحرص عليها الا من في نفسه شك وفي قلبه دخل .

لماذا أنا منصرف للهو وراغب في الهزل ! ! لماذا أحب ليلى وهي تغني (الصب تفضحه عيونه) ولا أحب طارقاً وقد أغرق السفن ينادي في قومه الذين (دمي من دمهم) ويقول : — البحر من ورائكم والعدو من أمامكم ! !

لا أعرف تعليلاً لذلك الا ما قاله الحكماء من أجانب وعرب — ان الأمة اذا استعبدت وضعفت فيها الآمال لاسترداد المجد المغصوب انصرف أفرادها الى اللهو وسفاسف الأمور . وألهوا الغاصب واكبروه ، وفي كل أمر قلدوه . ثم اخلدوا إلى المجون والهزل لأن لا مجال لهم في الجد ولا في معالي الأمور . اللهم الا أن يبعث بينهم أفذاذٌ يستعذبون الهوان في سبيل الأوطان ويسقون شجرة أوطانهم بدماء ابدانهم : عندئذ وبعد فترة من الزمن يمكن أن تسترد الأمة ثباتها وتستأنف جهادها .

ما أبدع هذه الرواية ، وما أبرع هؤلاء الممثلين — ما هذا الأسف الذي تشعر به ، وما هذا الخجل الذي تحسه ، وما هذا الدمع الذي تذرف عندما تسمع أبا عبد الله (آخر ملوك الاندلس) وهو يبكي بعد أن استولى العدو على بلاده وطرده من الحمراء وينادي أين أنت يا غرناطة ، وأين أنت يا حمراء وداعاً يا بلاد الآباء والاجداد ، فتناديه أمه العجوز (ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال . ويناديه آخر من أخلص وزرائه وأصافهم (لقد صدقت المنجمين فلم تدافع عن المملكة دفاع أجدادك الأبطال ووثقت بعهود فرديناد ووعوده ، وكم نصحناك وكم استنهضناك فقلت لا أدافع انه مقدر وقد اخبرني به العرافون والمنجمون ، فاجني الآن ما كسبت يداك ، واذهب إلى

مراكش فستبقى هناك ملوماً مدحوراً .

الساعة ١١,٣٠ لقد انتهت الرواية ، مع السلامة يا سيد عثمان — لقد كنت أزمع الذهاب الى (ليلى) أما الآن فالى البيت بعد أن آكل لقمة في المطعم (يا داهية) في المطعم فتنة ، في القهوة فتنة ، وفي اللوكندة فتنة —

لا أريد هذا المطعم لعلي أشعر بالرجولة ولو ساعات ويبقى تأثير الرواية في خاطري ، ولو هنيهات . ربنا اكفنا شر الفتن ؛ وأرنا الخير خيراً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الشر شراً وارزقنا اجتنابه — كل في مطعم ثاني ، والى اللوكندة .

عند طبيب الأسنان :

صباح الاثنين الساعة (٨,٠٠)

دعني أجلس قليلاً فأسبح في بحر الخيال ولاستعرض حالي الليلة بعد أن ألبس الأسنان الجديدة اللامعة كأنها الدر النضير في نحور الغيد سأذهب إلى القهوة قبل البدء بساعة واختار أقرب كرسي وأوسطه .

ان ابتسامتي الليلة سوف تكون فاتنة خلابة بحق وحقيق وبناءً عليه سأبقى دائماً امبراطوراً ضاحكاً وآناً باسماً ، بمناسبة وغير مناسبة . وسأكوي الطربوش وألمع الحذاء ، وأصفف شعري وسأجلس على الكرسي بكل نفخة وغطرسة ، وسأضع السجارة في طرف فمي زهواً وغرورا.

لا ريب ان ذلك كله سيكون كالكهرباء تأثيراً في نفس ليلى ولا يبعد أن يلح عليها الغرام ويستهويها الاعجاب ، فتفقد رزانتها وتهوى بين يدي ضارعة مأخوذة ــ يا لها من ساعة انها آتية لا ريب فيها .

ولأذهب الآن لآخذ الأسنان . أما رواية الليلة الماضية ، واظن اسمها سقوط الاندلس أو ثبات الاندلس ، فان

تأثيرها قد تبخر تماماً . وما أسخف تلك الافكار الصبيانية التي ساورتني البارحة ، كأني نسيت قول الشاعر الحكيم :

كم سبحنا في بحار الفلسفة ما جنينا غير زور وسفه

بلاش من هذا التفكير البارد ! ! !

ليلى ! ! نداء بليلى رنّ في أذني
حتى كأن اسمها البشرى أو العيدُ

لكن يا دكتور أنا لا أعرف أتكلم الآن ، وأشعر كأنك قد جمعتلي جملة من الخناجر ووضعتها في فمي ، اتراني اذا استغنيت عن الكلام استطيع آكل وانا بهذه الصورة ، لكن الدكتور يحاول اقناعي بأن هذا أمر يشعر به كل واحد في الأيام الأولى من وضع الطقم . وان على أن آكل في ساعتين ما كنت آكله في ربع ساعة .

طيب يا دكتور فوضت أمري لله ولك . قال واحذر ان تخلعهم أبداً حتى في النوم — اسمع ستتكلف فاصبر — سمعاً وطاعة ! !

اصبر يا عبد الله انما هي بضعة أيـــام ، فإذاً أنت لاتشعر بآلام ، ولايصعب عليك الكلام . أنت الآن لا تنظر إلى أسنان الناس ، ولكن يجب أن تقف عند كل مرآة ولو كانت من (تنك) .

آه ما هذه الأوجاع — لا لا أصبر ، ما أبدع أسنانك .

تصور الليلة عندما تذهب إلى ليلى ــ آه ما هذه الأوجاع ــ لا لا أصبر .

ولكن يا عبد الله الا تظن أن حكايتك مع هذه الأسنان كحكاية (الحزاية) وقول العجوز : لولا الصبا والشباب (كلت) ذا الموت بعينه . وكانوا يقطعون أوصالها على زعم اعادة شبابها .

* * *

أنا رجعت لك الآن يا دكتور (دخلك شوف لي چاره)

الدكتور ــ أنت تتكلم الآن .

(االلي يحطون في حلجه مثل اللي حطيت بيحجي سرياني مهب عراقي بس) .

الدكتور ــ ودي أي لغة .

دي لغة بلادي ، وقد هفت نفسي ان أسافر لها اليوم بعد أن أكسر هذا اللجام الفظيع على بابك ! !

ويطيب الدكتور خاطري ، ويدهن اللثة بدهان مخدر ، فأخرج مستريحاً تحت تأثير التخدير .

هذه مرآة ، وهناك مرآة ، قف أولاً هنا ثم هناك .

نعم يا عبد الله .. لو أرسل عليك الشيخ محمد بالطياره لمدة ليلة فقط ، وأخذت مقعدك في الصالة ، وابتسمت ! ! ! ليسهل له كل أمر عسير . نعم يجب أن تقول هذا هو أول ،

وانا تالي[1] ، والا بلاش ، مش عاوز حاكه .

أمشي قليلاً فأقف عند المرآة الثانية . العراق ..— العراق .. ولماذا أذهب إلى العراق . ان ليلى ليست في العراق مريضة ، ولكنها في دمشق في أوج الصحة والعافية .

لأذهب الآن إلى المطعم .. آه من المطعم أنه لا يقل عن الصالة فتنة واغراء . هات طبق بامية ، ولكن من أين .. ان الاوجاع المريرة كامنة ، وان الخناجر التي كان يظهر أنها أغمدت لم تزل مشهرة ، وانما خفف مضارب نصولها المخدر .

آه لقد عادت الآلام .. هات شوربة يا ولد ، فلا سبيل إلى أكل الباميا .. وايضاً لا سبيل إلى الشوربة ، الآن اشربها في كوز من الامبوب ، كما يفعل السوريون .

دعنا من الطعام .. ولكن هل أستطيع أن أذهب واذا ذهبت هل انبسط ؟ ان ما سوف أعمله معروف ، وهو اني لا بد لي أن اذهب . وهناك ايضاً مشروع الضحك والابتسام . ان الاسنان هي كما قررت من الحسن ، والجمال ، أما الآلام .. فمن يشعر بها غير .. يا الله .

* * *

ليلى تغني .. ياماناديت من أساي ، لا أدري هل قالت

(١) يظهر ان الشيخ قد غير أسنانه قبل الزائدة .

في وحدتي أم في غربتي . انها تضرب على وتر حساس في نفسي ، فتحول بيني وبين الابتسام ، بله الضحك ..

لكني جائع .. وجائع جداً ، لا غداء ولا عشاء . خذ طبق جوز وكوبة ماء .

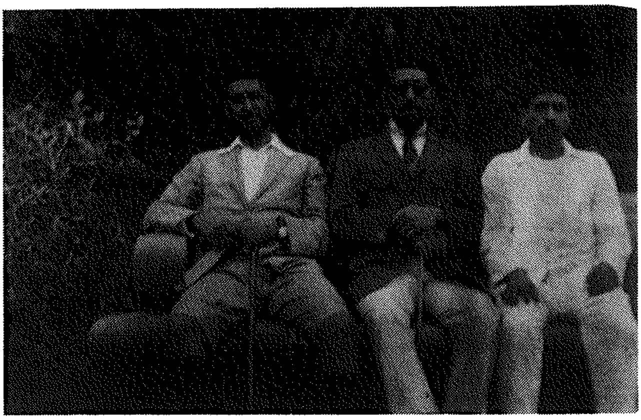
على اني أبقى واجماً أمام .. فأنا لا أستطيع ان أحرك فكي للماء فضلاً عن الموز ، ولا أدري ولا افقه ما تبدي ليلى وما تعيد .

ليتها تسكت عن أناشيد الغرام وتغني هذه الأبيات :

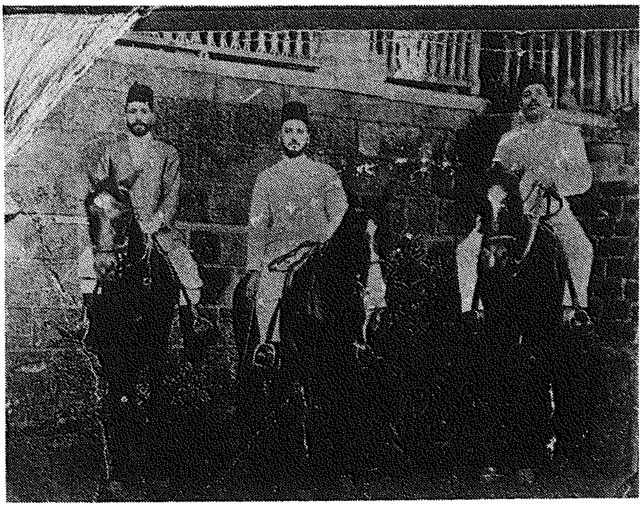
ضيعت اسناني فضـــاع شبابي
يا لوعتي وندامتي ومصـــابي
كل المصائب قد حسبت حسابها
الا مصيبة مطعمـــي وشرابي
يا دهر كم تجني علي أما كفى
ضعفي وفقدي ثروتي وخرابي
أتريد أن أقضي عليهـــا عنوة
وأغيب بين جنـــادل وتراب

بعض صور
ونماذج
بخط الزائد

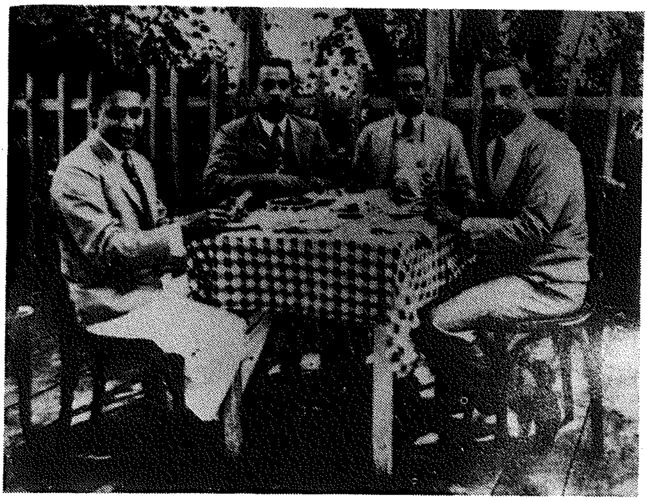
نابغة البحرين



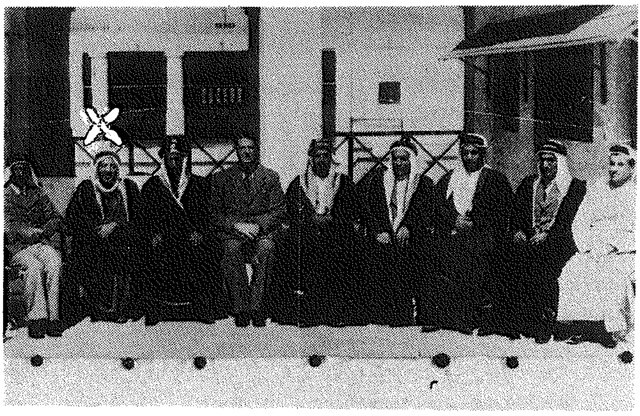
- من اليمين عبدالله الزائد ، وقاسم محمد الشيراوى ، وعبدالرحمن القصيبى فى القاهرة عام ١٩٢٨م .



- من اليمين عبدالله الزائد وعبدالرحمن القصيبى ومحمد قاسم الشيراوى فى القاهرة عام ١٩٢٨م .



ـ من اليمين الشيخ علي بن محمد بن عيسى الخليفة ثم الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى الخليفة ثم عبدالله الزائد ، ثم الشيخ حمد بن محمد بن عيسى الخليفة في بغداد اوائل الثلاثينات ٠



ـ لجنة الاستماع الى اذاعة البحرين المؤسسة عام ١٩٤٠ ، ويبدو الزائد مشار اليه بعلامة × وذلك عام ١٩٤٢ ٠


ABDULLA BIN ALI
ALZAED
Telegraphic Address:
ALZAED

عبد الله بن علي
الزائد
العنوان التلغرافي
الزائد

لندن ١٩ شعبان ٩ صفر ١٣٣٩

سيدي الجليل صاحب السمو ... الشيخ ... عيسى آل خليفة حفظه الله

ب- مؤتمر الشرق الادنى - ابلغ كرزون من مرضه وسافر الى باريس للتفاوض في عقد مؤتمر
الشرق. محفظ بونكاريه الرئاسة لنفسه. اما ايطاليا فابدت تحفظا وهي ان لا تمس مصالحها الاقتصادية
وان لا يمس استقلال الاتراك. وطلبتها اتفقتا في نقطة واحدة وهي ان لا يجيزوا اتخاذ التدابير
الحربية فيما اذا لم يقبل الاتراك بشروط الصلح. وعلى ذلك سينعقد قسم من التفاهم

ب- في الافغانستان - اشاع ظباط هنود بين عساكر الافغان ان انجلترا تحاول القضاء على دين
الاسلام وقلب مسجد ايا صوفيا كنيسة فقاموا بمظاهرة كبيرة وطلبوا ارسال مندوبين منهم
لتحقيق الامر

هنا ومن طرف سوق اللؤلؤ فانه بعد سفر الزياني (سافر منذ يومين) الى الآن يبيع شيئا
وهو واقف لما عرفناكم سابقا. وفي الختام ارجوا ان تقبلوا فائق الاحترام
وارجو ان يبلغ سلامي جميع الاولاد.

[illegible]

من بمباي في المحرم ٢٣ رجب ١٣٤٠

ABDULLA BIN ALI
ALZAED
Telegraphic Address:
ALZAED

عبدالله بن علي
الزائد
العنوان التلغرافي
الزائد

٢٠ رمضان ١٣٤٢

حضرة صاحب السمو [illegible] الشيخ [illegible] آل خليفة [illegible]

[illegible] = هذه الليلة هي ليلة [illegible] [illegible] وانا [illegible] ان [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فاني [illegible] هذه الليلة
في [illegible] [illegible] [illegible] هذه الليلة [illegible] ان ارسل [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

والبعض عارٌ في الرجال وسبّةٌ   نحسًا يخون بلاده ويكيدُ

قل للبغاة تفننوا في بغيكم   فلكل شيءٍ آخرٌ وحدودُ

اليوم انتم قائمون جبابرًا   وغدًا اذا دار الزمان قعودُ

في من فقدنا أسوةٌ لوليّه   وبهاله التعضيد والتأييدُ

ما غاب من عيسى سوى جثمانه   هو انتَ يا احمدٌ وفيك يعودُ

لم يعرف الشعب السلوّ والعزا   الا لأنك بعده موجودُ

شيمٌ له الخلق العظيم وطبعه   الصنع الجميل وهمّه التمجيدُ

أخواه في الجلّى يشدّ ازره   والفوز فوق لوائهم معقودُ

ايديهما في راحتيه تضامنًا   ووفاهما في الحالتين أكيدُ

فالتميمي يا احمدٌ وعرشك شامخٌ   والمجد مجدك طارفٌ وتليدُ

اليحيى [illegible] حرًا   [illegible] عن الحمى ويذودُ

واليحيى عبدالله نجمًا ساطعًا   بالرأي يرشد قومه ويقودُ

عبدالرحمن [illegible]

١٣٥١
٩/٢٩

المحتوى

في الحقل الوطني

في حقل الصحافة

في الحقل السياسي

فى الحقل الاجتماعي

زمالاته الفكرية

القسم الثاني

نماذج أخرى من شعر الزائد

نماذج من نثره عبر صفحات جريدة البحرين

ثبت المصادر

المصدر	المؤلف
رسائل وقصائد للزائد مخطوطة بيده	مجموعة المؤلف
مذكرات مسلسلة للزائد مخطوطة بيده	مجموعة المؤلف
جريدة البحرين ـ اصدار الزائد	مجموعة المؤلف
جريدة الحميلة ـ اصدار كارنيك جورج	مجموعة المؤلف
مجلة سركيس اللبنانية	مجموعة عام ١٩٢٢
ملوك العرب ـ جزء ثاني طبع ١٩٥١	أمين الريحاني
منتظم الدين في أدب البحرين مخطوط	محمد علي التاجر
تاريخ الكويت ـ جزء أول	عبد العزيز الرشيد
خالد محمد الفرج	خالد سعود الزيد
الحرب البحرية ـ قصيدة الزائد	من مجموعة القسم العربي بهيئة الاذاعة البريطانية .